

AL MANHAL

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

العدد (٥٩٨) المجلد (٦٧) العام [٧١] شعبان ورمضان ١٤٢٦ هـ - سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠٥م

وعد فصدق ..
أنجز ورحل







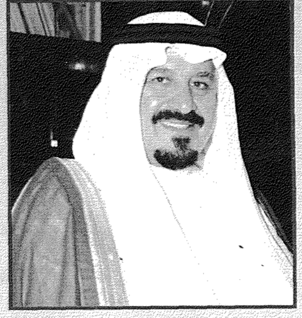
نبايعكم ..
على الولاء والطاعة

أصدر الديوان الملكي السعودي بياناً
يوم الاثنين ٢٦ جمادى الثانية ١٤٢٦هـ، أعلن فيه
وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ببالغ الأسى والحزن ينعي الديوان الملكي باسم صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وكافة أفراد الأسرة ونيابة عن الأمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حيث وافته المنية بعد مرض عانى منه: «إنا لله وإنا إليه راجعون». تغمد الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بسابغ رحمته وغفرانه وأسكنه فسيح جناته وخلفه في هذه الأمة بتمسكها بعرى دينها القويم وحفظها به وجزاه الله عن الإسلام وهذه الأمة وأمة الإسلام عامة خير الجزاء.





مبايعة عبدالله ملكاً وسلطان ولياً للعهد

بايع أفراد الأسرة المالكة في السعودية الأمير عبدالله بن عبدالعزيز خادماً للحرمين الشريفين وملكاً للمملكة العربية السعودية. وقد أصدر الديوان الملكي السعودي بياناً فيما يلي نصه:

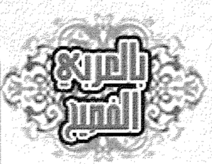
بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من الديوان الملكي

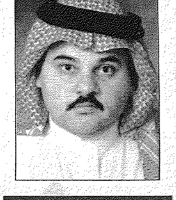
لقد قام أفراد الأسرة بمبايعة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ملكاً على البلاد وفق المادة الخامسة من النظام الأساسي للحكم. وبعد إتمام البيعة أعلن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية اختيار صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولياً للعهد حسب المادة الخامسة من النظام الأساسي للحكم. وقد بايع أفراد الأسرةسموه على ذلك.

وقد بدأت البيعة من المواطنين لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ولسمو ولي عهده الأمير سلطان بن عبدالعزيز بقصر الحكم في الرياض يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ.

كما استقبل أمراء المناطق جموع الشعب لتلقي واجب العزاء وإعلان البيعة.



إن مات فهد قام فينا ألف فهد



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

شعبان/رمضان ١٤٢٦ هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٥م

□ **إنها أمة الإنجاز والإعجاز..**

صدمة الرحيل، وعظمة الراحل، تتقاصر دونهما الكلمات.. خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز- عليه رحمة الله ورضوانه - هذا الرجل العظيم، رحل عن دنيانا جسداً، وتبقى مآثره وفضائله وإنجازاته بين أعيننا نغمض عليها أجفاننا، وتبقى في قلوبنا حباً واكباراً وتقديراً..

الفهد (عليه رحمة الله ورضوانه) كان انجازاً وإعجازاً.. في كل المجالات، في كل العطاءات، كان القائد العظيم، والملك المحبوب..

الملك فهد (عليه رحمة الله ورضوانه) اختار لنفسه اسماً محبباً إلى نفسه (خادم الحرمين الشريفين) - كان محقاً في الاختيار - وكان صادقاً في تحقيق هذا المسمّى على أرض الواقع..

إن كان على مستوى الحرمين الشريفين، فقد أوفى وكفى.. وتوسعتهما تبقى شاهداً له.. جزاه الله خيراً وأجزل له الأجر والمثوبة..

وإن كان المسمى على مستوى الرمز في توسعه وانديتاحه فقد أعطى عطاء الكرماء لأمته الإسلامية والعربية..

وإن كان هذا المسمى على مستوى العطاء الداخلي في هذا الكيان الكبير، المملكة العربية السعودية، فحدّث عنه حديث الاوفياء..

رحمك الله أيها الراحل العظيم.. وهذه إرادة الله سبحانه وتعالى..

وبفضل الله سبحانه، فقد أخلفنا خيراً في أخيه ورفيق دربه، وحادي مسيرته خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز- أطال الله في عمره - إنه حقاً، خير خلف لخير سلف.. وهذه سنة الله في خلقه، يمضي كريم ويخلف كريم، يمضي عظيم ويخلف عظيم..

وما أعظم أن يكون ساعده الأيمن، وولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وهما طوالع خير، وتباشير عطاء وإنماء.

ومن ورائهما إخوة لهما، هُم المبتغى والسند، وأبناء هذا الكيان الكبير جميعهم يُكنُون لهم جميعاً كل الحب والوفاء.

وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - أطال الله في عمره - بذل ولايزال يبذل بكل الوفاء جهده ووقته وفكره من أجل هذا الوطن العزيز، ومن أجل إنسان هذا الوطن الغالي: أمناً واستقراراً، ورفاهية وازدهارا..

بكل وفاء المحبين، نرفع أيدينا إلى الله سبحانه وتعالى ضارعين مبتهلين أن يرحم من مضوا فينا، وقد وعدوا وأنجزوا، وصدقوا..

ونسأله سبحانه وتعالى أن يمد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - أطال الله في عمره - بمدد من عنده.. وان يجعل على يديه الخير تلو الخير.. إنه سميع مجيب ■



الملك عبد اللّه يتقدم الجموع في الصلاة على الفقيد وعلامات الحزن تخيم في يوم الرحيل الكبير

خادم الحرمين الشريفين
الملك عبد اللّه بن عبدالعزيز تقدم جموع المصلين على فقيد الأمة

تقدم الملك عبد اللّه بن عبد العزيز آل سعود (حفظه اللّه) الجموع في صلاة الجنازة على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (رحمه اللّه) بعد عصر يوم الثلاثاء ٢٧ / ٦ /١٤٢٦هـ الموافق ٢/٨/٢٠٠٥م في جامع الإمام تركي بن عبداللّه بالرياض.

بعد ذلك نُقل جثمان الفقيد (رحمه اللّه) إلى مقبرة العود، حيث ووري الثرى، على منهج الشرع الحنيف دون مبالغة أو تكلف، وتقدم المشاركين في الدفن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللّه بن عبد العزيز (حفظه اللّه).

وداعاً أبا فيصل



خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله للمواطنين عقب البيعة:

أعينوني على حمل الأمانة.. ولا تبخلوا عليَّ بالنصح والدعاء

واس - الرياض

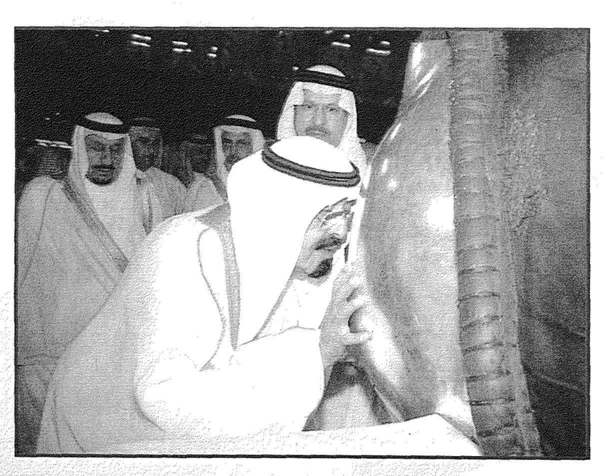
وجه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - كلمة للمواطنين والمواطنات فيما يلي نصها.

«بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أيها الإخوة والأبناء المواطنون والمواطنات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اقتضت إرادة الله - عزّ وجل - أن يختار إلى جواره أخي العزيز وصديق عمري خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته بعد حياة حافلة بالأعمال التي قضاها في طاعة الله - عزّ وجلَ - وفي خدمة وطنه والدفاع عن قضايا الأمتين العربية والإسلامية. في هذه

الساعة الحزينة نبتهل إلى الله - عزّ وجل - أن يجزي الراحل الكبير خير الجزاء عما قدمه لدينه ثم لوطنه وأمته، وأن يجعل كل ذلك في موازينه، وأن يمن علينا وعلى العرب والمسلمين بالصبر والأجر. أيها الإخوة.. إنني إذ أتولى المسؤولية بعد الراحل العزيز أشعر أن الحمل ثقيل وأن الأمانة عظيمة، أستمد العون من الله - عزّ وجل - وأساله سبحانه أن يمنحني القوة على مواصلة السير في النهج الذي سنه مؤسس المملكة العربية السعودية العظيم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود - طيب الله ثراه - واتبعه من بعده أبناؤه الكرام - رحمهم الله - وأعاهد الله ثم أعاهدكم أن أتخذ القرآن دستوراً والإسلام منهجاً وأن يكون شغلي الشاغل إحقاق الحق وإرساء العدل، وخدمة المواطنين كافة بلا تفرقة ثم اتوجه إليكم طالباً منكم أن تشدوا أزري، وأن تعينوني على حمل الأمانة، وألا تبخلوا عليّ بالنصح والدعاء والله أسال أن يحفظ لهذه البلاد أمنها وأمانها ويحميها ويحمي أهلها من كل مكروه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



وداعاً
أبا فيصل

الملك عبدالله في سطور

تربى على السياسة ويعشق القراءة... ويرى نفسه وسط البسطاء

الرياض – واس:

قيادة وطن ليست بالشيء السهل أو المهمة العادية خاصة إن كان الوطن في حجم المملكة العربية السعودية والبيئة المحيطة بها تملؤها المواقف والأفكار المتناقضة وأمواج السياسة المتلاطمة.

هنا يبرز اسم الملك عبدالله بن عبدالعزيز ليحتل الواجهة ويصبح عنواناً للاطمئنان وتهدئة النفوس، فالرجل اكتسب من الملك المؤسس الإحساس العالي بالواجب وكيفية فهم الأحداث وتحليلها، كما أن جهوده الدبلوماسية الأخيرة في العالم العربي حقنت الكثير من الدماء، وحفظت لوجوه عربية عدة حقها في التفاوض وقيادة شعوبها.

ولد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – أطال الله عمره – في مدينة الرياض عام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م ووعي تأسيس المملكة والملاحم والبطولات التي حصلت حتى تحقق المُلْكُ والتوحيد، وكان لذلك أثر بالغ في تشرّبه بأخلاق الفروسية والإباء عن والده ورجاله الأفذاذ، وقد عاش في كنف والده المؤسس وامتلأ بالصفات العربية الأصيلة من الإباء والنجدة والكرم، وقد نقشت ورسمت أحداث تلك الحقبة في ذهنه وعرف ما حصل في العالم العربي من التطورات السياسية وأحداث العالم أجمع بين الحربين العالميتين.

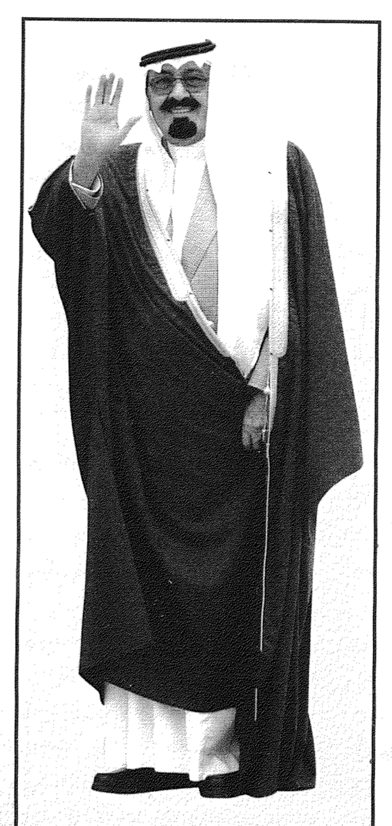
تعليمه وثقافته

نشأ الملك عبدالله بن عبدالعزيز – حفظه الله – في محيط القيادة الواعية والعقيدة الصافية وشمائل الرجولة والفروسية والصدق، وقوة الإرادة ونقاء الظاهر والباطن

وقوة الشخصية وأعماق الشجاعة.

تعلم في مدرسة والده العظيم، وأخذ عنه خبرته في الحكم والسياسة والإدارة، وأخذ تعليمه من ملازمة كبار العلماء والمفكرين الذين كان حريصاً على الالتقاء بهم، ومجالسة أهل الحل والعقد من داخل المملكة وخارجها.

وقد استمد ثقافته من قراءاته في العقيدة والدين بشكل خاص، والفكر والثقافة والسياسة والتاريخ بشكل عام، وله اهتمام كبير بالأدب والأدباء وهو جليس للكتاب أو الكتاب جليسه - إذا فرغ من مسؤولياته الأساسية، وقد أسس نتيجة لذلك مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، وأسس مثلها في المغرب الشقيق، وأنشأ المهرجان الوطني للتراث والثقافة - الجنادرية - عام ١٤٠٥هـ.



حياته العملية وصفاته

يميل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله إلى البساطة في العيش، إلى جانب الكرم، لا يعرف الكبر أو التعالي، طاهر النفس محب

وداعاً أبا فيصل

لمكارم الأخلاق، رحب الصدر يوحي لجليسه بالاطمئنان، ملتزم بتعاليم الدين مما أثر في تكوين شخصيته حضوراً وتأثيراً وتفاعلاً.

مشاعره نحو الوطن والمواطن

يحترم الملك عبد الله مَنْ يتعامل مع بلاده بالندية، ولا يقبل أي مساس بكرامة وطنه أو مواطنيه، ويؤمن بالتعاون مع العالم أجمع وله مجلس يعقد مرتين أسبوعياً للقاء المواطن والتعرف على احتياجاتهم ويجلس للعلماء ويستمع لمشورتهم.

على الصعيد العربي

يدعو للتضامن العربي ويمد يد العون لإخوانه العرب وقت الشدائد دائم التعاون معهم في كل الأحوال.

تولى رئاسة الحرس الوطني

اختار الملك فيصل رحمه الله ـ الملك عبد الله لرئاسة الحرس الوطني عام ١٣٨٢هـ -١٩٦٢م لما رآه فيه من انسجام مع خبرته الواسعة فكان الرجل المناسب في المكان المناسب، والحرس الوطني قوات مسلحة من أبناء المجاهدين مع الملك عبد العزيز رحمه الله ومن أبناء البوادي الذين يميلون للعسكرية بطبيعتهم.

وقد أصبح الحرس الوطني برئاسته كتائب من العسكريين المحترفين المدربين تدريباً عالياً ومؤهلين أكاديمياً وفنياً، مزودين بأحدث الأسلحة التي تناسب طبيعتهم.

الحرس الوطني ثقافياً واجتماعياً

أسهم الحرس الوطني في النواحي الثقافية فأنشأ عدداً من المدارس الأكاديمية ومدارس تحفيظ القرآن، ونظم حملات محو الأمية واهتم بتعليم الكبار، كما ظهر نشاطه الاجتماعي والصحي بنشر التوعية بين المواطنين في مثل هذه الأمور.

مناصبه

إلى جانب رئاسة الحرس الوطني فقد بويع الملك عبد الله بن عبد العزيز نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء في ٧-٣-١٣٩٥هـ شارك من خلال هذا المنصب في القضايا الداخلية والخارجية، وكان قريباً من الأحداث والشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية وهو بعيد النظر قوي الإرادة راغب في التطور والازدهار.

ولاية العهد

وقد بويع الملك عبد اللّه ولياً للعهد في يوم وفاة الملك خالد – رحمه اللّه – في ٢١-٨-١٤٠٢هـ كما سمي نائباً لرئيس مجلس الوزراء.

إنجازاته

رعى –حفظه اللّه – افتتاح مستشفى الملك فهد التخصصي بالدمام ووضع حجر الأساس لمستشفى الولادة والأطفال بالدمام أيضاً، ودشن العمل بمستشفى الخفجي العام كما وضع –حفظه اللّه – حجر الأساس لمشروعات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتكلفة مليار ريال، واعتمد أكثر من ٧٠٠ مليون ريال للتدريب العسكري والمهني للشباب السعودي، وأكد –حفظه اللّه– على أهمية اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري المرتكز على ثوابت الدين والوطن والعمل واهتم بالصحافة وقال إنها مرآة صادقة للوطن، وأوصى الصحفيين بالتزام المصداقية في عملهم، كما وضع –رعاه اللّه – حجر الأساس لمشروع خزان المياه بالطائف، كما دشن محطة التحويل الكهربائي هناك أيضاً وافتتح حديقة الملك فيصل فيها، ورعى افتتاح كلية الآداب للبنات بالرياض وهذا غيض من فيض.

أما في المجال السياسي فقد شارك –حفظه الله– في قمة إيفيان للدول الصناعية في فرنسا حيث أبرز الدور المحوري للسعودية وأهمية مبادرته للسلام في الشرق الأوسط.

وحضر القمة السداسية بشرم الشيخ التي أكدت على مبادرة الملك عبد اللّه للسلام بخارطة الطريق.

وللملك عبد اللّه اهتمام بتشجيع الشباب والرياضة وكان يسلم كأسه في مسابقة ولي العهد وينوب عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في تسليم كأس دوري خادم الحرمين الشريفين نيابةً عنه، وله عناية بالصحافة حيث منح هيئة الصحفيين قطعة أرض لإنشاء مقر لهم.

ولو تتبعنا مآثره ومناقبه وإنجازاته ما استطعنا إلى استيعابها سبيلاً.

مبايعته بالملك

إثر وفاة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز –رحمه اللّه تعالى – الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة الموافق ١-٨ – ٢٠٠٥م بايعت الأسرة المالكة ولي العهد الأمير عبد اللّه ملكاً للمملكة العربية السعودية وعين أخاه الأمير سلطان ولياً للعهد، وتقبلا البيعة العامة في قصر الحكم بالرياض يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر.



سمو ولي العهد: رحم الله الفقيد... وأعان مولاي الملك عبد الله

ستستمر المملكة في مسيرة الخير والنماء.. متمسكة بالكتاب والسنة

وجه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد.. ففي الوقت الذي فقدت المملكة العربية السعودية رمزها وقائدها ورائد نهضتها الملك فهد بن عبد العزيز، وافتقدت فيه الأمة العربية والإسلامية قائداً نذر حياته لخدمة دينه وأمته وفقد فيه العالم قائداً عمل من أجل إحقاق العدالة وإرساء السلام. أتوجه إلى الشعب السعودي الذي بادل مليكه الراحل الحب والوفاء، وإلى الأمة

العربية والإسلامية بخالص العزاء والمواساة في فقيدنا الغالي تغمده اللّه بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

لقد كان فهد بن عبد العزيز أباً للصغير وأخاً للكبير، وحّد القلوب فتوحدت القلوب في حبه، وفاضت مشاعر شعبه تعبيراً عما يعتصره من أسى ومرارة لفقدانه، ولقد كان زعيماً متفرداً بثاقب بصيرته ورجاحة عقله وبواسع حلمه وشجاعته في زمن أحوج ما تكون فيه الأمة إلى من يجمع كلمتها ويذود عن مصالحها ويحيي الأمل في مستقبلها، فعمل لبناء وطنه والارتقاء بشعبه، وبذل جهوده بلا حدود لخدمة قضايا أمته العربية والإسلامية. وإذا كان ليس مقام تعداد مآثره الجليلة – رحمه اللّه – والتي سيسجلها له التاريخ بمداد من ذهب؛ فإن الأمانة تقتضي تبيان الحقائق في أنه لم يهنأ له بال وهو الذي اختار لقب خادم الحرمين الشريفين حتى منّ اللّه عليه بإتمام أكبر توسعة عرفها التاريخ للحرمين الشريفين وما واكبها من تطوير للمشاعر المقدسة وتشييد لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ولقد كان –رحمه اللّه – مدركاً لعظم المسؤولية وضخامة التحديات فآل على نفسه ألا تنثني له عزيمة ولاتلين له همة حتى يحقق لشعبه ما هو لائق به. ووعد فأوفى فتحققت في زمن قياسي الإنجازات الحضارية المشهودة، ولقد حمل – رحمه اللّه – هموم أمته العربية والإسلامية فعمل على تماسك الأمة ووحدة كلمتها وسعى من أجل إحقاق العدالة وإرساء السلم في المنطقة، وضحى بالغالي والنفيس في سبيل الوقوف مع الأشقاء والذود عن الشرعية والدفاع عن القيم والمبادئ التي قامت عليها هذه الدولة منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز – رحمه اللّه – وندعو الله أن يتقبل من فقيدنا الغالي ما قام به من أعمال جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته وأن يسكنه فسيح جناته، وعزاؤنا جميعاً في أن المولى – عز وجل – قد عوضنا خيراً بمولاي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز– حفظه اللّه – الذي كان عضداً أميناً لفقيدنا الراحل، وسخر كل وقته لخدمة دينه ووطنه وأمته بكل ما أتاه اللّه من قوة وثبات على الحق، وستستمر المملكة العربية السعودية إن شاء اللّه بقيادة مولاي – أيده اللّه – في مسيرتها الخيرة مسيرة النماء والعطاء متمسكة بكتاب اللّه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واللّه نسأل أن يجعلنا ممن قال فيهم سبحانه (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للّه وإنا إليه راجعون).

وداعاً
أبا فيصل

الأمير سلطان ولي العهد:

على قدر أهل العزم تأتي المسؤوليات الجسام

الرياض - واس

*دائماً تكون البدايات هي الإرهاصات المبكرة لمناقب العظماء وما ينتظرهم من حياة لامعة بالمواقف والإنجازات، وفي سيرة ولي العهد سلطان بن عبد العزيز آل سعود ثمة محطات تبرز اهتمام سموه بتبوء المملكة لمكانة أكثر رفعة وتطوراً. ولد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام يوم الخميس ١٣ رجب ١٣٤٨هـ الموافق ٥ يناير ١٩٣٠م في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

نشأ سمو ولي العهد وترعرع في كنف والده الملك عبد العزيز رحمه الله ولقي عناية والده كغيره من أفراد أسرة الملك عبد العزيز فتربى تربية صالحة وتعلم القرآن الكريم والعلوم العربية على يد كبار المعلمين والعلماء ثم واصل تعليمه فكان لهذه التنشئة الدينية أثرها الكبير في أخلاقه وتصرفاته وبالتالي في حياته العامة وعلاقته بالناس وإدارته وتسييره أمور الوظائف العديدة التي أُسندت إليه.

وقد توسعت معارفه بمطالعاته الواسعة في شتى العلوم وبرحلاته التي قام بها لمختلف أنحاء العالم، حيث كان عضواً في معظم الوفود السعودية الرسمية التي رأسها جلالة الملك فيصل رحمه الله لحضور مؤتمرات القمة العربية والإسلامية وجلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

كما شارك في معظم الزيارات الرسمية التي كان يقوم بها جلالته كما رأس سموه وفوداً

رسمية في زيارات خارجية مختلفة.



أهم أعماله ومنجزاته

أولى الملك عبد العزيز آل سعود ابنه سلطان ثقتـه حيث عينه أميـراً على الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في الأول من ربيع الآخـر عـام ١٣٦٦هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٤٧م وأسـهم الأمير سلطان مع والده في إقـامـة نظام إداري متين مبني على العـدالة الاجتمـاعيـة وتطبيق شريعة الإسلام.

وعين الأمـير سلطان عضـواً بمجلس الوزراء بعد أن تم تعيينه وزيراً للزراعة في يوم الخـمـيس ١٨ ربيع الثـاني عـام ١٣٧٣هـ الموافق ٢٤ ديسـمـبـر ١٩٥٣م عند تشكيل أول مـجلس للوزراء بالمملكة العربية السعودية، وقد أسهم في عملية توطين البدو ومساعدتهم في إقامة مزارع حديثة وعين سموه وزيراً للمواصلات يوم الســبت ٢٠ ربيع الاول عــام ١٣٧٥هـ الموافق ٥ نوفمبـر ١٩٥٥م، حيث أسـهم

وداعاً أبا فيصل

في إدخال شبكات المواصلات الحديثة البرية والاتصالات السلكية واللاسلكية. وعين سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزيراً للدفاع والطيران في يوم السبت ٣ جمادى الآخرة عام ١٣٨٢هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٦٢م ولايزال على رأس عمله.

وكان لسموه الأثر الكبير في تطوير القوات المسلحة بكامل فروعها البرية والجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي، حيث عمل على إيجاد المدن العسكرية الكبيرة المنتشرة في جميع مناطق المملكة.

وصدر الأمر الملكي السامي بتعيين سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء في يوم الأحد ٢١ شعبان عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م.

المناصب التي تولاها

سمو ولي العهد وزياراته

رأس سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولفترة طويلة اجتماعات اللجنة العليا لسياسة التعليم واللجنة العليا للإصلاح الإداري ومجلس القوى العامة ويرأس في الوقت الحاضر الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ومجلس إدارة الخطوط الجوية العربية السعودية والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها واللجنة الوزارية للبيئة ومجلس إدارة المؤسسة العامة للصناعات الحربية واللجنة العليا للتوازن الاقتصادي ومجلس إدارة الموسوعة العربية العالمية والهيئة العليا للسياحة.

وينفق سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز على مشروع الموسوعة العربية العالمية من أمواله الخاصة خدمة للعالمين العربي والإسلامي، يضاف إلى ذلك أن سموه يتبوأ منصب الرئيس الأعلى لمؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية ورئيس مجلس أمانتها.

كما عين سموه نائباً لرئيس مجلس العائلة ونائباً لرئيس الهيئة العليا للاستثمار ونائباً لرئيس المجلس الاقتصادي الأعلى.

وزار سمو ولي العهد عدة دول عربية وعالمية وكان دائماً ملازماً لاخيه جلالة الملك فيصل رحمه الله في جميع رحلاته الخاصة والدولية وحضر العديد من المؤتمرات والاجتماعات الإقليمية والدولية ورأس وفد المملكة في اجتماع

الأمم المتحدة عام ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥م وألقى خطاباً مهماً بهذه المناسبة ورأس وفد المملكة الذي شارك في احتفال الأمم المتحدة بعامها الخمسين في أكتوبر عام ١٩٩٥م.

الأوسمة التي تلقاها سمو ولي العهد

تلقى سموه أوسمة استحقاق من الدرجة الأولى من عدد من الدول العربية والإسلامية والصديقة.

أعماله الخيرية

أولاً: مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية.

وهي مؤسسة غير ربحية أنشاها وينفق عليها سموه منذ عام ١٩٩٥م وللمؤسسة عدد من الاهداف الإنسانية والاجتماعية ومن مشاريعها ونشاطاتها.

١ – مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية.

٢ – مركز سلطان بن عبدالعزيز للاتصالات الطبية والتعليمية (مديونت).

٣ – مركز سلطان بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

٤ – مشاريع مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية للإسكان.

٥ – برنامج سلطان بن عبدالعزيز للتربية الخاصة بجامعة الخليج العربية بمملكة البحرين.

٦ – مركز الأمير سلطان للنطق والسمع بمملكة البحرين.

٧ – مركز الملك عبد العزيز لدراسات العلوم الإسلامية بجامعة بولونيا بإيطاليا.

٨ – برنامج الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات العربية والإسلامية بجامعة بيركلني كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

كما للمؤسسة العديد من البرامج والأعمال الخيرية والبحوث العلمية التي قامت بها المؤسسة أو دعمتها.

ثانياً: لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة بالإغاثة.

وتقوم اللجنة بتسيير القوافل الإغاثية وتقيم المخيمات والقوافل الطبية العامة لمكافحة الأمراض الشائعة كالملاريا والعمى وأقامت العديد من المشاريع التنموية والاجتماعية والصحية.



وترجل الفهد

يحتل يوم الحادي والعشرين من شهر شعبان عام ١٤٠٢هـ الموافق الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٩٨٢م منزلة خاصة في تاريخ المملكة العربية السعودية، حيث تولى خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم مسترشداً بنهج والده الملك عبدالعزيز في بناء الدولة والمجتمع والسير بهما نحو أعلى المستويات الحضارية. ولقد شهد عهد خادم الحرمين الشريفين تحقيق منجزات متميزة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية كافة، توجت بتطور كبير في المجتمع انعكس على الارتقاء بمستوى المعيشة ونوعية الحياة في ظل استتباب الأمن وتكريس الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وإلى جانب رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لخطط التنمية الشاملة وإنشاء البنية الصناعية في المملكة والإنجازات الحضارية، فقد حدثت في عهده أضخم توسعة تاريخية للحرمين الشريفين.

كما تميز عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بصدور النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق في السابع والعشرين من شهر رجب عام ١٤١٢هـ الموافق الواحد والثلاثين من شهر يناير عام ١٩٩٢م. وقد صيغت هذه الأنظمة الثلاثة على هدي من الشريعة الإسلامية معبرة عن مبادئ الدولة السعودية وتقاليد مجتمعها وأعرافه.

ويعد إصدار هذه الأنظمة الثلاثة توثيقاً لمنهج قائم، وصياغةً لأمر واقع معمول به وفق مبادئ الشريعة الإسلامية التي قامت عليها الدولة السعودية منذ نشأتها المبكرة، قبل ما يربو على قرنين ونصف القرن، وهي استمرار للمنهج الواضح الذي نهضت عليه الدولة.

كما وصلت المملكة نتيجة لسياسته ورعايته إلى مركز مرموق في الساحة العربية والإسلامية والدولية، واتسمت السياسة الخارجية السعودية في عهده بالفاعلية والواقعية وإيجاد الحلول المناسبة لأهم القضايا العربية والإسلامية.

ولادته ونشأته

إن نشأة خادم الحرمين الشريفين كانت نشأة قائد وزعيم بالفطرة، فقد ولد ونشأ في بيئة محملة بعناصر الخير والسؤدد.

ولد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢١م في الرياض في قصر الديرة، الذي أنشأه الملك عبدالعزيز عام ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م، فكان لذلك المولود الميمون موعداً مع العظمة، وكانت ولادته بشارة خير وطالع سعد في دنيا الملك عبدالعزيز، فقد كانت فترة مولده هي الفترة التي عقد فيها السلام، وتعززت فيها أحلام الوحدة الشاملة، وتوالت الانتصارات في معارك التوحيد الحاسمة.

ولد الملك من أم سليلة أمجاد هي الأميرة المرحومة حصة بنت أحمد بن محمد بن أحمد السديري، وكانت امرأة بالغة الحنان والحب، فقد وهبت نفسها بإخلاص لتنشئة هذا الابن الأول منها للملك عبدالعزيز.

محطات سطرها التاريخ في حياة الفهد

من أبرز الأحداث:

١٣٧٣/٤/١٨هـ

صدور الأمر الملكي بإنشاء جامعة الملك سعود وتعيين الأمير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف رئيساً أعلى للجامعة.

وداعاً أبا فيصل

١٣٨٢/٠٤/٢١هـ

صدور الأمر الملكي رقم (٢١) بتعيين الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للداخلية.

١٣٨٧/٠٦/٢٧هـ

صدور الأمر الملكي رقم (١/٣٦) بتعيين الأمير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء.

١٣٩٥/٠٣/١٧هـ

صدور الأمر الملكي رقم (أ/٥٣) بتعيين الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد وزيراً للداخلية ونائباً أولاً لرئيس مجلس الوزراء.

١٣٩٥/٠٨/٢٥هـ

صدور المرسوم الملكي رقم (١/١٨٩) بتعيين الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد رئيساً أعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٣٩٥/٠٩/١٦هـ

تعيين الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيساً أعلى للهيئة الملكية للجبيل وينبع.

١٤٠٢/٠٨/٢١هـ

مبايعة ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد.

توجيه الملك فهد بن عبد العزيز كلمة إلى المواطنين عبر الإذاعة والتلفزيون عبر فيها عن مواساته لأفراد الشعب السعودي في وفاة المغفور له بإذن الله الملك خالد بن عبد العزيز.

١٤٠٢/١١/٠٨هـ

إصدار الملك فهد بن عبد العزيز أمراً ملكياً يقضي بالتزام المملكة العربية بعلاج الجرحى من المقاتلين الفلسطينيين نتيجة الاعتداء الإسرائيلي عليهم سواء داخل مستشفيات المملكة أو خارجها.

١٤٠٣/٠١/١٦هـ

وضع الملك فهد حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

صدور قرار مجلس الوزراء بتشكيل هيئة ملكية برئاسة الملك فهد بن عبد العزيز للإشراف على تطوير المدينة المنورة.

١٤٠٣/٠٤/١٦هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز خط أنابيب الزيت الخام ومصفاة بترومين ومعمل تخزين الغاز الطبيعي في ينبع، ويعتبر إنجاز خط الأنابيب الخاص بالغاز السائل إنجازاً رائعاً ويبلغ طوله (١٢٠٠) كيلومتر. ومعمل تجزئة الغاز الطبيعي هو جزء من شبكة الغاز الرئيسية بالمملكة العربية السعودية وأمكن إضافة ما يعادل (١٥٠) ألف برميل من الوقود، أما مصفاة بترومين فتبلغ طاقتها في مراحلها الأولى (١٧٠) ألف برميل يومياً.

١٤٠٣/٠٧/١٧هـ

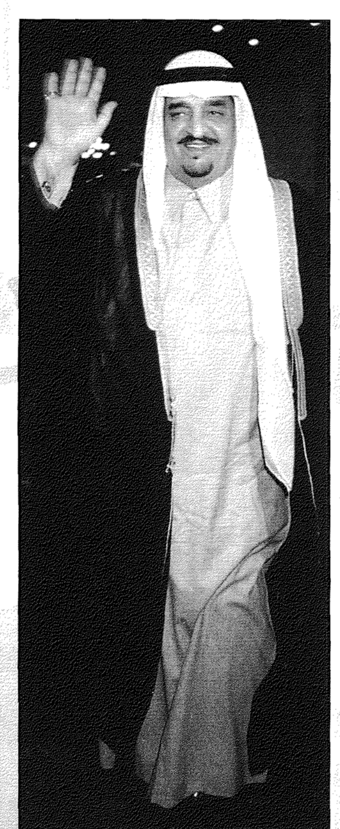
افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز منجم مهد الذهب الذي يقع على بُعد «٤٠٠» كم شمال شرق مدينة جدة.

١٤٠٣/٠٨/١٢هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز ميناء الملك فهد الصناعي التابع للمؤسسة العامة للموانئ بمدينة الجبيل الصناعية.

١٤٠٣/٠٨/٢٦هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز إلى وزارة المالية والاقتصاد الوطني بتنفيذ مشروع تكييف المسعى بالحرم المكي الشريف خدمة للحجاج والمعتمرين والزائرين لبيت الله.



١٤٠٣/٠٩/١١هـ

موافقة الملك فهد بن عبد العزيز على ترسية الجزء الأول من مشروع محطة تحلية الشعيبة لإمداد مكة المكرمة والطائف بما مقداره (٤٠) مليون جالوناً من الماء في المرحلة الأولى.

١٤٠٤/٠٢/١٦هـ

رعاية الملك فهد بن عبد العزيز الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات، وتم تسليم الجائزة لثلاثة من أبرز الأدباء السعوديين هم: حمد بن محمد الجاسر وأحمد بن محمد السباعي وعبدالله محمد بن خميس.

١٤٠٤/٠/٢/١٢هـ

صدور نداء من الملك فهد بن عبد العزيز إلى إخوانه على أرض لبنان بوقف الاقتتال والفرقة. ووضع حد للمأساة الأليمة التي حلت بأرض لبنان ووجد نداؤه الصريح والواضح صداً عربياً وإسلامياً وعالمياً.

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ويقع على بعد (٣٥) كلم من الرياض بمساحة (٢٢٥) كلم مربع ومدرجاته بطول (٤,٢٠٠) كلم وعرض (٦٠) متراً وأربعة مبانٍ للركاب وصالة ملكية ومسجد وبرج مراقبة بطول (٨١) متراً.

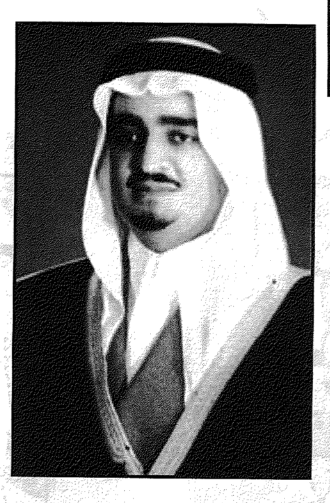
١٤٠٤/٤/٢٢هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز بإقامة أول مشروع لتوزيع المياه على حجاج بيت الله الحرام خلال موسم الحج على نفقته الخاصة.

١٤٠٤/٠٥/٢٤هـ

استلام الملك فهد بن عبد العزيز جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام في الحفل السادس لجائزة الملك فيصل العالمية بمدينة الرياض.

وداعاً أبا فيصل



٢٢/٠٩/١٤٠٤هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز بإعداد دراسة لشق نفقين حول الحرم المكي لتسهيل حركة مرور السيارات.

٢٣/٠٩/١٤٠٤هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز بتوسعة جديدة للحرم المكي الشريف من الجهة الغربية، على أن يتم ضم مساحة السوق الصغير إلى الحرم، وتتكون من دورين وبتصميم التوسعة السابقة للحرم.

١٥/٠١/١٤٠٥هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز طريق مكة المكرمة – المدينة المنورة السريع وسط احتفال كبير.

٠٦/٠٢/١٤٠٥هـ

افتتاح الملك فهد مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٠٩/٠٢/١٤٠٥هـ

تفضل الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، حيث تضيف التوسعة (٨٢) ألف متر مربع.

٠٥/١٠/١٤٠٥هـ

إجراء الملك فهد بن عبد العزيز مكالمة هاتفية مع رائد الفضاء العربي الأمير سلطان بن سلمان على متن ديسكفري، وهنأه بنجاح الرحلة له ولزملائه.

١٨/١١/١٤٠٥هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز منح كل حاج مصحفاً من طباعة مجمع الملك فهد.

٢٦/١١/١٤٠٥هـ

توجيه الملك فهد بن عبد العزيز بتنفيذ مشروع المملكة العربية السعودية للاستفادة من لحوم الأضاحي.

١٤٠٥هـ

تمكن المملكة العربية السعودية بفضل من الله ثم بفضل الاهتمام والمتابعة التي يوليها الملك فهد بن عبدالعزيز للقطاع الزراعي من الاكتفاء من عدة سلع مهمة واستراتيجية كالقمح والتمور والألبان ومشتقاتها.

٠٩/٠١/١٤٠٦هـ

صدور الأمر الملكي ببدء أعمال التوسعة للمسجد النبوي الشريف وذلك على مساحة (٢٢٨,٠٠٠) متر مربع وتكلفة قدرها ستة بلايين ريال.

١٨/٠١/١٤٠٧هـ

توجيه الملك فهد بن عبد العزيز الأمراء والوزراء

بتخصيص يوم معين يختاره كل منهم لاستقبال ذوي الحاجات.

١٤٠٧/٠٢/١٣هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز المجمع الصناعي لشركة الكابلات السعودية بجدة وقد بلغت تكلفة المشروع (٨٠٠) مليون ريال، وتصل طاقته الإنتاجية حوالي (١١٠٠) مليون طن سنوياً.

١٤٠٧/٠٢/٢٤هـ

استبدال لقب «صاحب الجلالة» بلقب خادم الحرمين الشريفين جاء ذلك خلال كلمة الملك فهد بن عبدالعزيز في افتتاح مركز تلفزيون المدينة المنورة جاء فيه: «عن رغبة ملحة تخامرني باستبدال مسمى (صاحب الجلالة) بلقب أحبه ويشرفني أن أحمله هو (خادم الحرمين الشريفين) وسوف يعتمد هذا رسمياً منذ الآن.

١٤٠٧/٠٣/٢٤هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز وأمير دولة البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة جسر السعودية - البحرين وأطلق عليه أمير البحرين اسم (جسر الملك فهد).

١٤٠٧/٠٩/٢٦هـ

توجيه الملك فهد بن عبد العزيز بمنح المنتجات الوطنية أولوية وتخفيضاً بنسبة ٣٠٪ من المستوى الحالي نسبة للإعلان التجاري بالتلفزيون وذلك اعتباراً من غرة شوال ١٤٠٧هـ

١٤٠٧/١٢/٢٥هـ

افتتاح الملك فهد بن عبدالعزيز مدينة الملك فهد للاتصالات الفضائية بأم السلم بجدة وتعتبر أكبر مجمع للاتصالات في الشرق الأوسط.

١٤٠٨/٠٢/١٩هـ

تبرُع الملك فهد بن عبد العزيز بإنشاء وقف إسلامي يكون دخله لدعم العمل الإسلامي وجهود رابطة العالم الإسلامي في مجال الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم.

١٤٠٨/٠٦/١٢هـ

صدور أمر الملك فهد بن عبد العزيز بالعفو عن نصف محكومية كل سجين يتمكن من حفظ القرآن أثناء فترة سجنه.

١٤٠٩/٠٢/٠٢هـ

وضع الملك فهد بن عبد العزيز حجر الأساس لأكبر توسعة يشهدها المسجد الحرام بمكة المكرمة ليتسع بعد تنفيذ المرحلة الرابعة لحوالي مليون مصلٍ.

١٤٠٩/٠٦/٠٨هـ

بدء التنفيذ بمشروع الملك فهد بن عبد العزيز لتوسعة الحرم المكي الشريف، وتُعَدّ أكبر وأضخم توسعة يشهدها الحرم المكي الشريف.

١٤١٠/٣/٢٣هـ

إعلان وثيقة الطائف لحل المشكلة اللبنانية برعاية الملك فهد بن عبد العزيز.

١٤١٠/١٠/٠٩هـ

صدور تعليمات الملك فهد بن عبد العزيز بأن تتكفل المملكة العربية السعودية بتكاليف إتمام مشروع المركز الإسلامي في روما الذي يعد أكبر مؤسسة إسلامية في أوروبا.

١٤١١/٠٥/٠٥هـ

حصول الملك فهد بن عبد العزيز على جائزة (جمعية معاً من أجل السلام) العالمية في روما تقديراً لجهوده في رعاية السلام ومساعدة الدول والشعوب النامية.

وداعاً أبا فيصل

١٤١١/٠٩/١٩هـ

صدور توجيهات الملك فهد بن عبد العزيز بأن يقوم تلفزيون المملكة العربية السعودية بنقل الشعائر الدينية إلى العالم الإسلامي والعربي.

١٤١٢/٠٨/٢٧هـ

صدور الأوامر الملكية بالنظام الاساسي للحكم، ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق وذلك في بادرة تاريخية من مبادرات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز.

١٤١٣/٠٩/١٨هـ

اجتماع القيادات الأفغانية في لقاء تاريخي بمكة المكرمة تحت رعاية الملك فهد بن عبد العزيز وتوقيع اتفاق السلام والوفاق بين الإخوة الأفغان بحضور محمد نواز شريف رئيس وزراء باكستان.

١٤١٤/٠٥/٢٩هـ

احتفال جامعة هارفارد الأمريكية بتأسيس كرسي الملك فهد لدراسة الشريعة الإسلامية الذي تم تأسيسه بمنحة كريمة من الملك فهد بن عبد العزيز.

١٤١٤/٠٧/١٦هـ

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز مقر مجلس الشورى.

١٤١٥/٠٤/٢٩هـ

صدور موافقة الملك فهد بن عبد العزيز على إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية برئاسة الأمير سلطان ابن عبد العزيز.

١٤١٩/١٠/٠٥هـ

رعاية الملك فهد بن عبد العزيز الحفل الرسمي بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية وتقليد الأوسمة لأبناء وأحفاد الرجال الذين دخلوا الرياض مع الملك عبد العزيز سنة ١٣١٩هـ.

افتتاح الملك فهد بن عبد العزيز مركز الملك عبد العزيز التاريخي في قصر الحكم بالرياض ضمن فعاليات الاحتفالات بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

١٤٢٠/٣/٢هـ

صدور أوامر ملكية بإعادة تشكيل مجلس الوزراء وإنشاء وزارة الخدمة المدنية.

١٤٢٠/٠٥/١٧هـ

صدور الأمر الملكي بتشكيل المجلس الاقتصادي الأعلى.

١٤٢٠/٩/٢٧هـ

صدور الأمر الملكي الكريم بتشكيل المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن.

١٤٢١/١/٥هـ

صدور المرسوم الملكي بالموافقة على نظام الاستثمار الأجنبي.

١٤٢١/١/١٢هـ

موافقة مجلس الوزراء برئاسة الملك فهد بن عبدالعزيز على تنظيم الهيئة العليا للسياحة.

١٤٢١/٤/٨هـ

إقرار مشروع نظام التملك لغير السعوديين للعقار واستثماره.

١٤٢٢/٠٣/٠١هـ

صدور الأمر الملكي بتشكيل مجلس الشورى وزيادة عدد أعضائه إلى (١٢٠) عضواً.

١٤٢٢/٠٤/٢٥هـ

صدور موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إنشاء وزارة مستقلة للمياه.

التنمية الشاملة

اهتم قادة المملكة منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز وطوال عهد أبنائه حتى الوقت الحاضر في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – يرحمه الله – بالإنسان العربي المسلم في هذه البلاد فهو محور التنمية وأداتها وهدفها. وقد سعى الملك عبد العزيز – رحمه الله – إلى الاهتمام بهذا الجانب منذ مراحل التأسيس الأولى وحسب الإمكانات المتاحة آنذاك، فوضع أسس ودعائم الدولة الحديثة. ثم واصل أبناؤه من بعده الملك سعود والملك فيصل والملك خالد – يرحمهم الله – المسيرة في تطوير هذه البلاد وكان لهم جهودهم ولمساتهم وإنجازاتهم في المسيرة التنموية، ثم جاء عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز –رحمه الله– الذي تميز بالتقدم الكبير للنهضة التنموية الشاملة في الميادين الصناعية والتجارية والاجتماعية، وكان النتاج ما نلمسه اليوم من تنمية شاملة في شتى المجالات أذهلت القاصي والداني من المراقبين والدارسين. وقد مرت النهضة التنموية بمجالاتها ومظاهرها كافة بعدة مراحل، ولكن التخطيط التنموي في المملكة العربية السعودية بدأ منذ عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م فكان عهد الملك فيصل وعهد الملك خالد –يرحمهما الله– بدايات التخطيط والتنفيذ وفقاً لمراحل تطور المجتمع السعودي واحتياجاته. ويمكن معرفة مراحل التطور التنموي في المملكة العربية السعودية بعد عهد الملك عبد العزيز إلى الوقت الحاضر بتتبع ورصد أهم مظاهر التنمية المختلفة واستعراض أهم الإنجازات التي تحققت في شتى المجالات.

الصناعة

أولت الدولة القطاع الصناعي أهمية كبيرة أسهمت إسهاماً أساسياً بشكل واضح خلال خطط التنمية



الماضية، حيث ازدهر القطاع الصناعي، وأكبر دليل على ذلك التطور وتضاعف نسبة إسهام القطاع الصناعي في الناتج المحلي: حيث كان ذلك الإسهام قبيل بداية خطة التنمية الأولى ١٣٨٩ – ١٣٩٠هـ/١٩٦٩م لا يتجاوز ٢,٥٪ فقط بينما قفزت تلك النسبة لتصل في العام ١٤١٩–١٤٢٠هـ/١٩٩٩م إلى حوالي ٦,٧٪ وترجع هذه القفزة في حصة النشاط الصناعي في الناتج الوطني إلى ما أولته الدولة من دعم كبير لهذا القطاع، ويتضح مدى ذلك الدعم فيما صرفته الدولة ولا تزال من قروض داعمة للنشاط الصناعي، حيث أنشأت الدولة لهذا الغرض صندوق التنمية الصناعي السعودي الذي أسهم إسهاماً أساسياً في دعم المشاريع الصناعية في القطاع الخاص، وقد ارتفع الدعم الحكومي لتلك المشاريع الصناعية من

(٣٥) مليون ريال مع نهاية فترة خطة التنمية الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٩٤م الى (٢٦,٧) بليون ريال حتى العام ١٤١٩/١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م وقد استثمر هذا الدعم في إقامة مشاريع نهضة صناعية مذهلة، إذ تضاعف رأس المال المستثمر في الصناعة من (٢,٨) بليون ريال عام ١٣٩٠ - ١٣٩١هـ/١٩٧٠م الى ما يقارب (٢٣١,٢) بليون ريال عام ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ومن البدهي أن ينعكس ذلك الدعم الحكومي على زيادة عدد المصانع والعاملين بها أيضاً إذ ارتفع عدد المصانع الحكومية والأهلية من (١٩٩) مصنعاً عام ١٣٩٠ - ١٣٩١هـ/١٩٧٠م إلى (٣١٦٣) مصنعاً في العام ١٤١٩هـ - ١٤٢٠/١٩٩٩م. كما زاد تبعاً لذلك عدد العاملين في المصانع بشكل مذهل فارتفع من (١٤) ألف موظف وعامل عام ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م إلى (٢٩١,٦) ألف موظف وعامل عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

التجارة

من البدهي أن هذا التطور والنمو الصناعي للمملكة العربية السعودية سينعكس إيجاباً على التجارة، سواء تجارة الصادرات أو الواردات، فالمقارنة غير واردة أصلاً بين الحركة التجارية في المملكة عند تأسيسها وما وصلت له اليوم، فقد تحولت التجارة في هذه البلاد من تجارة محدودة موسمية تعتمد بشكل كبير على المواسم مثل موسم الحج مثلاً إلى تجارة تقوم على أسس اقتصادية ثابتة هي بالأصح ثمرة لما وصلت إليه المملكة من تنمية شاملة في شتى المجالات الصناعية والزراعية والبشرية، وحقق الميزان التجاري فائضاً في صالح المملكة العربية السعودية بلغ (٤٥,٥) بليون ريال عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م في حين انخفضت قيمة الواردات من (١٢٤,٥) بليون ريال عام ١٤١٢- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م إلى (١٠٥) بليون ريال عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، وهذا يؤكد حقيقة تحول المملكة من دولة مستوردة لمعظم احتياجاتها إلى دولة مكتفية ذاتيا؛ بل ومصدرة للفائض عن ذلك الاحتياج في بعض السلع والمنتجات.

التعليم

ظل التعليم هدفاً رئيساً سعى الملك عبد العزيز وأبناؤه من بعده على تحقيقه لأبناء المملكة، فقد أنشأ الملك عبد العزيز حتى قبل توحيد المملكة وبالتحديد في عام ١٣٤٤هـ مديرية المعارف بمكة المكرمة في دلالة واضحة على اهتمامه - رحمه الله - بالتعليم ومحاولة تعميمه مجاناً لأهل هذه البلاد، وقد أدرك قادة المملكة منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز حتى الوقت الحاضر أن تعليم أبناء وبنات المملكة هو الثروة الحقيقية والدعامة الأساسية لبناء دولة قوية مسلمة عصرية، وقد تطور التعليم تدريجياً حسب إمكانات البلاد الاقتصادية والبشرية ولكنه خطا خطوته الواعدة منذ أن تولى الأمير فهد بن عبدالعزيز أول وزارة للمعارف في المملكة عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣م، وقتها بدأت تظهر ملامح السياسة التعليمية وأسسها التي كانت النواة للنهضة التعليمية المذهلة التي نعيشها في الوقت الحاضر، وقد تحول التعليم منذ ذلك الحين إلى هدف أساسي واستراتيجي من أهداف واستراتيجيات خطط التنمية.

وقد مر التعليم بمراحل تطويرية وقفز قفزات هائلة من حيث الكم والنوع وتوسعت الدولة في فتح المدارس في مختلف المراحل للبنين والبنات، كما أنشئت الجامعات التي تشمل العديد من التخصصات الدقيقة في العديد من مدن المملكة.

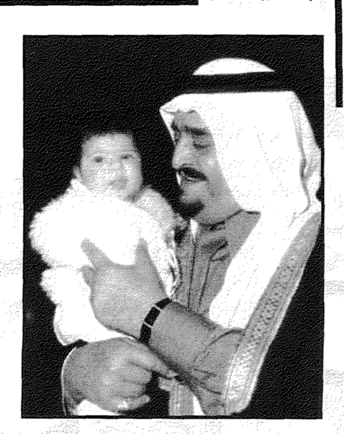
وركزت الدولة خططها التنموية الخمس الماضية على التعليم وجعلته أحد أهداف وأساسيات خطط التنمية. وتبين الإحصاءات الحكومية في هذا المجال مدى ما وصل إليه التعليم من تطور وتوسع ليعمم في معظم مدن المملكة وقراها وهجرها. فقد زاد عدد المدارس والكليات التابعة للمؤسسات التعليمية من ٣٢٨٣ عام ١٣٨٩-١٣٩٠هـ/١٩٦٩ - ١٩٧٠م إلى (٢٢٧٧٠) عام ١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.

ونتيجة للنهضة الشاملة التي تعيشها المملكة ومتطلباتها من القوة البشرية، ونظراً للزيادة المطردة في أعداد الطلاب والطالبات المتخرجين من الثانوية العامة، فقد توسعت الدولة في التعليم العالي، حيث وصلت الجامعات السعودية إلى إحدى عشرة جامعة هي: جامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبدالعزيز، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وجامعة الملك فيصل، وجامعة الملك خالد، جامعة الطائف، جامعة القصيم، جامعة طيبة، بالإضافة إلى الكليات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، وكليات المعلمين التابعة لوزارة المعارف، والكليات والمعاهد التابعة لوزارة الصحة، ووزارة البرق والبريد والهاتف، والهيئة الملكية للجبيل وينبع، وذلك بالإضافة إلى الجامعات والكليات الأهلية.

الزراعة والأمن الغذائي

حظيت الزراعة بنصيب وافر من الرعاية والاهتمام في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وما تحقق في هذا المجال يعد إحدى العلامات البارزة التي تميزت بها التجربة التنموية السعودية، بل بالأحرى أحد الإنجازات الخارقة التي أذهلت المراقبين والدارسين والمتتبعين لماضي هذه البلاد وحاضرها، فقد استطاعت الدولة بتخطيطها السليم واستقرائها الناضج لمتطلبات العصر الحديث، وبدعمها السخي لهذا القطاع وبما يشبه





المعجزة تحويل الصحاري القاحلة المقفرة في قلب جزيرة العرب إلى جنة وارفة الظلال وفيرة الغلال وفي زمن قياسي لا يتجاوز ربع القرن. ومن مظاهر اهتمام الدولة ورعايتها لهذا القطاع إنشاؤها لوزارة الزراعة والمياه منذ بداية تأسيس المملكة العربية السعودية لتتولى مهمة التخطيط والتنفيذ للمشاريع الزراعية والمائية، وقد قامت الدولة بإنشاء السدود وحفر الآبار الارتوازية وتوزيع الأراضي على المزارعين واستصلاح الأراضي، كما أنشأت البنك الزراعي السعودي لإقراض المزارعين والمستثمرين في القطاع الزراعي، وقد أسهم البنك في النهوض بمسيرة التنمية الزراعية في المملكة وليس أدل على ذلك من الزيادة المضطردة في قيمة القروض التي قدمها في هذا المجال، حيث زادت من (١٦,٦) مليون ريال عام ١٣٩٠ - ١٣٩١هـ/١٩٧٩م إلى (٩٠٣) مليون ريال عام ١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م ويلاحظ أن هذه القروض بلغت أعلى معدل لها في فترة خطة التنمية الثالثة ١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ/١٩٨٠ - ١٩٨٥م حيث بلغت رقماً كبيراً وصل إلى (٢,٣) بليون ريال.

١/ سد وادي جازان

٢/ سد وادي نجران

٣/ سد وادي حنيفة، سد الحائر، سد وادي لبن، سد نمار، سد العلب ... وتقع هذه السدود الخمسة قرب مدينة الرياض

٤/ سد عكرمة بالطائف، وغيرها من السدود في بعض مناطق المملكة.

ثم جاءت وثبة الزراعة وقمة تطورها في عهد خادم الحرمين الشريفين - يرحمه الله - عندما بدأت المملكة تطبق نظرية الاكتفاء الذاتي الغذائي خاصة من القمح وبعض المحاصيل الغذائية الأخرى، وأقيمت المشاريع الزراعية الكبرى لذلك وأنشئت الشركات الزراعية، وزاد الإنتاج وعم الازدهار الزراعي والغذائي الكثير من مناطق المملكة، وحققت نجاحاً ملحوظاً في زراعة القمح إلى جانب الاشتهار بزراعة النخيل وإنتاج التمور وإنتاج العديد من المحاصيل الزراعية الأخرى كالشعير والذرة والبرسيم والخضر الصيفية والشتوية، وأنواع الفاكهة كالبرتقال واليوسفي و(الجريب فروت) والرمان والعنب كما أقيم بالمنطقة العديد من المشاريع الأخرى لإنتاج الدواجن والألبان وأخرى لمزارع الأسماك وتربية الأغنام.

الرعاية الصحية والاجتماعية

تسعى الدولة جاهدة إلى توفير الرعاية الصحية مجاناً للمواطنين من خلال مستشفيات الدولة التي تتولى إدارتها وتشغيلها وزارة الصحة وبعض الهيئات كالجامعات ومراكز الأبحاث، وقد تطورت الخدمات

والتجهيزات الصحية بالمملكة وظهرت بشكل متميز في منطقة الشرق الأوسط، كما أن هذه الخدمات أصبحت تضاهي مثيلاتها في الدول المتقدمة، وقد حظي القطاع الصحي برعاية الدولة واهتمامها فنالت الخدمات الصحية ما ناله غيرها من المرافق الحيوية في المملكة من تطور وازدهار، فقد زاد عدد المستشفيات في المملكة من (٤٧) مستشفى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى (١٨٦) مستشفى عاماً ١٤١٩هـ/١٩٩٩م كما قفز عدد المراكز الصحية من (٥١٩) إلى (١٧٥٦) مركزاً في الفترة نفسها وتبعاً لذلك زاد عدد الأسرَّة في المستشفيات من ٧١٦٥ إلى (٢٧٧٩٤) سريراً، فيما زاد عدد الأطباء أيضاً في الفترة المشار إليها من (٧٨٩) إلى (١٤٧٨٦) وكذلك زاد عدد هيئة التمريض من (٢٢٥٣) إلى (٣٦٣٤٠) وكذلك عدد الصيادلة والفنيين كان له نصيبه من ذلك التطور، قفز من (١٣٩٦) إلى (٢٢١٨٨) في الفترة ذاتها ولم تتوان الدولة في تعميم الرعاية الصحية وإنشاء المستشفيات الحديثة المجهزة بأحدث التجهيزات الطبية.

وقد حققت مستشفيات المملكة تطوراً مذهلاً في عمليات القلب المفتوح وزراعة الكبد وغيرها من العمليات المعقدة، هناك المستشفى الطائر الذي يتولى مهمة نقل المصابين والمرضى والعناية بهم، وذلك عن طريق أسطوله المجهز بأحدث التجهيزات الطبية والمكون من (١٧) طائرة هذا بالإضافة إلى طائرة خاصة مجهزة تجهيزاً عالياً وهي قادرة على التحليق لمسافات طويلة وإيصال المريض إلى أي مكان استشفاء في العالم.

وفي مجال الرعاية الاجتماعية تولي الدولة جل اهتمامها للفئات الاجتماعية من المجتمع السعودي المحتاجة إلى ذلك ويشمل نشاطها رعاية ذوي الظروف الخاصة من أبناء المجتمع السعودي كالعجزة والمسنين والأيتام والمعاقين والأحداث، وقد بلغت المؤسسات التي تتولى ذلك في العام ١٤١٥ - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م حوالى (٩٥) داراً.

الأمن وتطور خدماته في المملكة

من الحقائق البديهية المسلم بها أن الأمن والتنمية صنوان لا يفترقان، فكما يقال: لا تنمية بلا استقرار ولا استقرار بدون أمن. وقد تنبهت المملكة العربية السعودية لهذه الحقيقة منذ البدايات وأولت هذه المسألة جل اهتمامها ممثلة في وزارة الداخلية التي تضطلع بالدور الأساس والرئيس في حفظ الأمن والعمل على تعميمه والمحافظة على راحة وطمأنينة المواطنين والمقيمين. وقد تضافرت العديد من العوامل التي أسهمت فيما وصلت إليه المملكة من أمن واستقرار يضرب به المثل؛ ومن هذه العوامل: حرص المملكة ممثلة في قياداتها منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز على تطبيق شريعة الله وأحكامها خاصة ما يتعلق منها بالمسائل الجنائية والحزم في ذلك مما أدى الى تقليل دوافع الانحراف والجريمة، وأشعر المارقين والعابثين بصرامة التطبيق في الأحكام الشرعية. إضافة الى ذلك ما تميز به أهل هذه البلاد من ورع وتقوى ومعرفة بأحكام الدين حلاله وحرامه وكذلك حرصهم على العمل النافع وابتعادهم عن الأعمال المقوتة شرعاً وعرفاً كما أن هناك عاملاً مهماً هو استقرار الحكم في المملكة لقيامه على أسس الإسلام والعدل، وحرص الدولة على رعاية مواطنيها.

النقل والمواصلات

يعد التطور المذهل الذي شهده قطاع النقل والمواصلات في المملكة العربية السعودية من الإنجازات والعلامات البارزة في التجربة السعودية التنموية، حيث

وداعاً أبا فيصل

كان التنقل في الماضي من شرق المملكة إلى غربها أو من شمالها إلى جنوبها أو حتى بين المناطق الداخلية أمراً شاقاً يستغرق عشرات الأيام، وذلك نظراً لاتساع المساحة الجغرافية وتباعد الحواضر عن بعضها بعضاً، وتنوع التضاريس ووعورة مسالكها إضافة الى قلة الطرق المعبدة وندرة وسائط النقل الحديثة، وقد بدأت الجهود المباركة في العمل على تطوير وسائل المواصلات ومد الطرق منذ عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - وقد أخذ هذا في التحسن والتطور تدريجياً فشقت العديد من الطرق في المناطق الجبلية ومدت الطرق ذات المسار الواحد بين المدن الرئيسة، ولكن التطور المذهل والقفزة الهائلة في مجال بناء شبكة الطرق الرئيسة ووسائط النقل قد ظهرت بوادره منذ أوائل التسعينيات الهجرية أي منذ بداية تنفيذ خطط التنمية ثم اكتملت معظم مرافق الطرق ووصلت إلى أوج اتساعها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -يرحمه الله- فأصبح الانتقال من شرق المملكة إلى غربها أو من شمالها الى جنوبها أمراً ميسوراً نظراً لجهود الدولة البارزة في هذا المجال، حيث ربطت معظم مدن المملكة بعضها ببعض بشبكة من الطرق الرئيسة تربط شرق البلاد على ساحل الخليج العربي بغربها على ساحل البحر الأحمر وشمالها بجنوبها إضافة إلى شبكات الطرق الداخلية التي تربط المدن مع بعضها وتصل بين مناطق المملكة الداخلية.

الاتصالات

أولت الدولة اهتماماً خاصاً لقطاع الاتصالات فكان أحد أهداف خطط الدولة التنموية ونظراً لاهمية الاتصالات في عالم اليوم فقد توسعت الدولة في هذا المجال ونفذت على مدار السنوات الماضية العديد من المشاريع العملاقة التي تولت وزارة البرق والبريد والهاتف مهمة التخطيط والإشراف على تنفيذها، وقد نفذت الوزارة مشاريع ضخمة في هذا المجال فارتبطت المملكة بالعالم عن طريق الأقمار الاصطناعية أو الكوابل البحرية والمحورية، وشملت الخدمة الهاتفية معظم مدن المملكة وحواضرها وفتحت مكاتب للبريد والبرقيات في جميع أنحاء المملكة. كما أنشأت الوزارة مركزاً للمعلومات الهاتفية يعمل بواسطة الحاسب الآلي مقره الرياض، وقد شهدت خدمة الاتصالات الهاتفية تطوراً كبيراً.

وتوضح الاحصاءات الرسمية مدى ما وصل إليه قطاع الاتصالات من تطور مذهل خلال ربع القرن الماضي، حيث توسعت الدولة في هذا القطاع فقد زادت خطوط الهاتف (السنترالات) في المملكة من حوالى (٧٦,٦) ألف خط عام ١٣٩٠ . ١٣٩١هـ/١٩٧٠-١٩٧١م لتصل الى (٣,٨٥) مليون خط عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ بينما قفز عدد الهواتف العاملة في المملكة من حوالي (٢٩,٤) ألف هاتف إلى (٢,٧) مليون هاتف عام ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م أما الخدمة البريدية فقد شهدت توسعاً كبيراً يلاحظ ذلك من الزيادة في عدد المراسلات الداخلية المتبادلة وعدد المواد البريدية الواردة والصادرة، فقد زاد عدد المراسلات البريدية الداخلية من (١٩,١) مليون مادة بريدية عام ١٣٩٠ - ١٣٩١هـ/١٩٧٠ - ١٩٧١م الى (٣٤٥,٦) مليون مادة بريدية عام ١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ/١٩٩٨ - ١٩٩٩م أما المواد البريدية الواردة فقد قفز عددها من ٢٠,٥ مليون إلى (٣٥٠,٨) مليون مادة بريدية سنوياً في الفترة نفسها؛ وكذلك المواد البريدية الصادرة شملتها الزيادة لترتفع في الفترة ذاتها من (١٣,٣) مليون إلى (٢٥٧,٨) مليون مادة بريدية سنوياً.

الإدارة

اهتمت المملكة بتطوير أساليب الإدارة في الجهات

والإدارات الحكومية المختلفة منذ عهد مبكر فأنشئ معهد الإدارة عام ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م ليتولى مهمة رفع مستوى الأداء الإداري وتدعيم قوة الاقتصاد السعودي، وذلك عن طريق الدورات والبرامج التي يوفرها بهدف رفع مستوى موظفي الدولة وإعدادهم علمياً وعملياً لذلك الغرض.

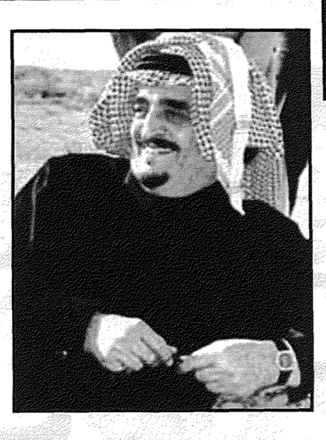
وتتولى اللجنة العليا للإصلاح الإداري مهمة التخطيط والإشراف وتنفيذ خطط الدولة بتطوير أساليب الإدارة الحكومية وليس أدل على اهتمام الدولة بهذا القطاع أكثر من أن قائد البلاد خادم الحرمين الشريفين يقوم برئاسة اللجنة العليا للاصلاح الإداري وتهتم الوزارات والإدارات الحكومية بتطوير مستوى الأداء الإداري ورفع كفاءة الموظفين عن طريق الدورات المتخصصة التي تعقد لهم بين الحين والآخر خلال حياتهم العملية التي ينظمها معهد الإدارة العامة، وفي بعض الجهات الحكومية: فإن اجتياز مثل هذه الدورات بنجاح شرط من شروط الترقية من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها، ويضطلع معهد الإدارة بدور رئيس في مجال تطوير وتنظيم الإدارة الحكومية، حيث يقوم بتقديم المشورة في حل المشكلات الإدارية كما يعد البحوث والدراسات المتخصصة بشؤون الإدارة وأساليبها، وتتسع مهام المعهد ليتولى عقد دورات التدريب لموظفي الدولة في مجالات عديدة تشمل برامج التدريب للإدارة العليا والتدريب الإعدادي اي ما قبل الخدمة، برامج إدارة التسويق والإدارة البنكية وقطاع الأهالي، التدريب أثناء الخدمة، التدريب أثناء العمل، ويعكس التزايد المطرد في أعداد المتدربين الاهتمام الذي توليه الدولة لتطوير مستوى الأداء الإداري كما أنه يوضح مدى النجاح الذي تحقق نتيجة لذلك، حيث توضح الاحصاءات الرسمية ازدياد عدد الذين اجتازوا برامج تدريبية بنجاح من ٩٩٧ عام ١٣٨٩ - ١٣٩٠هـ إلى (١٥٧٤٢) عام ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م متدرباً أما عدد الناجحين من معهد الإدارة العامة في الفترة من ١٣٨٩ - ١٣٩٠هـ إلى ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م فقد بلغ (١٨٣٦٥٨) خريجاً وتهتم الجامعات السعودية ومراكز الأبحاث في المملكة بالإدارة وأساليبها سواء الإدارة الحكومية أو إدارة المؤسسات الأهلية.



محطات تحلية المياه المالحة وتطورها

كان توفير المياه الصالحة للشرب يشكل معضلة رئيسة في جزيرة العرب قبل العهد السعودي الزاهر، وذلك نظراً للمناخ الصحراوي السائد في معظم أجزائها، الذي يتميز بقلة الأمطار. وقد تحسنت خدمات المياه منذ عهد الملك عبد العزيز، حيث تمكنت الدولة من مواجهة المشكلة بعدة وسائل كحفر الآبار الارتوازية، وتجميع مياه العيون في بعض الأودية ونقلها إلى المدن: ولكن مع زيادة النمو السكاني والعمراني في المملكة كانت الوسائل

وداعاً أبا فيصل



السابقة غير مجدية. لذا بدأت المملكة العربية السعودية في الأخذ بأحدث أساليب تنقية المياه المالحة وهو تحويل مياه البحر إلى مياه عذبة فأنشئت عام ١٣٨٩هـ محطتان لذلك في الوجه وضبا على البحر الأحمر.

وقد نجحت محطتا الوجه وضبا، ونتيجة لهذا النجاح أنشئت محطة تحلية المياه في جدة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠هـ بقدرة إنتاجية تبلغ (٥) ملايين جالون من المياه المحلاة و(٥٠) ألف كيلوات من الكهرباء المولدة، ثم طورت محطة جدة ليزداد إنتاجها بعد ذلك حتى وصل إلى (١٠٥,٧) مليون جالون من المياه المحلاة وأكثر من (٨٤٠) ميجاوات من الكهرباء المولدة.

توسعت الدولة في بناء محطات تحلية المياه المالحة بهدف توفير المزيد من المياه الصالحة للشرب والاستخدام اليومي فأنشئت محطات رئيسة في كل من الجبيل، الخبر، الشعيبة، والخفجي، أملج، رابغ، البرك، عسير. وتأتي محطة الجبيل كأكبر محطة لتحلية المياه في المملكة، حيث يبلغ إنتاجها اليومي (٢٤٠) مليون جالون. وقد اتبعت الدولة كحل لمشكلة المياه في المدن الداخلية كالرياض ومكة والطائف والمدينة وسيلة جر المياه من محطات التحلية من الجبيل، حيث تجري المياه إلى الرياض عبر خط أنابيب مزدوج طوله (٤٦٦) كم.

وتوضح الإحصاءات الرسمية مدى التطور المبهر الذي وصلت إليه مشاريع تحلية المياه في المملكة، حيث زادت طاقة محطات تحلية المياه من (٥,١) مليون جالون يومياً عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى (٥٧٢,٦) مليون جالون يومياً في العام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م أي بمعدل نمو سنوي متوسط نسبته ١٩,٩٪ وهي في زيادة مستمرة، كما ازداد حجم إمداد المياه من محطات التحلية، بدرجة كبيرة خلال الفترة المنصرمة، فارتفع من (٤,٦) مليون جالون يومياً في عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى (٤٥٨,١) مليون جالون يومياً في عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بمعدل نمو سنوي متوسط نسبته (١٧,٤٪). وتبلغ طاقة محطتي تحلية المياه اللتين تقعان في مدينة الجبيل (٢٤٦,٧) مليون جالون يومياً. أما طاقة المحطات التي تمد المدينة المنورة وينبع بالمياه المحلاة فهي (٨٥) مليون جالون يومياً. وتبلغ طاقة محطات التحلية في كل من جدة والخبر ومكة المكرمة /الطائف (١٠٧,٣) و(٥٠,٧) و(٥٠,٧) مليون جالون في اليوم على التوالي. أما الطاقة المتبقية وتبلغ نحو (٣٢,٢) مليون جالون يومياً فهي موزعة بين (٩) مواقع هي الوجه، وضبا، والخفجي، وأملج، وفرسان وحقل، ورابغ، والبرك، وعسير.

الخطوط الجوية العربية السعودية

لقد واكبت الخطوط السعودية التطور السريع في

النقل الجوي فوسعت الخطوط السعودية منذ إنشائها عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م شبكة رحلاتها الداخلية والخارجية: وترتبط شبكة النقل الجوي بين (٢٥) مطاراً داخل المملكة، منها مطارات دولية مثل مطار الملك عبد العزيز الدولي في جدة ومطار الملك خالد الدولي في الرياض، ومطار الملك فهد الدولي في المنطقة الشرقية. وقد صممت هذه المطارات لتواجه النمو السريع في حركة المسافرين واستيعاب الطائرات بمختلف أنواعها.

وقد تم افتتاح مطار الملك عبد العزيز بجدة في شهر رجب من عام ١٤٠١هـ الموافق شهر مايو من عام ١٩٨٠م، وتم افتتاح مطار الملك فهد بالمنطقة الشرقية في عام ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

وقد بلغ إجمالي المسافرين القادمين والمغادرين عبر مطارات المملكة عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م نحو (٢٨,٧) مليون مسافر منهم (٢٢,٧) مليوناً عبر المطارات الدولية.

الفعاليات الرياضية والمهرجانات الثقافية والتراثية

تولي المملكة اهتماماً كبيراً بالرياضة والشباب والنشاط الثقافي بكل فعالياته، لذا أنشئت الرئاسة العامة لرعاية الشباب التي تطورت من مديرية عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م لتتولى المسؤولية عن النشاطات الرياضية، والاجتماعية، والثقافية، وتقنين كيفية ممارسة هذه النشاطات. وتوفر الرئاسة العامة لرعاية الشباب المرافق الرياضية والمراكز، وصالات الألعاب المختلفة، ومعسكرات الشباب ومرافقها، الساحات الشعبية، مقار الأندية الرياضية كما أن الرئاسة تتولى تنظيم المسابقات للنشاط الثقافي في المجالات الأدبية كالشعر والنثر والنشاطات الفنية من رسم ونقش وغيرها. وقد حققت الرئاسة العامة لرعاية الشباب نجاحاً ملموساً في تحقيق أهدافها وخططها الطموحة ففي المجال الرياضي ارتفع عدد الأندية الرياضية من (٥٣) نادياً عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م إلى (١٥٤) نادياً رياضياً في عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، هذا بالإضافة إلى عدد الاتحادات الرياضية التي بلغت (٢٢) اتحاداً ولجنة ومكتباً. هذا؛ عدا مكاتب الشباب التي بلغت (١٣) مكتباً رئيساً و(٩) مكاتب فرعية. بالإضافة إلى المدن الرياضية المنتشرة في الكثير من مدن المملكة.

وشهدت الرياضة السعودية تطوراً باهراً في عهد خادم الحرمين الشريفين وحققت الرياضة السعودية نجاحات كبيرة.

حققت الرئاسة العامة لرعاية الشباب نجاحاً ملموساً في المجال الفني والثقافي؛ فقد أنشئت الأندية الأدبية التي يبلغ عددها حالياً (١٣) نادياً، كما أنشئت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون التي لها (٨) فروع في مدن المملكة الرئيسة.

أما المهرجانات الثقافية والتراثية فيأتي في مقدمتها المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الذي تطور من سباق للهجن إلى مؤسسة ثقافية متميزة تستقطب كل عام نخبة من المفكرين والمثقفين من العالم العربي والإسلامي والغربي ليتنافسوا في المسائل الثقافية المعاصرة ويقام على أرض الجنادرية كل عام قرية للتراث الشعبي تمثل كافة النشاطات التراثية والحرفية والفنية لجميع مناطق المملكة العربية السعودية.



بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة

عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥

٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠

تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مماقل



سيد الشهور

حقاً إن شهر رمضان لهو سيد الشهور، لانه حافل بالبركات والخيرات والسعادة والهناء والتوفيق.. نهاره صيام، وليله قيام، وبين قيام المؤمن في نهاره بفريضة صيامه الذي هو أحد أركان الإسلام، وبين قيامه بنافلة قيامه، يحوز المؤمن الصائم القائم كبريات المثوبات، ويحرز البشريات، وينال الاماني العذاب.. وذلك لتوافق روحه وجسمه في القيام بما هو في صالحهما معا. فالروح تحلق في سماء المكارم بسبب الصيام. والجسم يحلق في اجواء الصحة بسبب التقليل من الطعام والشراب واخذ الوقاية والكفاية منهما معا.. الوقاية من اوضار المسغبة الفتاكة بالانسان، والكفاية من الزاد الذي ينأى بصاحبه عن آفات المخمصة الضارة بالانسان..

رمضان شهر العبادة والاعتدال.. في شهر رمضان يستأنس المؤمن الصائم القائم بحقوق الصوم.. يستأنس بتلاوة القرآن المجيد آناء الليل واطراف النهار. فتسمو معنويته وتسري فرحة الايمان والاستقامة في شرايينه، ويتدرج في معارج التقوى بتدبره لآيات الله جل وعلا حيال مخلوقاته - أثناء تلاوته لآي الذكر الحكيم. وهناك يبصر بعين ذهنه المتفتحة، ويرى بذهن عينه المفتوح. فيسرح انظاره في روعة هذا الكتاب الخالد المعجز.. روعته في مفاهيمه ومراميه، وفي أهدافه وتوجيهاته وإرشاداته.. وروعته في أسلوبه الذي بهر العالم وانقطعت دونه أعناق ابلغ البلغاء..

إن الصيام اذا قام به المرء حق القيام، غير مكتف بترك الطعام والشراب وحدهما. بل انه يترك إلى جانب ذلك ارتكاب الآثام والغيبة والنميمة وقول الزور وسائر النواهي ماكان منها كبيراً وماكان منها صغيراً. إن الصيام اذا كان على هذا المنوال فإنه يعتبر بحق سيد انوا ع الرياضة.. لانه يجمع بين رياضة الروح ورياضة الجسم معاً.

«عبدالقدوس الأنصاري»

رمضان١٣٩٤هـ/اكتوبر-نوفمبر١٩٧٤م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - الإمارات ٨ دراهم - البحرين دينار واحد - سلطنة عُمان ٦٠٠ بيسة - قطر ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الأردن ٥٠٠ فلس تونس ٨٠٠ مليم - الجزائر ٨٠ ديناراً - سوريا ٤٥ ليرة - السودان ١٥٠ ديناراً لبنان ١٠٠ ليرة - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣٠٠ قرش - اليمن ١٠٠ ريال بريطانيا جنيه استرليني - فرنسا ١٠ فرنكات - امريكا ٣ دولارات

التوحيد والوحدة

□ على التوحيد والوحدة، قام هذا الكيان الكبير.. هذه المملكة العربية السعودية..

وعلى (التوحيد والوحدة) كانت مسيرة هذه المملكة، لم تفرط فى واحدة منهما.. لانهما (التوحيد والوحدة) كجناحي الطائر إذا استويا استوى له الطير فى الآفاق، علواً وارتفاعاً.. انتظاماً واعتدالاً.. سموقا وارتقاء.. وهكذا نشأت وتأسست هذه المملكة الفتية على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – وهكذا استمرت مسيرتها بجهد من بعده من أبنائه وأبناء هذه المملكة.

وهكذا تبقى مسيرتها دوماً..

وبهذا النهج فى الاعتدال اكتسبت المملكة احترام كل العالم.. وظلت ولاتزال الداعمة لكل العرب والمسلمين، بل الداعمة لكل القضايا الإنسانية فى اطار ثوابت دينها وعقيدتها ■

المحرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

عنوان الموقع :
WWW. al-manhalmagazine.com
البريد الإلكتروني :
E-mail : info@al-manhalmagazine.com

فهرس العدد

٥٩٨
المجلد ٦٧ / العام ٧١







فقرات مستقلة

**** أمة تقوم على (التوحيد والوحدة) فهي ولاشك أمة إنجاز وإعجاز.**
ص ٤

**** دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، يمكن القول (إنها المملكة في وثيقة ضخمة تسع مكونات الشعب كله).**
ص ٣٦

**** القراءة المجتزأة للنصوص خطأ منهجي فادح، تتولد عنه نتائج خاطئة.**
ص ٦٠

**** حاخامات اليهود حولوا التدين إلى وثنيه، وحولوا القيم (الانسانية - الربانية) إلى (عنصرية متوحشة).**
ص ٧٢

**** البيئات الجغرافية لها تأثيرها الفاعل في التكوين النفسي والجسدي.**
ص ١١٦

**** الدكتور شوقي ضيف جمع بين الموسوعية والتخصص، فأفاد اللغة والأدب والنقد.**
ص ١٢٦





الاشتراكات

جـــدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال،
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكـــالات التوزيـــع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥



دارة الملك عبد العزيز
العطاء .. والتميز


مصطفى محمد مصطفى
- جـدة -

□ كانت حُلماً جميلاً في خاطر من عايشوا الملك المؤسس عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ ..

هذا المؤسس البطل المقدام ـ بعون الله جلَّت قدرته، ثم بمحبيه ومعاونيه، وعارفي فضله ـ أسَّس دولة بكل مقومات الدولة، وحرّر أمة، ووحَّد شعباً كان أشتاتاً .. وزرع الأمن والأمان في كل أنحاء هذه الربوع .. زرعه ورسخه في القلوب، ثم أصبح واقعاً على الأرض ـ كما يقولون في المصطلح السياسي الحديث.

أمناً وأماناً يسير به الراكب والراجل والظاعن شرقاً وغرباً وهو مطمئن على نفسه وولده وماله .. هذا فضل الله سبحانه ..

الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ كان أنموذجاً في التضحية والبطولة، وأنموذجاً في رجل الدولة .. خلَّد عزّاً يُروى .. ومجداً يحكى .. ومن جاءوا بعده، كانوا إنجازاً وإعجازاً ..

وهذا الكيان الكبير ـ المملكة العربية السعودية ـ بطوله وعرضه وعمقه تاريخ يُدوَّن .. وحاضر يقف الجميع له، تحية تقدير وإكبار .. وإنسان هذه المملكة، تجلس إليه في حميمية، يُحدث ويحكي ويروي .. وتستزيد ..

لكل هذا، كانت (الدارة) حُلُماً جميلاً يحتضن كل هذا وذاك .. الرواية والحكاية، والحديث المدوّن والمرتجل والمحكي.

كانت (الدارة) حُلُماً جميلاً، يضم تاريخ هذه المملكة، وإنسان هذه المملكة في كل شيء .. في عقيدته وتدينه، في أمجاده وبطولاته في سياسته واقتصاده، في عاداته وتقاليده وأعرافه، في أفراحه وأتراحه ..

إنها المملكة في وثيقة ضخمة، تسع هذا الشعب كله ..

وكانت (الدارة) حلماً جميلاً، تسع ـ ما استطاعت ـ وثائق ومدونات عالمنا العربي والإسلامي ..

وتحقق الحلم الجميل .. وتأسست الدارة في بداياتها على يد الملك فيصل عليه رحمة الله، في شعبان ١٣٩٢هـ .. وكانت البداية، بداية الانطلاقة إلى الأرحب والأوسع في التدوين والتوثيق، حتى غدت الدارة (دارة الملك عبد العزيز) باسم المؤسس، غدت مرجعاً للدارسين والباحثين والقارئين .. وفوق ذلك، هي مستودع سرّ هذه الأمة.

وإن كان لـ (مجلة المنهل) أن تسجل هذا (الاستطلاع المصور) عن هذه الدارة العريقة، فإنها كلمة شكر تقدمها المنهل لكل القائمين بأمر هذه الدارة .. وموقف تقدير واكبار لكل ما تقدمه هذه الدارة.


د. فهد السماري
أمين عام دارة الملك عبدالعزيز

مقـر الـدارة:

تعد دارة الملك عبد العزيز أحد أبرز عناصر مـركز الملك عـبد العـزيز التـاريخي، هذا المركـز الحضاري التاريخي الذي أقيم في قلب العاصمة السعودية الرياض وعلى وجه التحديد في منطقة المربع التاريخية، ويضم إلى جانب الدارة وقصر المربع المتحف الوطني وفرع مكتبة الملك عبد العزيز العامة وقاعة المحاضرات ووكالة الآثار والمتاحف.

ويقع مبنى الدارة في الجانب الغربي لمركز الملك عـبد العزيز التاريخي وأقيم على مساحة (٧٠٠٠م٢) وتبلغ مساحة مبانيها (١٢٠٠٠م٢) وتم تصميم المبنى بحيث يحتفظ باللمسات المعمارية لقصر المربع كما تمت إعادة استخدام بعض العناصر المعمارية من القصر القديم كعناصر زخرفية في واجهات المبنى الجديد وأرضه.

ويضم مبنى الدارة: المكاتب الإدارية، وقاعة الملك عبد العزيز التذكارية ومكتبة الدارة إضافة إلى قسم الباحثات ومركز الوثائق والمعلومات ومركز التاريخ الشفوي ومركز نظم المعلومات الجغرافية ومركز الحاسب الآلي وأرشيف الصور والأفلام التاريخية وإدارة البحوث والنشر وإدارة مجلة الدارة.



الدارة

أهـداف الـدارة:

تضـمنت أهداف دارة الملك عـبـد العـزيز - الساعية إلى خدمة تاريخ وجغرافية وآداب وتراث المملكة العربية السعودية بخاصة والبلاد العربية والإسلامية بصفة عامة - محاور عدة من أهمها:

أولاً: تحقيق الكتب التى تخدم تاريخ المملكة وجـغـرافـيـتـهـا، وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية، وطبعها وترجمتها، وكذلك تاريخ وآثار الجزيرة العربية والبلاد العربية والإسلامية بشكل عام.

ثانياً: إعداد بحوث ودراسات ومحاضرات وندوات عن سيرة الملك عبد العزيز خاصة، وعن المملكة وحكامها وأعلامها قديماً وحديثاً بصفة عامة.

ثالثاً: المحافظة على مصادر تاريخ المملكة وجمعها.

رابعاً: إنشاء قاعة تذكارية تضم كل ما يصور حياة الملك عبد العزيز الوثائقية وغيره، وآثار الدولة السعودية منذ نشأتها.

خامساً: إصدار مجلة ثقافية تخدم أغراض الدارة.

سادساً: إنشاء مكتبة تضم كل ما يخدم أغراض الدارة.

سابعاً: خدمة الباحثين والباحثات في مجال اختصاصات الدارة.



منظر عام للدارة

وتنقسم الدارة إلى قسمين أساسيين :

١ ـ قاعة الملك عبد العزيز التذكارية:

وفيها يستطيع الزائر، أن يعيش سيرة الملك عبد العزيز بالصورة، والصوت، بما في ذلك قصة استرداده لمدينة الرياض، والانطلاق بعد ذلك لتوحيد أرجاء المملكة ونشر الأمن، والاستقرار في ربوعها، كما تحوي القاعة الخرائط واللوحات، التي تحكي مراحل تطور الدولة السعودية وبها لوحة كبيرة مضيئة عليها نسب آل سعود، ولوحة نحاسية حفرت عليها أسماء الرجال الذين صاحبوا الملك عبد العزيز في فتح الرياض.

تضم القاعة كذلك كثيراً من الأسلحة القديمة والسيوف المرصعة بالفضة، ونقوداً، وعملات ترجع لعهود قديمة، أكثرها من الفضة، وبعضها من الذهب الخالص، كذلك مجموعة من الساعات النادرة، التي كتب على بعضها اسم الملك عبدالعزيز، وعلى البعض الآخر رسمت صورته، كما تحتفظ القاعة بالساعة، التي كان يلبسها المغفور له في معصمه، كذلك بعض ملابس المغفور له، وسيارتين ماركة «كاديلاك» صنعتا خصيصاً له، إلى جانب مجموعة كبيرة من طوابع البريد القديمة النادرة.

٢ ـ المكتبة :

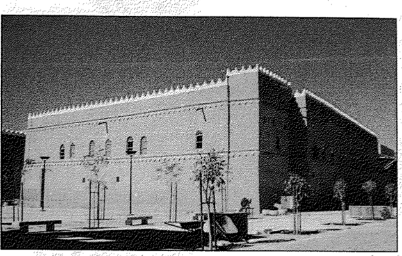
تحوي كل ما له علاقة بتاريخ الجزيرة العربية، وتضم قرابة الاثنى عشر ألف مجلد بلغات مختلفة، كما تشمل المكتبة التي أهداها الرئيس الأمريكي ترومان الملك عبد العزيز عام ١٩٥٠م، وتحتوي على ١٥٥١ مجلداً في شتى العلوم والمعارف، إلى جانب

تحتوي الدارة على مكتبة متخصصة لخدمة أغراضها، وأهدافها تنفيذاً لما ورد في نظامها الأساسي، وقد تم العمل على تطوير المكتبة إلى مركز متخصص في المعلومات التاريخية الوطنية، ليشمل جميع أوعية المعلومات من كتب، ومقالات، وبحوث، ورسائل علمية، وتقارير، وصحف، ودوريات، كما يتضمن هذا المركز مشروعاً لإعداد ملفات معلومات متخصصة عن تاريخ المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية.

ومن أهم المشروعات التى تقوم الدارة بالإعداد لها ضمن أعمال هذا المركز بناء قواعد معلومات، وبيانات متخصصة عن الأعلام، والشخصيات السعودية التى أسهمت في شتى جوانب تاريخ المملكة العربية السعودية، وإعداد موسوعات سعودية تاريخية متخصصة، كما تم البدء في تكشيف الأعداد الأولى لعدد من الصحف السعودية مثل (جريدة أم القرى) ضمن برنامج هذا المركز الجديد، وذلك بهدف توفير المعلومات التاريخية الواسعة للباحثين والباحثات، ويتبع المركز أقسام التزويد، والفهرسة، والتصنيف والدوريات والتجليد والتصوير.

ومن أبرز اقسام المكتبة :

- قسم الرحلات إلى الجزيرة العربية.



المبنى التاريخي



لقطات من الداخل

ذلك تمثل كتب الدين الإسلامي وعلومه المختلفة من حديث، وفقه، وتوحيد، وغيرها ثلث مكتبة الدارة، وقد قامت جامعة الملك سعود بفهرستها، وتبويبها على نحو علمي منظم.

هذا وتحتل كتب التاريخ، والتراجم والتربية، والتعليم، والمخطوطات أماكن بارزة بهذه المكتبة، كما تضم إليها بشكل دوري مختلف الصحف المحلية، والعربية، ومن ناحية أخرى تنظم الدارة المحاضرات، والندوات، وتعنى بطباعة الكتب، وكل ما يخدم أغراضها النبيلة.

- قسم المعلومات التاريخية السعودية.
- قسم الرسائل العلمية.
- قسم المؤلفات النادرة.

مركز الوثائق والمخطوطات والترميم :

الوثائق :

تعنى دارة الملك عبد العزيز بجمع الوثائق التاريخية، والمحافظة عليها، حيث إنها من أهم المصادر التاريخية، ولها دور كبير في حفظ التراث، وكتابة التاريخ الوطني، وذلك من خلال العمل على جمعها، وتصنيفها، وتنظيمها موضوعياً للإفادة منها في مجالات البحث العلمي المتعددة، وتوفر الدارة للباحثين، والباحثات المجموعات الوثائقية المحفوظة لديها، لاستخدامها في بحوثهم، ودراساتهم العلمية، ومن منطلق عنايتها بالوثائق التاريخية حصلت الدارة على مجموعات كبيرة من الوثائق التاريخية المتعددة، وقامت بتصوير الكثير من الوثائق التاريخية الموجودة لدى المراكز العلمية، والأرشيفات خارج المملكة.

ومن أبرز المجموعات الوثائقية المحفوظة في المركز ما يأتي :

الوثائق المحلية :

يحتفظ المركز بمجموعات كثيرة من الوثائق المحلية الأصلية، والمصورة التى تشمل مراسلات تاريخية، وصكوكاً وملكيات، ووقفيات، ونصائح، وخطابات رسمية، وقرارات، وبيانات، وتقارير، وغيرها، ولقد تم تصنيف غالبية هذه الوثائق حسب الموضوع، والمدة الزمنية، وتغطي هذه الوثائق مدة زمنية طويلة من تاريخ البلاد السعودية، ويبلغ عددها أكثر من خمسين ألف وثيقة.

الوثائق العربية :

كما يوجد في المركز مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية العربية الصادرة من دول عربية أخرى، وتتعلق بالمملكة، وتضم مراسلات دبلوماسية، ومذكرات سياسية وغيرها.

وفي إطار مجموعات الوثائق ذات الصلة بالمملكة العربية السعودية يحتفظ المركز بنسخ مصورة لمعظم هذه الوثائق الموجودة في البلدان العربية والإسلامية والأوروبية، وتلك الموجودة في أمريكا.

ومنها : الوثائق الألمانية وتصل إلى حوالي خمسة عشر ألف وثيقة، والفرنسية ويصل مجموعها إلى أكثر من ثلاثين ألف وثيقة.. والأمريكية وتصل إلى حوالي سبعين ألف وثيقة.. والوثائق العثمانية ويقدر عددها بأكثر من عشرين ألف وثيقة عثمانية.. والبريطانية، والهولندية، والإيطالية.. وغيرها.

وكثير من هذه الوثائق ترجمت إلى العربية لخدمة الباحثين والدارسين.

ترميم الوثائق والأوراق القديمة :

تعمل الدارة على ترميم الوثائق الأصلية المحفوظة بالمركز، كما تقدم خدمة خاصة للمواطنين الراغبين في ترميم وثائقهم بهدف الإسهام في حفظ التراث الوثائقي الوطني من جهة، والحصول على نسخة منها لحفظها في مركز

الوثائق من جهة أخرى، وتقوم الدارة حالياً على الإعداد لإنشاء مركز ترميم متخصص للإسهام في حفظ الوثائق الوطنية الموجودة لدى الدارة ولدى الجهات الأخرى.

المخطوطات :

ومن محتويات المركز: عدد كبير من المخطوطات الأصلية، والمصورة في مختلف الموضوعات، وخصوصاً التاريخية منها، ويصل عدد هذه المخطوطات إلى ١٦٠٠ مخطوطة، وتقوم الدارة حالياً بالعمل على مشروع جمع، وتصوير المخطوطات ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية، والجزيرة العربية، ويضم المركز مجموعة نادرة، وأصلية من المخطوطات السعودية من أبرزها: (مخطوطة ابن غنام ـ بخط الشيخ سليمان بن سحمان وتاريخها ١٣٠٤هـ ـ ومخطوطة المقنع في الفقه التي نسخت في الدرعية عام ١٢٢٠هـ بخط الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب.

قسم الأوراق الخاصة :

يعد هذا القسم من الأقسام الرئيسة لمركز الملك عبد العزيز للمعلومات والوثائق، حيث تودع فيه الأوراق، والوثائق الخاصة الشخصية من مراسلات ومذكرات لشخصيات أسهمت في تاريخ المملكة العربية السعودية، ويقوم هذا القسم بتصنيف هذه الوثائق، والأوراق باسم صاحبها، والمحافظة عليها، وصيانتها وترميمها وإتاحتها للباحثين وفق التقاليد العلمية المتعارف عليها.

ويتم اقتناء هذه الأوراق عن طريق : الإهداء، أو الإعارة من قبل المالك، أو ورثته، ويقصد بالإعارة هنا: إيداع أصل الأوراق لدى الدارة، وفقاً للشروط التي يرتضيها المالك، أو ورثته، أو بالشراء.

ومن الأوراق المحفوظة في هذا القسم على سبيل المثال ما يأتي :

- أوراق أحمد بن علي الكاظمي.
- أوراق خير الدين الزركلي .
- أوراق فوزان السابق.
- أوراق نبيه العظمة .

إدارة البحوث والنشر :

تتولى إدارة البحوث والنشر في الدارة الإشراف على جوانب البحث والنشر العلمي فيها. ولقد شمل النشاط العلمي في الدارة طباعة العديد من المؤلفات والدراسات المتخصصة وإعادة بعض ما نفد من مطبوعات الدارة القديمة.

ومن أهم إنجازات إدارة البحوث والنشر:

١ ـ الإشراف ومتابعة طباعة الكتب.

٢ ـ دراسة البحوث والكتب المحالة للدارة بغرض طبعها ونشرها ضمن إصدارات الدارة.

٣ ـ إهداء العديد من مطبوعاتها للمراكز العلمية، والمكتبات العامة، والهيئات المماثلة في داخل المملكة وخارجها إضافة إلى ما يتم إهداؤه إلى المتخصصين والباحثين المعنيين.

٤ ـ اللجان العاملة بالدارة، مثل: اللجنة

العلمية، لجنة ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى لجنة معرض المخطوطات.

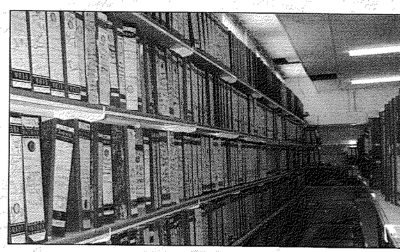
٥ - تنظيم الموسم الثقافي.

مسح المصادر التاريخية الوطنية :

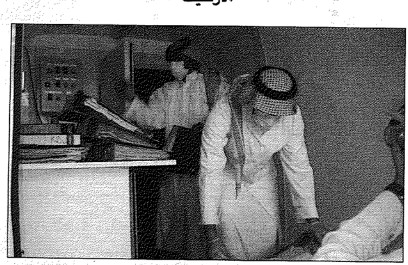
المرحلة الاولى:

ضمن جهود دارة الملك عبد العزيز الرامية إلى خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية، وبفضل الدعم الكبير من لدن خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده، وتوجيهات صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس إدارة الدارة، شرعت الدارة في تنفيذ برنامجها الطموح لرصد الرواية الشفوية ومسح المصادر التاريخية الوطنية، ومن أبرز أهداف المشروع ما يلي:

- إجراء مسح أولي للمصادر التاريخية الوطنية داخل المملكة من الوثائق والمخطوطات وروايات شهود العيان والمعاصرين.
- القيام برحلات ميدانية إلى مناطق المملكة، وتشكيل فرق عمل من الباحثين والمتخصصين لإجراء المسح الأولي للمصادر التاريخية.
- تسجيل الروايات الشفوية للمعمرين والمعاصرين في مدن المملكة وقراها، وإبراز مشاركات هذه الفئة من خلال التعرف على أسمائهم وأماكن إقامتهم، وبالتالي الحصول على



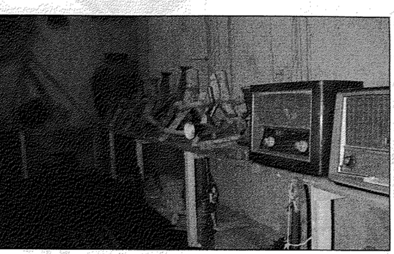
الارشيف



حفظ وترميم الوثائق

إفاداتهم ومروياتهم قبل أن يطويها النسيان.

- جمع الوثائق التاريخية في مدن المملكة وقراها وخاصة ما يوجد منها لدى الأسر والأهالى وتوعية المواطنين بضرورة حصول الدارة على نسخ منها بالتصوير أو الإهداء، وأن ذلك يدخل في إطار المسؤولية الوطنية تجاه تاريخنا المحلي.
- تصوير المخطوطات المتناثرة في المكتبات الخاصة في أنحاء المملكة.
- تصوير وتوثيق الأماكن التاريخية والآثار العمرانية في المملكة.
- تأسيس مركز متخصص للتاريخ الشفوي



محفوظات تراثية

بالملكة ويكون مقره دارة الملك عبدالعزيز.

المسح الميداني لمناطق المملكة :

في منتصف العام الهجري ١٤١٦هـ، بدأت الدارة في تنفيذ مشروعها الوطني لرصد الرواية الشفوية ومسح المصادر التاريخية الوطنية في أرجاء المملكة، ويقصد بالمصادر التاريخية جميع أوعية المعلومات المكتوبة مثل الوثائق والمخطوطات، والمواد غير المكتوبة مثل جمع الروايات الشفوية عن تاريخ المملكة ومؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - إضافة إلى حصر وتوثيق وتصوير المعالم التاريخية مثل القلاع والحصون ومواقع الوقائع الحربية وأنماط العمران في الماضي.

وقد شكلت الدارة فرقاً ميدانية تجوب مناطق المملكة من منسوبيها والمتعاونين معها، وانطلقت هذه الفرق في أوقات مختلفة على مدار عام ونصف العام.

وعلى هذا الأساس تم المسح الأولي الميداني لمناطق المملكة على النحو الآتي:

- منطقة الرياض - منطقة مكة المكرمة - منطقة المدينة المنورة - منطقة القصيم - المنطقة الشرقية - منطقة عسير - منطقة حائل - منطقة تبوك - منطقة الباحة - منطقة الحدود الشمالية - منطقة الجوف - منطقة جازان - منطقة نجران.

مشروع توثيق المصادر التاريخية:

المرحلة الثانية:

بناءً على موافقة المقام السامي الكريم رقم ٧/ب/١٨٠٧٤ وتاريخ ١٤١٧/١١/٢٤هـ بدئ في تنفيذ المرحلة الثانية من المشروع الوطني لتوثيق المصادر التاريخية وذلك في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية فشرعت دارة الملك عبدالعزيز في الإعداد لتدشين هذه المرحلة خلال العام ١٤٢٥ هـ.

من أبرز أهداف المشروع:

١- توثيق الروايات التاريخية من وثائق ومخطوطات وصور وأفلام ومواد نادرة ومؤلفات مطبوعة تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية.

٢- توثيق الروايات الشفوية للمعاصرين والرواة لرصد الجوانب التاريخية والاجتماعية والحضارية وجهود الأفراد وتوثيق المجالات الفلكلورية والذاكرة الشعبية في جميع أنحاء المملكة.

٣- المحافظة على المصادر التاريخية المختلفة سواء لدى الجهات الحكومية أو لدى الأفراد والأسر من خلال دراسة أوضاعها وتعقيمها وترميم ما يحتاج منها.

٤- التواصل مع الباحثين والمهتمين بتاريخ أي منطقة أو مكان في أنحاء المملكة ودعمهم.

٥- الإسهام في دعم إصدارات عن المدن والحواضر التاريخية في المملكة وتوثيق تاريخ الشخصيات السعودية التي أسهمت في جميع النواحي.

٦- نشر الوعي لدى عموم المواطنين بأهمية المصادر التاريخية والمحافظة عليها وتأصيل أهمية ارتباطها بالمجتمع.

جائزة ومنحة:

تقوم على الدعم المباشر من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس دارة الملك عبد العزيز تشجيعاً وتقديراً من سموه الكريم للمهتمين بدراسات تاريخ الجزيرة العربية.

أهداف الجائزة والمنحة:

تتمثل أهداف الجائزة والمنحة في تحقيق الآتي :

- دعم البحوث والدراسات المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية.
- تشجيع الباحثين والباحثات للتعمق في دراسة تاريخ الجزيرة العربية عامة، والمملكة العربية السعودية خاصة.
- توجيه الاهتمام إلى الدراسات العلمية الجادة من الكتب والرسائل والمقالات العلمية.
- دعم الدارسين والدارسات في الدراسات العليا في مجالات تتعلق بتاريخ الجزيرة العربية.
- تكريم المتميزين في الدراسات المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية.

موضوعات الجائزة والمنحة:

تقتصر الجائزة والمنحة على الموضوعات المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية بجوانبها الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو الاجتماعية أو الآثارية أو الأدبية أو العمرانية أو الجغرافية عبر الأزمنة.

مجالات المنحة:

أولاً: منحة الدراسات والبحوث:

تخصص هذه المنحة في كل عام لدعم عشر دراسات علمية ذات علاقة بأهداف الجائزة وضوابطها وتبلغ قيمة المنحة الواحدة ٤٠٠٠٠ ريال.

ثانياً: منحة رسائل الماجستير والدكتوراة:

تخصص لدعم طلاب وطالبات الدراسات العليا في موضوعات تتعلق بأهداف المنحة، وتشمل دعم أربع رسائل مسجلة للماجستير وتبلغ قيمتها ١٥٠٠٠ ريال للرسالة الواحدة في كل عام ودعم أربع رسائل مسجلة للدكتوراة تبلغ قيمتها ٢٠٠٠٠ ريال للرسالة الواحدة في كل عام.

مجالات الجائزة:

أولاً: جائزة رسالة الماجستير:

تخصص لأفضل رسالة ماجستير ممنوحة في الموضوعات المتعلقة بأهداف الجائزة في كل عام وقيمتها ٢٠٠٠٠ ريال.

ثانياً: جائزة رسالة الدكتوراه:

تخصص لأفضل رسالة دكتوراه ممنوحة في الموضوعات المتعلقة بأهداف الجائزة في كل عام وقيمتها ٢٠٠٠٠ ريال.

ثالثاً: جائزة المقالة العلمية:

تخصص للمقالة ولعدد ثلاث مقالات علمية في كل عام وقيمتها ١٠٠٠٠ ريال للمقالة الواحدة.

رابعاً: الجائزة التقديرية للرواد في تاريخ الجزيرة العربية:

تخصص لتكريم وتقدير اثنين من الرواد من الرجال والنساء في كل عام لجهودهم المتميزة في خدمة تاريخ الجزيرة العربية وقيمة كل جائزة ١٠٠٠٠٠ ريال.

مطبوعات وإصدارات الدارة:

وللدارة إصدارات كثيرة ومتنوعة في شتى فروع العلم والمعرفة فأصبحت الدارة منارة للكتاب. ومنها :

الأطلس المصور (لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة) والذي تمت طباعته على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) وبمتابعة كريمة من سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ودعم من سمو الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبدالعزيز.

ويعد الأطلس مصدراً مهماً من مصادر تاريخ مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، حيث يوثق بالصور والرسوم التطور الذي شهدته أم القرى والأماكن المقدسة على مر التاريخ.

كما وجه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) بترجمة الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة إلى اللغة الإنجليزية على نفقته الخاصة.

كما أنه يتم عمل إصدارات متخصصة لتاريخ المدن السعودية بالتنسيق مع المركز الوطني للوثائق والمحفوظات.

إصدار أطلس تاريخي متخصص في السيرة النبوية بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

إصدارات متخصصة عن بحوث تاريخ الجزيرة العربية.

وبلغت إصدارات الدارة (١٧٠) إصداراً تقريباً.

الأنشطة الثقافية للدارة:

وللأنشطة الثقافية حظ وفير من اهتمامات الدارة وللمعارض والندوات الكثيرة التي ترعاها وتشارك فيها في الداخل والخارج لنشر الفكر والثقافة والوعي ومحاورة الآخر ولتوصيل رسالة الإسلام لكافة أرجاء العالم ومنها:

– معرض طبع على نفقة الملك عبد العزيز (رحمه الله) بمدينة الرياض لرصد الحركة العلمية في البلاد في عهد الملك عبد العزيز وإبراز مدى اهتمامه (رحمه الله) بتاريخ المملكة وتراثها ونشر العلم والمعرفة.

– معرض (الإسلام في جزيرة صقلية) والذي نظمته السفارة الإيطالية بالرياض بالتعاون مع الدارة يأتي لخدمة التاريخ العربي والإسلامي ومد جذور التواصل والتعاون داخل وخارج المملكة.

- معرض (القدس الشريف وفلسطين) والذي نظمه مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث بمشاركة الدارة بالإصدارات المتخصصة عن القدس والقضية الفلسطينية والفيلم الوثائقي التسجيلي.

- معرض تاريخ المملكة العربية السعودية في الفلبين.



دعوة للمحافظة على التراث

مركز الملك عبد العزيز التاريخي :

لقد روعي في تصميم مركز الملك عبد العزيز التاريخي أن يكون قلباً حضارياً ينبض بالثقافة وسط مدينة الرياض لينعم بفوائده جميع سكان المدينة على اختلاف مستوياتهم الثقافية واختلاف أعمارهم.

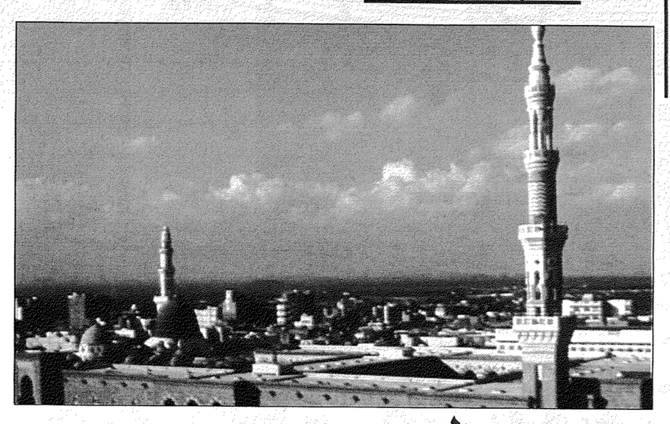
ولتحقيق هذا الغرض ضمن المركز أكبر قدر ممكن من المرافق التى تغطي احتياجات الزائرين من أفراد وأسر، كما تعددت وتنوعت أوعية المعلومات ووسائل عرضها لتقديم أنماط ثقافية مختلفة وبمستويات متدرجة من الثقافة التي تشكل عاملاً أساسياً في بناء المجتمع السوي المتأصل بجذوره العريقة والمتخلق بمحاسن دين الإسلام الحنيف. ويعد هذا من أكثر العوامل فاعلية في تجنب الظواهر الاجتماعية السلبية التي تعاني منها المدن الكبيرة من ارتفاع معدلات الأمراض النفسية وأمراض العصر وارتفاع معدلات الجريمة ونسبة الانتحار وضعف التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وأسره.

هذا فضلاً عما يقدمه المركز من واحة ترويحية تخفف من الإيقاع الرتيب لحياة المدينة، وينتظر من هذا المشروع أن يؤثر إيجابياً في الأنماط التطويرية والمشاريع الخاصة سواء المحيطة بالمشروع أو في أنحاء المدينة الأخرى. وسيظل تفاعل الجمهور مع المركز وعناصره ومدى استفادتهم منه الحكم الفصل في تقدير فائدته ومدى استيعابه للحاجات الحقيقية للسكان والسمو باحتياجاتهم المباشرة إلى مرتبة أعلى من التمدن والحضارة، كما أن تقييم المركز من واقع التجربة العلمية سيثري خبرات الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وجميع الأجهزة الحكومية الأخرى القائمة على تطوير المدن في المملكة لتحقيق المزيد من الإبداع والنجاح في تخطيط المشاريع التطويرية.

ويتكون المركز من العناصر الأساسية التالية :

- قصر المربع - الميدان الرئيسي - واحة النخيل - المتحف الوطني - دارة الملك عبد العزيز - جامع الملك عبد العزيز - وكالة الآثار والمتاحف - مكتبة الملك عبدالعزيز العامة - قاعة المحاضرات - برج الرياض ■

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾



الحديث النبوي وأثره في اللغة العربية وآدابها

□ إن فضل الإسلام على لغة العرب كبير، فبأرفع أساليبها نزل كتاب الله تعالى، وتوقف تفسيره على التمكن منها، فأصبحت قبلة المسلمين بحثاً ودراسة، وانتقلت بذلك من لغة الأعراب والشعر إلى لغة العلم والحضارة، وما كان ليتأتى لها ذلك كله لولا توقف فهم الوحي الإلهي عليها، وكما نطق الرسول ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ بالقرآن فقد نطق بالحديث النبوي وهو العربي القرشي، فجاء كلامه عذباً سلساً، بليغاً فصيحاً، حاملاً لجوامع الكلم، متنوعاً بين الخطابة والوعظ، والأمر والنهي، والأمثال والحكم.. غنياً بالألفاظ والمعاني.

فكيف بكلام هذا حاله لا يسترعي انتباه اللغويين والأدباء، وهم الذين يبحثون عما يزينون به كلامهم، ويزخرفون به أقوالهم.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن **الحديث النبوي أسهم في إغناء اللغة العربية بمدد من الألفاظ والمعاني الإسلامية الجديدة**، وهذب عبارات الناطقين بها وحسنها، كما أمد الفن العربي بجملة غير يسيرة من الأمثال والحكم والقصص التي مازالت معيناً لا ينضب لكثير من الأدباء إلى الآن. وقد حاول العلماء قديماً بيان بعض نواحي هذا الإسهام فألفوا في الأمثال النبوية والبلاغة النبوية... واستشهدوا بكلام النبي {صلى الله عليه وسلم}.

وفي هذا الصدد سنتطرق لبعض نواحي إسهام الحديث النبوي وأثره في اللغة والأدب مدعمين قولنا ببعض الأمثلة في الموضوع، ومتناولين العناصر الآتية:

١) الإغناء في الألفاظ والمعاني.

٢) تهذيب الألفاظ والأسماء والعبارات وتحسينها.

٣) الأمثال والحكم في الحديث النبوي.

٤) الخطب النبوية.

٥) القصص النبوي.

١ـ الإغناء في الألفاظ والمعاني :

(أ) الإغناء اللفظي :

إن الإسلام لما جاء بنظرة جديدة للإنسان والكون والحياة كان ولابد أن يأتي بمصطلحات خاصة ومناسبة، معبرة عن هذه النظرة، وهذا ما حدث بالفعل حيث أسهم الحديث النبوي بعدد كثير

د. عبدالرزاق وورقية

- المغــــرب -

من الألفاظ لم تكن مستعملة من قبل، وقد نبه أئمة اللغة قديماً على هذه الإضافة النبوية، وفي هذا الصدد نكتفي بإيراد بعض الأمثلة مدعمة بأقوالهم الشاهدة عليها.

* **لفظ «عاشوراء»** : و«عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وهو اسم إسلامي»[١] فقد أخرج البخاري في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر»[٢].

وأكد أهل اللغة على أنه لم يجيء في كلام العرب على مثال فاعولاء غير عاشوراء وأضاف بعضهم ساموعاء[٣] وخابوراء[٤]...»[٥]. وقال ابن دريد: «عاشوراء اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية»[٦] وجاء في أدب الكاتب «ولم يأت على فاعولاء إلا حرف واحد، قالوا عاشوراء وهو اسم»[٧].

* **لفظ «الجاهلية»** : لفظ قرآني وحديثي أطلق على المرحلة التي سبقت البعثة النبوية المطهرة وامتد ليعم كل تصرف يخالف دين الإسلام، قال ابن خالويه: «إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة»[٨].

* **لفظ «المنافق»** : وهو أيضاً لفظ استعمله القرآن الكريم والحديث وهو «اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية وهو من دخل في الإسلام بلسانه دون قلبه سمي منافقاً مأخوذ من نافقاء اليربوع»[٩].

* **لفظ «الفاسق»** : وهو كذلك لفظ استحدثه الإسلام للدلالة على الخروج عن أمر الله تعالى. وفيه قال بعض أهل اللغة: «لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق.. وهو كلام عربي ولم يأت في شعر جاهلي»[١٠].

* **لفظ «التفث»** : في الصحاح «التفث في المناسك ما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق الرأس والعانة ورمي الجمار ونحر البدن وأشباه ذلك ، قال أبو عبيدة ولم يجيء فيه شعر يحتج به»[١١].

* **«مات حتف أنفه»** : قال ابن دريد في المجتبي: «باب ما سمع من النبي {صلى الله عليه وسلم} مما لم يسمع من غيره قبله: قال علي رضي الله عنه ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من النبي وسمعته يقول: مات حتف أنفه وما سمعتها من عربي قبله، وقال ابن دريد: ومعنى حتف أنفه: أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه لأن الميت على فراشه من غير قتل يتنفس حتى يقضي رمقه فخص الأنف بذلك لأنه من جهته ينقضي الرمق»[١٢].

وفي فقه اللغة للثعالبي: «إذا مات الإنسان من غير قتل قيل مات حتف أنفه وأول من تكلم بذلك النبي {صلى الله عليه وسلم} وفيه إذا كان الفرس لا ينقطع جريه فهو بحر شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه وأول من تكلم بذلك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في وصف فرس ركبه»[١٣].

* **«لا ينتطح فيها عنزان»** : قال ابن دريد: «ومن الألفاظ التى لم تسمع من عربي قبله قوله: لا ينتطح فيها عنزان، وقوله: **الآن حمي الوطيس**، وقوله: **لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**: وقوله **الحرب خدعة**، وقوله: **إياكم وخضراء الدمن**»[١٤].

(ب) الإغناء في المعاني :

وما قيل عن الألفاظ يقال أيضاً عن المعاني، فالإسلام لما جاء بلغة العرب اتخذ من ألفاظها وعاء لمعان جديدة، حيث اتسعت بذلك دلالات الألفاظ العربية لمعان شرعية مخصوصة، فالصلاة مثلاً لم تعرف عند العرب إلا بالدعاء، ولما جاء الإسلام استعملها في عبادة مخصوصة تتضمن ركوعاً وسجوداً إلى غير ذلك من الأركان المخصوصة.. فكثير من الألفاظ توسعت دلالاتها وأصبحت حاملة للمفاهيم الجديدة، وقد أكد هذا التوسع أهل اللغة وأهل الفقه على حد سواء وفي هذا قال ابن فارس[١٥] في فقه اللغة: باب الأسباب الإسلامية: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول، فكان مما جاء في الإسلام ذكر **المؤمن** و**المسلم** و**الكافر** و**المنافق**، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليربوع ولم يعرفوا في **الفسق** إلا قولهم: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى،

ومما جاء في الشرع **الصلاة** وأصله في لغتهم الدعاء وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود وإن لم يكن على هذه الهيئة، قال أبو عمرو أسجد الرجل طاطأ رأسه وانحنى.. وكذلك **الصيام** أصله عندهم الإمساك ثم زادت الشريعة النية وحظرت الأكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم، وكذلك **الحج** لم يكن فيه عندهم غير القصد ثم زادت الشريعة مازادته من شرائط الحج وشعائره، وكذلك **الزكاة** لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده.. وعلى هذا سائر أبواب الفقه فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان: لغوي وشرعي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم جاء الإسلام به وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر كل ذلك له اسمان لغوي وصناعي»[١٦].

وبهذا يتأكد أن الإسلام عموماً نقل اللغة العربية إلى طور متقدم من الزيادة في الألفاظ والتوسع في المعاني، فأصبحت بذلك مواكبة للحضارة الجديدة ولتصورها عن الإنسان والكون والحياة.

٢) تهذيب الألفاظ والأسماء والعبارات وتحسينها:

إن الإسلام وهو يحمل نظرة تغييرية للمجتمع العربي من حيث عاداته وتقاليده الجاهلية كان من البديهي أن يغير من طبيعة الاستعمال اللغوي للألفاظ والعبارات بما يتناسب والنمط السلوكي الجديد، فكثير من المصطلحات ارتبطت بسلوكيات جاهلية حذفت وحلت محلها مصطلحات إسلامية ذات دلالة إيجابية.

ومن الأسماء التى كانت فزالت بزوال معانيها قولهم: **المرباع**[١٧] و**النشيطة**[١٨].. ومما ترك أيضاً **الإتاوة**[١٩] و**المكس**[٢٠] و**الحلوان**[٢١]، وكذلك قولهم: **أنعم صباحاً وأنعم ظلاماً**.. وترك أيضاً قول المملوك لمالكه: **ربي** وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب.. وترك أيضاً تسمية من لم يحج **صرورة**[٢٢] لقوله: لا صرورة في الإسلام، وقيل معناه الذي يدع النكاح تبتلاً أو الذي يحدث حدثاً ويلجأ إلى الحرم[٢٣].

ومما كره في الإسلام من الألفاظ قول القائل: **خبثت نفسي** للنهي عن ذلك في الحديث الذي قال فيه النبي {صلى الله عليه وسلم}: «لا يقول أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل **لَقِسَتْ نفسي**»[٢٤].

وكره أيضاً أن يقول: استأثر الله بفلان.

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم: «**حجْراً محجوراً**» ، وكان هذا عندهم لمعنيين: أحدهما عند الحرمان إذا سئل الإنسان قال: حجراً محجوراً، فيعلم السامع أنه يريد أن يحرمه.

والوجه الآخر: الاستعاذة، كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه قال: حجراً محجوراً أي حرام عليك التعرض لي، وعلى هذا فُسِّر قوله تعالى: {يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً}[٢٥]، يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا[٢٦].

وكره من الأسماء **حرب ومرة** للحديث الذي ورد عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الذي قال فيه: «تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمَّام وأقبحها حربٌ ومرة»[٢٧].

فالمتأمل لهذا التغيير النبوي في التسميات يقف

إجلالاً لهذا النبي الكريم كم هو رحيم بأمة كانت لغتها الحرب والدماء، فأراد أن يغيرها إلى أمة الرحمة والرسالة، فالتفت إلى أسماء أبنائها فقبح منها ما يشعر بشيء من الحرب المذمومة التي ذاقوا مرارتها فعبر عن ذلك بقوله: «أقبحها حرب ومرة» وفي هذا رد لطيف على من أرادوا أن يلصقوا بالإسلام تهمة الحروب والدماء.

٣) الأمثال والحكم في الحديث النبوي :

إن الحديث النبوي أسهم في الأدب العربي بحظ وافر، فلم يترك ضرباً من ضروب هذا الأدب إلا أبدع فيه أحسن ما يكون، ومن تلك الأنواع الأدبية الرفيعة التي أضاف فيها الحديث الشيء الكثير فن الأمثال والحكم، ولا غرابة في هذا ما دام الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد أتاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب وجوامع الكلم فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «بُعثتُ بجوامعِ الْكلِم»[٢٨].

وقد ألف بعض الأدباء كتباً مستقلة في الأمثال النبوية وفي تأليفهم هذا إشعار بتقديرهم لإسهام الحديث الشريف في إغناء اللغة العربية من هذا الجانب.

ومن الأمثلة الواردة في هذه التأليفات على أمثال النبي {صلى الله عليه وسلم} وحكمه التي لم ينطق بها أحد قبله:

أ) إن من البيان لسحرا:

أول من لفظ به النبي {صلى الله عليه وسلم} حيث روي أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال لعمرو بن الأهتم أخبرنا عن الزبرقان[٢٩]، فقال: إنه مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان: يارسول الله إنه ليعلم مني أكثر من ذلك، ولكن حسدني، فقال عمرو: والله يارسول الله إنه لزمر المروءة، ضيق العطن، حديث الغنى، أحمق الوالد، لئيم الخال، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، رضيت فقلت بأحسن ما علمت وسخطت فقلت بأسوأ ما علمت، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «إن من البيان لسحرا» وذلك أول ما سمع.

تساءل أهل اللغة: أذم البيان أم مدحه؟ فقال بعضهم ذمه لأن السحر تمويه، فقال إن من البيان ما يموه الباطل حتى يشبهه بالحق، وقال غيره: بل مدحه لأن البيان من الفهم والذكاء، قال الشيخ أبو هلال رحمه الله: الصحيح أنه مدحه وتسميته إياه سحرا، إنما هو على جهة التعجب منه لأنه لما ذم عمرو الزبرقان ومدحه في حال واحدة وصدق في مدحه وذمه فيما ذكر عجب النبي من ذلك كما يعجب من السحر فسماه سحراً من هذا الوجه.

وقد أجمع أهل البلاغة على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أرفع درجات البلاغة[٣٠].

ب) إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا[٣١] أو يلم[٣٢] :

«أول من تكلم به النبي {صلى الله عليه وسلم}[٣٣] وهذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفصحه لفظاً وألطفه معنى، وهو مثل ضربه لمن أُعطي من الدنيا حظاً فألهاه الاشتغال به والاستكثار منه والحرص عليه ومجانبة القصد فيه عن إصلاح دينه

فيكون فيه هلاكه كما أن الماشية إذا لم تقتصد في مراعيها حبطت بطونها فماتت أو كادت والحبط انتفاخ البطن»[٣٤].

ت) الحرب خدعة[٣٥] :

إن هذا المثل النبوي من القواعد العظيمة في ميدان المواجهات العسكرية، ومازالت فعاليته ثابتة إلى يومنا هذا، فالحرب وإن ظن أن لها ضوابط وترافقها مبادئ إنسانية، ولكن في أصلها مكر وخديعة وتعتيم إعلامي وتوهيم، كل هذا يرافق المعركة، وعند تساوي القوة المادية بين الطرفين المتحاربين يبقى الترجيح لعوامل أخرى على رأسها القدرة على استعمال جميع الحيل الحربية، فلذلك لخص النبي {صلى الله عليه وسلم} هذا القانون في كلمتين فقد روى أهل الحديث عن جابر قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم}: «الحرب خدعة»[٣٦].

ث) ليس الخبر كالمعاينة[٣٧] :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس الخبر كالمعاينة إن الله خبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٣٨].

ج) لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين [٣٩] :

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «لا يلدغ المؤمنُ من جُحر واحد مرَّتين»[٤٠].

قال الخطابي: هذا لفظه خبر ومعناه أمر، أي ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر،.. وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مراراً[٤١].

ح) زر غباً تزدد حباً[٤٢] :

أخرج الحاكم عن حبيب بن مسلمة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «زر غباً تزدد حباً»[٤٣]. و«الغبُّ بالكسر في سقي الإبل وفي الحُمَّى يوم ويوم، والغبّ في الزيارة، قال الحسن في كل أسبوع يقال «زُر غباً تزدد حُباً» قلت وهو حديث مروي عن رسول الله وغبُ كل شيء بالكسر عاقبته وأغبَّنا فلان أتانا غبًّا، .. ومعنى الحديث: عُد يوماً ودع يوماً أو دع يومين وعُد اليوم الثالث»[٤٤].

هذه أمثلة لبعض الأمثال النبوية الكثيرة التي جمعت بين الإيجاز في الكلام والعمق في المعنى، فهي تؤدي على الأقل وظيفتين: إيصال الحكم العظيمة من جهة والحفاظ على الجمال الأدبي للغة العرب.

٤) الخطب النبوية :

الخطابة ضرب بديع من ضروب الأدب، فيه تظهر براعة المتكلم في اختيار الألفاظ والأساليب والتفاعل معها ومع المخاطب، وكانت العرب تتقن هذا الفن بما أوتيت من بيان اللغة وزينة الكلام، وكان فطاحلتهم يتفاخرون فيما بينهم في ذلك حتى صنفوا الخطباء من حيث مهارتهم في الخطبة ومن ذلك أنهم قالوا: المصقعُ، أي البليغُ الماهرُ في خطبته الداعي إلى الفتَن الذي يُحرِّض الناس عليها، وهو مِفْعَل من

الصقع رفع الصوت ومتابعته[٤٥].

وقد كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} جامعاً لأحسن ما استعملته العرب في خطبها من بيان وبديع ومعان، بارعاً في التفاعل مع مقاصد الكلام، وفي هذا أخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذرُ جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثتُ أنا والساعة كهاتين ويقرُنُ بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهُدَى هُدَى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه مَن ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»[٤٦].

ومن أمثلة خطبه {صلى الله عليه وسلم} :

أ) أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً[٤٧].

ب) أول خطبة خطبها بالمدينة :

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وأتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ، فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته.

ت) خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة :

جاء في مطلعها: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله»[٤٨].

والملاحظ من خلال الخطب النبوية أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أضاف إضافات شكلية ومضمونية لفن الخطبة كالافتتاح تارة بالحمدلة، وتارة بالدعاء.. والختام بالسلام فضلاً عن التماسك في الخطاب وتسلسل المعاني وسلاستها.. آخذة بلب السامع إلى تشرب تلك القيم النبوية السامية.

وقد استن كثير من المؤلفين والأدباء بأسلوب خطبه {صلى الله عليه وسلم} في كتبهم، فتراهم

يفتتحونها بالبسملة والحمدلة ويبتدئونها بكلمات جامعة ومسجوعة تشعر بأهمية الموضوع، وتلخص محاوره الكبرى.

ولا يسعنا إلا القول إن تحليل الخطب النبوية هو مجال ثري للبحث والاعتبار لمن رام أن يبلغ في البلاغة والخطابة مقاماً رفيعاً.

٥) القصص النبوي :

من المعلوم عند المحققين من الأدباء أن القصة ضرب نفيس من ضروب الأدب فهي تعبر عن الخيال والواقع والتاريخ بأسلوب جذاب يأخذ بلب سامعه، جامعاً له بين الاعتبار والتسلية، وقد تطور فن القصة اليوم مع تطور علوم التكنولوجيا فأصبح الخلفية النظرية للمسرح والسينما.. والحديث النبوي ما كان ليغيب هذا الفن من الاعتبار فقد أسهم القصص النبوي في إغناء الأدب العربي بمجموعة كبيرة من القصص أخذت بعقول القصاصين الأوائل من العرب ومازالت مرجع الكثير من الأعمال الأدبية المعاصرة، وتجدر الإشارة إلى أن القصة عند الأدباء عرفت في الغالب بالاعتماد على خيال كاتبها أما القصة النبوية فلم تعتمد إلا على أحداث واقعية مجالها التاريخ البشري الذي يمثل مجالاً للصراع بين الحق والباطل، ومصدرها الوحي الإلهي الذي أخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الأمم الماضية ووقائعها.

وفي هذا الصدد نكتفي بإيراد مثالين من القصة النبوية كما رواها أئمة الحديث نظراً لضيق المقام:

أ) قصة أصحاب الأخدود :

إن قصة أصحاب الأخدود جاءت في الحديث النبوي بشكل موجز تحكي أحداثاً حقيقية، وقعت في الزمان الذي قبل بعثة النبي {صلى الله عليه وسلم} بقليل، حيث يحرق سكان مدينة بأكملها (عشرون ألف نسمة)[٤٩] بسبب اعتقادهم، فكان ذلك الفعل الشنيع من أعظم الجرائم البشرية في التاريخ التى ترتكب بسبب الاضطهاد العقدي.

وقد ورد حديث صحيح عند الإمام مسلم يذكر أهم أطوار هذه الكارثة، حيث جاء فيه:

«عن صُهيب أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: كان ملكٌ فيمنْ كان قبلكُم وكان لهُ ساحرُ فلمَّا كبر قال للملك: إني قد كبرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلّمهُ السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعْلَمُ الساحرُ أفضل أم الرَّاهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتُل هذه الدَّابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهبُ: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستُبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك

فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلسُ فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري، قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمئشار فوضع المئشار في مَفْرِقِ رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.. ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمُرُك به، قال: وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صُدْغه فوضع يده في صُدْغه في موضع السهم فمات، فقال الناس آمنا برب الغلام، آمنا بربِّ الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتي الملكُ فقيل له: أرأيت ما كنتَ تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناسُ، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخُدّت، وأضْرَم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمَّه اصبري فإنك على الحق»[٥٠].

إن المتأمل لهذه القصة ليندهش أمام هذا الأسلوب النبوي الجامع بين الإيجاز في الألفاظ والاتساع في المعاني، وبين بيان القيم الدعوية النبيلة التي كان يحملها الغلام وبيان الوجه البشع للإنسان المتجبر الشرير الذي يمكن أن يضحي بأمة بأكملها أمام الحفاظ على مصلحته الشخصية المحدودة.

إن أصل هذه القصة في القرآن الكريم في سورة البروج، والحديث النبوي يستمد قوة روايته من هناك، والقصة كما هو معلوم عند أهل التاريخ[٥١] قد وقعت حقيقة في إطار الصراع بين الحق والباطل، فالنبي {صلى الله عليه وسلم} وإن كان قد أخذ في هذه القصة بخيال المتلقي ولكن لأجل تصور أحداث حقيقية وقعت بالفعل وربما نسيها التاريخ البشري في بعض الأحيان، فكانت الضرورة قائمة للتذكير بها لأجل الاعتبار.

ولروعة هذه القصة وتعدد معانيها يليق بالغيورين من أهل الفن أن يجسدوها إلى عمل سينمائي متقن

سوف يروق الملايين من الناس.

ب) قصة الأقرع والأبرص والأعمى :

ومن النماذج القصصية الرائعة أيضاً التي تجمع بين مقاصد الرسالة وأغراض الأدب، ما حكاه الرسول {صلى الله عليه وسلم} عن أقرع وأبرص وأعمى كانوا في بني إسرائيل فابتلاهم الله وأنعم عليهم فمنهم من شكر ومنهم من كفر، فكانت تلك الحادثة الأصل الحقيقي لهذه القصة النبوية.

وفي هذا السياق نورد هذه القصة لبيان صحة الدعوى التى افتتحنا بها هذا المقال:

وردت القصة في صحيح مسلم بشرح الإمام النووي كالتالي عن أبي هريرة أنه سمع النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول:

إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملَكاً فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً قال فأيُّ المال أحب إليك قال الإبلُ أو قال البقر شك إسحق إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر قال فأعطي ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً قال فأيُّ المال أحب اليك قال البقر فأعطي بقرة حاملاً فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال أن يرد الله إليَّ بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأيُّ المال أحب اليك قال الغنم فأعطى شاة والداً فأنتج هذان وَوَلَّدَ هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبالُ في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتَبَلَّغُ عليه في سفري فقال الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل مارد على هذا فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رُضي عنك وسُخِطَ على صاحبيك..)[٥٢].

إن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان يتصرف بوصف الرسالة عموماً فقصصه كانت مقصداً لتبليغ الدعوة الإسلامية بقيمها العظيمة من العدل والاعتراف بالجميل وتذكر النعم وصاحبها والاعتبار من نوائب الزمان وتقلباته .. قال الحافظ ابن حجر في الفتح معلقاً على هذا الحديث: «وفيه - أي هذا الحديث - التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل، لأنه حمل

صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى».

ورغم انشغاله [صلى الله عليه وسلم] بهذه المقاصد الجليلة في حكايته للقصة لم يثنه ذلك عن الحفاظ على الجانب الفني المعتبر عند أهل الاختصاص.

خاتمة :

إن الرسول [صلى الله عليه وسلم] بوصفه صاحب رسالة كان المقصد الأصلي من كلامه هو بيان قيم الرسالة الربانية، إلا أن ذلك البيان كان يتم بلغة العرب محترماً في ذلك بلاغتها وآدابها وسحرها، بل كان الرسول [صلى الله عليه وسلم] بتوفيق من الله يختار أحسن ما في تلك اللغة من ضروب المحسنات الكلامية والفنية، حتى غدا حديثه ملجأ البلغاء والفصحاء في تعبيرهم واقتباسهم، فكثيراً من جوامع كلمه [صلى الله عليه وسلم] نتصادف معها في مصنفاتهم دون أن ينسبوها لقائلها [صلى الله عليه وسلم] وهي لا تخفى على الذي نال من الحديث النبوي بحظ وافر، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن مجال العلاقة بين الحديث النبوي وعلوم اللغة والأدب مازال مجالاً ثرياً لأجل البحث والتنقيب، وملاذاً غنياً لأهل الفنون العصرية كالسينما والمسرح والرسوم المتحركة .. لنشر القيم الإسلامية والإنسانية النبيلة ■ .

الهوامش :

(١) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٣/٢٤٠.

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب صيام يوم عاشوراء رقم ١٨٧٢.

(٣) وهو اللحم في التوراة ، انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ٢/٧٤.

(٤) يعني النهر، انظر أيضا المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢/٧٤.

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢/٧٤.

(٦) المطلع على أبواب المقنع للإمام عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي ١/١٥٣.

(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة ١/٤٨٤.

(٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤٠.

(٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤٠.

(١٠) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤٠.

(١١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤٠.

(١٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤١.

(١٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤٠.

(١٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٤١.

(١٥) ابن فارس الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي نزيل همذان وصاحب كتاب المجمل.. وكان رأسا في الأدب بصيرا بفقه مالك مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر وله مصنفات ورسائل وتخرج به أئمة، ومات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مئة وفيها أرّخه أبو القاسم بن مندة ووهم من قال مات سنة تسعين. سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ١٧/١٠٣ - ١٠٥.

(١٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/٢٣٥ - ٢٣٦.

(١٧) لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع. النهاية في غريب الأثر ٢/١٨٦.

(١٨) النشيطة ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ الى الموضع الذي قصدوه، قال ابن سيده: النشيطة من الغنيمة ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصير الى بيضة القوم، انظر لسان العرب لابن

منظور ٤١٤/٧.

(١٩) الإتاوة الخراج والجمع الأتاوي. مختار الصحاح ٢/١.

(٢٠) المكسُ: ما يأخذه العشّار؛ يقول: كل من باع شيئاً أخذ منه الخراج أو العُشر وهذا مما آنف منه، لسان العرب ٢٢١/٦.

(٢١) وفي الحديث «نهى عن حُلوان الكاهن» وهو ما يعطى على الكهانة. مختار الصحاح للرازي ٦٤/١.

(٢٢) ورجل صرورة بفتح الصاد وصارورة وصروري إذا لم يحج وامرأة صرورة لم تحج. مختار الصحاح ١٥١/١.

(٢٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢٣٦/١ ـ ٢٣٨.

(٢٤) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب باب لا يقل خبثت نفسي رقم ٧٥١١.

(٢٥) سورة الفرقان الآية/ ٢٢.

(٢٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢٣٦/١ ـ ٢٣٨.

(٢٧) أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء رقم ٤٢٩٩.

(٢٨) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم رقم ٦٧٣١.

(٢٩) وكان الزبرقان شاعرا مفلقا وكان يعاتبهم ولم يكن يهجوهم وكان حليما. انظر طبقات فحول الشعراء ١١٧/١.

(٣٠) كتاب جمهرة الأمثال ١٤/١.

(٣١) حبطا : انتفاخا.

(٣٢) يقرب من القتل والإهلاك.

(٣٣) فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قام على المنبر فقال: إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى فقام رجل فقال يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر فسكت عنه النبي [صلى الله عليه وسلم] قلنا يوحى إليه وسكت الناس كأن على رءوسهم الطير ثم إنه مسح عن وجهه الرُّحضاء فقال أين السائل آنفا أو خير هو ثلاثا إن الخير لا يأتي إلا بالخير وإنه مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يُلِمُّ إلا آكلة الخضر كلما أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة.

(٣٤) كتاب جمهرة الأمثال ١٦/١.

(٣٥) كتاب الأمثال في الحديث النبوي لابن حبان (ت٣٨٩هـ) ٣١/١.

(٣٦) السنن الكبرى ١٩٣/٥.

(٣٧) كتاب الأمثال في الحديث النبوي ٣٦/١.

(٣٨) المستدرك على الصحيحين ٣٥١/٢ رقم الحديث ٥٤٧٧.

(٣٩) كتاب الأمثال في الحديث النبوي ١٤٣/١.

(٤٠) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين رقم ٥٦٦٨.

(٤١) انظر فتح الباري في شرح هذا الحديث.

(٤٢) كتاب الأمثال في الحديث النبوي ٤٨/١.

(٤٣) المستدرك على الصحيحين ٣٩٠/٣.

(٤٤) مختار الصحاح ١٩٦/١.

(٤٥) لسان العرب ٢٠٣/٨.

(٤٦) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم ١٤٣٥.

(٤٧) جمهرة خطب العرب ١٤٧/١.

(٤٨) جمهرة خطب العرب ج: ١٤٨/١ ـ ١٥٠.

(٤٩) انظر الكامل في التاريخ ٣٣١/١.

(٥٠) اخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام رقم ٥٣٢٧.

(٥١) انظر القصة برواية المؤرخين في الكامل في التاريخ لعبد الواحد الشيباني ٣٣١/١، وفي البداية والنهاية لابن كثير ١٢٩/٢.

(٥٢) اخرجه الامام مسلم بشرح النووى الجزء الثامن عشر الطبعة الثالثة (كتاب الزهد) ص ص ٩٧ ـ ١٠٠، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

ابن المقفع والبلاغة

□ *ابن المقفع هو عبد الله بن المقفع الكاتب العباسي الشهير الذي عاش ستاً وثلاثين سنة ! (ما بين العام ١٠٦ هـ حتى العام ١٤٢ هـ) .*

وأصله من الفرس وولد بالعراق ونشأ مجوسياً على دين مزدك ثم أسلم على يد عيسى بن علي عم الخليفة العباسي السفاح، وولي كتابة الديوان للخليفة العباسي المنصور وترجم كتب أرسطو في المنطق، كما ترجم عن الفارسية كتاب (كليلة ودمنة) . وأنشأ رسائل تعد غاية في الإبداع منها : «الأدب الصغير ـ والأدب الكبير ـ ورسالة الصحابة ـ واليتيمة» لكنه اتهم بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي بأمر الخليفة المنصور. وقد قال عنه الخليل بن أحمد : «ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله» .


د. عبدالله الغذامي

فإذا جئنا الى التهمة الثانية، وهى أن ابن المقفع عرّف البلاغة بأنها «تصوير الحق في صورة الباطل» وأن هذا التعريف أصبح هو «المعنى المركزي للبلاغة لدى كل الباحثين يتساوى في ذلك الأقدمون والمحدثون».

فإننا بحاجة إلى الرجوع أولاً إلى المصدر الذي نقل عنه الباحث هذا التعريف وهو كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري حيث قال أبو هلال:

وقال ابن المقفع: «البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل».

ولكن صاحب النقد الثقافي حذف الشطر الأول من التعريف، وهو أن البلاغة «كشف ما غمض من الحق» واكتفى بالشطر الثاني وهو أن البلاغة «تصوير الحق في صورة الباطل» ليتم له ما يريد إثباته من أن النسق العام للأدب العربي شعره ونثره هو قلب الحق باطلاً وقلب الباطل حقاً.

وهذا خطأ منهجي فادح في قراءة النصوص القديمة وتفسيرها أو تأويلها.. فإذا كان الباحث

د. مصطفى عبدالواحد
- مكة المكرمة -

حريصاً على معرفة رؤية ابن المقفع للبلاغة فعليه أن يحيط بكل ما نقل عن ابن المقفع في هذا التعريف حتى ولو اقتصر في ذلك على الكتاب الذي نقل عنه هذا التعريف المبتسر وهو كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ولا نكلفه باستقصاء ما ورد في ذلك في كتاب البيان والتبيين وغيره من مجموعات الأدب العربي.

وهذا التعريف الذي اقتصر الباحث على شطره، قد ورد في كتاب الصناعتين في آخر الفصل الثالث من الباب الأول وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة.

وفي بداية هذا الفصل أورد أبو هلال قول إسحاق بن حسان:

«لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع إذ قال: «البلاغة اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، وربما كانت رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والإيجاز هو البلاغة».

على أن أبا هلال قد فسر معنى قول ابن المقفع :

«البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل» بقوله : «والذي قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل، وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة ولا يحوج إلى التكلف لصحته، حتى يوجد المعنى فيه خطيباً» أي ظاهراً لا يحتاج إلى البحث.

ثم قال : «وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير، ليخفى موضع الإشارة ويغمض موقع التقصير، وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس عند اعتذاره من هزيمة أو حاجته إلى تغير رسم، أو رفع منزلة دنيء له فيه هوى أو حط منزلة شريف استحق ذلك منه، إلى غير ذلك من عوارض أموره. فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيّره في صورة المذموم، وقد ذم عبد الملك بن صالح المشورة، وهي ممدوحة بكل لسان فقال: ما استشرت أحداً إلا تكبر عليَّ وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة، فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون مهيب في الصدور..

ثم جاء أبو هلال بشاهد شعري فقال: «ومدح بعضهم الموت فقال:

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأكثروا
في الموت ألف فضيلة لا تُعرف
فيه أمان لقائه بلقائه
وفراق كل معاشر لا يُنصفُ

ثم قال: «فالمتمكن من نفسه يضع لسانه حيث يريد»·

وليس من الحق أن نصدق أن هناك ممثلين عن آداب الشعوب من الفرس والهند والروم واليونان قد اجتمعوا وعرف كل واحد منهم البلاغة كما تُعرفها اللغة التى يتكلم بها·

بل هذا تصور تصوره هذا الراوي وظن ظنه ·· بدليل أننا لو رجعنا الى هذه الآداب في تلك العصور لما وجدنا أثراً لهذه التعريفات·· بل ربما لا تعرف هذه الآداب هذه الطريقة العربية التى تضع حداً للبلاغة يتضمن عناصرها وأهدافها·

ومن هنا فإن الاعتماد على هذه الجملة المبتسرة من كلام ابن المقفع من أن البلاغة تصوير الحق في صورة الباطل يبعد كل البعد عن التعرف الى حقيقة البلاغة عند العرب·

والتفسير الذي فسر به أبو هلال العسكري هذه الجملة يحل المشكلة، وكذلك المثالان اللذان ساقهما لشرح المراد من هذا التعريف يوضحان المقصود·

فهذه الجملة لا تعرف البلاغة في حقيقتها ·· بل تتحدث عن القدرة التى يتصف بها البليغ المطبوع، وهو أنه «يضع لسانه حيث يريد» كما قال أبو هلال، فيستطيع أن يحتج للشيء ونقيضه إذا كان هناك ما يستدعي ذلك، كالاعتذار عن الهزيمة، بنوع من العلل والمعاريض والمعاذير·· ومن ذلك الرسالة التى كتبها «خليل الصفدي» شارح لامية العجم على لسان سلطان مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وأربعين وسبعمائة إلى أبي الحسن المريني ملك المغرب رداً على رسالته التى طلب فيها من سلطان مصر مؤازرة المسلمين بالأندلس بالمال والسلاح ليصمدوا في وجه أعدائهم·

ولم يستجب ابن قلاوون لهذه الاستغاثة وبدلاً من المبادرة إلى النصرة بالمال والسلاح كلف كاتب ديوان رسائله «خليل الصفدي» أن يرد على سلطان المغرب برسالة «بليغة» يعتذر فيها عن عدم المؤازرة بالمال والسلاح·· ويكتفي بالمؤازرة بالدعاء!

وقد تأنق «الصفدي» ما شاء له التأنق·· وتكلف في رده ما استطاع التكلف وأثقل رسالته بالسجع والجناس والطباق وغير ذلك من ألوان البديع·

وبعد هذا «العبث البلاغي» الذى استخدم فيه كل وسائل الزينة اللفظية والألاعيب المعنوية في الجناس والطباق جاءت خلاصة الرسالة في قول «الصفدي» على لسان ابن قلاوون: «ولكن ·· أين الغاية من هذا المدى المتطاول، وأين الثريا من يد المتناول؟ ومالنا غير إمدادكم بجنود الدعاء الذي نرفعه نحن ورعايانا، والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من سجايانا»·

هكذا أثبت الكاتب البليغ أنه «أمدَّ» المسلمين

في الأندلس بجنود.. ولكنها جنود من «كلمات» لا استجابة لها إلا مع البذل والجهد والجهاد.

أما السلطان ابن قلاوون.. فقد أحسن اختيار كاتبه «الصفدي» ليشغل المخاطب بالتجنيس البارع بين «الكُرات» و«الكرّات» و«الصَّخرات» و«الصرخات» و«العبرات» و«الرغبات» ونحو ذلك من ألوان الصنعة البديعية.. وكانت هذه البلاغة الكاذبة سبباً من أسباب ضياع الأندلس من أيدي أمة الإسلام.

فهذه ثمرة التمكن من البلاغة دون وازع خلقي أو التزام بالحقيقة التى تجعل بعض البلغاء قادرين على مدح الشيء وبيان مزاياه تارة.. وعلى ذمه عند الحاجة الى ذلك أو وفق مقتضيات الهوى والمصلحة.

ومما يستأنس به في هذا المجال ما جاء في كتب السيرة النبوية في قدوم وفد بني تميم على رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في السنة التاسعة حين مدح عمرو بن الأهتم الزبرقان بن بدر في مجلس رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فقال: إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أدنيه، فقال الزبرقان: والله يارسول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحسد.

فقال عمرو بن الأهتم: أنا أحسدك؟! فوا الله إنك للئيم الخال حديث المال أحمق الولد مضيع في العشيرة، والله يارسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت آخراً، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما علمت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً. فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «إن من البيان لسحراً».

والمراد أن للبيان تأثيره الخفي الذي يشبه تأثير السحر.. ومن هنا تظهر المسؤولية الخلقية التى يجب أن يستشعرها من أوتي حظاً من البيان وتمكناً من البلاغة.

ومن هنا جاءت فكرة المحاسن والمساوئ أو المحاسن والأضداد في تراثنا العربي.. باعتبارها مجالاً للقدرة البيانية وأداة للكشف عن الوجوه المتعددة للشيء الواحد.. فهناك مثلاً مدح المال باعتباره وسيلة للاستغناء عن الناس وسبباً لكفاية الحاجات.. وذم المال حين يكون سبباً للطغيان ومعيناً على اللهو والغرور.

ويبدو الجاحظ مُدلاً ببلاغته في رسائله التي تضمنت المحاسن والمساوئ، مثل رسالته في مفاخرة الجواري والغلمان.

ورسالة «تفضيل النطق على الصمت» و«تفضيل البطن على الظهر»، ورسالة «التربيع والتدوير».

فليست البلاغة هي تصوير الحق في صورة الباطل، وتصوير الباطل في صورة الحق، بل هي مرتبطة بالحق والصواب.

أما القدرة على المفاخرة، ورؤية الوجوه المتعددة للشيء الواحد، وبيان محاسنه تارة ومساوئه تارة أخرى فتلك هي المهارة التي لا تتأتى إلا لأفراد معدودين ولا تظهر إلا في نتاج أفراد قلائل مثل الجاحظ وأبي حيان التوحيدي وأمثالهما ■

(٢-٢)

تأثير الأدب العربي على الأدب الأوروبي

الأقصوصة الفابيليو

□ *جنس أدبي خاص راج في فرنسا في القرن ١٢ - ١٤م وهو قصة شعرية تحكي بقصد التسلية قد تكون ذات طابع خلقي أو اجتماعي تثير الضحك أحيانًا والسخرية والهجاء أحيانًا أخرى وقد انتشرت شعبيًا - على نطاق واسع ويقول (جاست ون باري) إنها انتقلت من الأدب العربي إلى فرنسا بعد ترجمة (كليلة ودمنة) ومن نماذجها قصة (اللص الذي اعتنق ضوء القمر) وهي معروفة عند العرب حيث تصور لص منزل أحس به صاحب البيت فأخبر زوجته أنه جمع ثروته برقية سحرية حيث يقول (شولم) سبع مرات فيحمله ضوء القمر عبر النافذة إلى المنزل ليسرق ثم يصعد من نفس الطريق فلما فعل اللص ذلك سقط على عنقه وأمسك به صاحب البيت.*

وهناك قصة أخرى عبرت من الفارسية إلى العربية وموجزها أن الموبذان- رئيس الكهنة دخل على كسرى وعنده شيرين فدعا له (أعطيت الخير وجنبت طاعة النساء) مما أزعج شيرين فأمرت جارية جميلة بأن تغرى الموبذان ولا تمكنه من نفسها حتى تضع برأسه اللجام والسرج وتركب عليه وتخبر شيرين بذلك فلما أسرجت الجارية الموبذان وألجمته وركبته وهي تقول له خرخر- أي حمار- جاء كسرى وشيرين فرفع الموبذان رأسه قائلاً: هذا ماكنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء يريد أنه نصح الملك بالقول وبالفعل.

وهذه الأقصوصة صاغها (هنرى دانديلى) في منتصف القرن ١٣ واستبدل الآسكندر بخسرو وأرسطو بالموبذان.

وهناك قصص أخرى متعددة كقصة (الملاك والراهب) تحكي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح كما جاءت في سورة الكهف وقصة (الأب وابنه والحمار)، حيث تحيرا في إرضاء الناس في ركوبهما الحمار أو ركوب أحدهما له أو تركه وهما يمشيان. (١)

وهذه الفابيليو- كانت إحدى ثمرات الحروب الصليبية، إذ كانت الأقاصيص الصغيرة تندرج في الفولكلور الشعبي ومن طبيعته أن تتلاقى فيه أقاصيص الشعوب الفطرية بعفوية وسذاجة. ولكن التأثير العربي واضح لأن المجتمع الفرنسي كان

ناضجاً في تلك المرحلة ثم يتم التلاقي مصادفة أو فطرية .

قصص الشطار الأسبانية والمقامات:

انتشر في القرن السادس عشر جنس جديد من القصة القصيرة يعرف بـ «قصص الشطار» حيث وجد في أسبانيا وهو قصص العادات والتقاليد للطبقات الدنيا في المجتمع، وتجري المغامرة فيها على لسان المؤلف كأنها حدثت له وهي ذات صبغة هجائية للمجتمع، حيث تبدأ بسفر المؤلف على غير منهج وهو فقير بائس ينتقل بين الناس ليكسب قوته ويحكم على المجتمع حوليه من انطوائه على نفسه ونظرته القصيرة باعتبار مايراه من ناحية نفعية فكل من يعارضه شرير خبيث ومن منحه الإحسان فكله خير.

وأول قصة ظهرت من هذا النوع قصة (حياة لاساريو دى تروس وحظوظه ومحنه) نشرت أول مرة عام ١٥٥٤م . (يصف مؤلفها المجهول حياة لاساريو- الطفل ابن الطحان الذي سجن والده لأنه يسرق دقيق عملائه فمات في السجن واضطر ولده للعيش معتمداً على نفسه بعد اتهام أمه بالسرقة مع خليلها العربي الذي يعمل سائقاً للخيل عند أحد الأثرياء .. وبدأ الطفل حياته متسولاً شحاذاً حيث تتلمذ في هذا الفن على أعمى داهية

محمد على حسين الحريري

- السعودية -

يكسب في يوم مايكسبه مائة أعمى في شهر. ثم ترك الطفل أستاذه الأعمى ليعمل خادماً عند قسيس سيئ المعاملة يأكل أموال الصدقات ثم صار في خدمة نبيل صغير بلا ثروة سوى ادعائه النبل متشدقاً وهو يعيش على التسول وصار الطفل يتوسل لنفسه ولسيده النبيل الذي ظل يفخر على الطفل لأنه قبل بالجلوس معه إلى مائدة واحدة مع أنه نبيل بالأصل....

وهكذا يظل (لاساريو) ينتقل عبر شرائح اجتماعية متعددة فعمل سقاء ودلالاً ثم تزوج...... الخ) وواضح من حبكة القصة شبهها الشديد بمقامات الحريري التي ترجمت للأسبانية وكتب أدباء الأندلس على نهجها كأبي طاهر السرقسطي كما أن الشريشي الأندلسي شرح المقامات (٢)



وقد ترجمت مقامات الحريرى إلى العبرية بترجمة (ساسلون بن زقبيل) عام ١٢٠٥م فهي متواجدة في الحياة الأدبية هناك. وظهرت قصص الشطار والرعاة تقليداً واضحاً لها، حيث بدأت تظهر أسس القصة الأوروبية في أسبانيا وفرنسا تحكي الحياة الواقعية. الاجتماعية والتقاليد والعادات.

الأدب العربي في بريطانيا:

في إحدى محاضرات الأمير تشارلز أشار إلى وجود آثار للقصص العربية في الأدب الشعبى البريطاني ولاسيما قصص (كانتر برى) – فقد امتد



أثر الشعراء–التروبادو– إلى الجزيرة البريطانية.. قال (درا يدون) : كان– (جوسر) – الأندلس وأسبانيا– أنقى الصيغ البيانية في تلك الحقبة.

لقد عزا فيليب حتى قصة جوسر– (سكويرتيل) و(حكماء روما السبعة) إلى قصص ألف ليلة وليلة أما رائعة جوسر– فتح غرناطة– فهي جزء من تاريخ الأندلس الذي تأثر به جوسر برغم أنه كتبها في القرن ١٧م وتمتلئ حكايات (كنتر برى) بالاقتباس من ألف ليلة وليلة (٣).

ومعروف أن جوسر– كان يتخذ الأدب الفرنسى قدوته لأنه أدب النخبة المثقفة، وقد أخذ– جوسر– القافية الشعرية من العرب وبدا ذلك في شعره من خلال تقليده الموشحات الأندلسية التي وصلت بريطانيا عبر إقليم–البروفانس. ولهذا يقول (هاملتون جب) معترفاً بتأثير الأدب العربي: (ومهما كانت الدرجة التي حددها الباحثون لتأثير الشعر العربي في إثارة روح الإبدا ع الرومانسي فإن الّدين الذي تدين فيه أوروبا للشعر العربي في القرون الوسطى لايمارى فيه أحد) (٤).

وقد قام فيما بعد السير (وليم جونز) بترجمة المعلقات السبع إلى اللغة الانكليزية عام ١٧٨٢م . كما قام (فيتز جيرالد) بترجمة رباعيات الخيام عام ١٨٦٨م حتى انتشر اسم عمر بين الإنجليز وتسمى به بعضهم ومنهم القائد عمر برادلى.

وحاول الشاعر الإنجليزى (تنسون) محاكاة معلقة امرئ القيس فوقف على أطلال (لوكسلى هول) بيكي ويستبكي وكرر المحاولة شعراء آخرون مثل (آربرى) ويبقى الشاعر الإنجليزى جوسر– أكثر المتأثرين بأدب العرب عندما كتب حكايات (كانتر برى) عام ١٣٨٦– ١٣٨٩م متأثراً بالقصص والروايات المترجمة حيث ترجمت (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة) وكتاب (مختار الحكم ومحاسن الحكم) لمبشر بن فاتك المتوفي عام ١١٠٦م وقد ترجم الكتاب عن اللاتينية عام ١٤٧٧هـ.

وقد ترجم المستشرقون الإنجليز–القرآن الكريم– إلى لغتهم وكان أولهم (اسكندر روس) الذي ترجم معاني القرآن عن الفرنسية عام ١٦٨٩م وسماه بكل أسف– قرآن محمد– ولكن الترجمة كانت سيئة للغاية مما حمل (أوكلى) على

ضرورة دراسة النص العربي وإتقان العربية قبل الترجمة.

وفي القرن السابع عشر أسس (وليم بدويل) كرسي اللغة العربية في كمبردج عام ١٦٣٢م وتبعتها جامعة أكسفورد بنفس العام وكانت البداية لدخول العربية إلى الجامعات البريطانية.

ثم قام (ادوارد بيكوك) بترجمة حيي بن يقظان (الفيلسوف الذي علم نفسه) عام ١٧٠٨م كما ترجمها بشكل أدق (سيمون أوكلي) وكانت سبباً في ظهور قصة (روبنسون كروزو) التي كتبها (دانيال ديفو) (٥).

ومن مجموع هذه الترجمات ظهر أدب جديد في بريطانيا يرفض الكلاسيكية ويدعو إلى الرومانسية بتأثير- بايرون- و- غوردون سكوت- وبرسى شيللى و- تريك هاملتون- الذي ترجم قصة عنتر بن شداد بعنوان (عنترة الرومانسي البدوي) واتجه الرومانسيون إلى العاطفة والقلب بدلاً من اعتماد الكلاسيكي على العقل وحده في أعمالهم الأدبية. وصار الإحساس بالجمال هدف العمل الأدبي لا الحق الذي يفرضه العقل (٦).

أدباء عصر النهضة الأوروبية:

لقد اقترنت أسماء كثيرة من عباقرة الشعر الأوربي خلال القرن ١٤ الميلادي بالثقافة العربية الإسلامية كان منهم (بيكاشيو - دانتي - بيترارك الإيطاليون) وشوسر الإنجليزى وسرفانتس الإسباني وغيرهم ممن نعرض له في هذه العجالة.

دانتى الأجيري (١٢٦٥ - ١٣٣١م):

من كبار أدباء إيطاليا في عهد النهضة ويفخر الإيطاليون بعمله المبدع في روايته (الكوميديا الإلهية) وقد جزم الراهب المؤرخ الكاثوليكي ميجل إسين بلاثيوس- عام١٩١٩ م وهو أستاذ العربية في جامعة مدريد- بأن دانتى استوحى الكوميديا الإلهية من قصة الإسراء والمعراج. واستدل على مقولته بمقارنة دانتي بالأدب الصوفي والمعرفي عند المسلمين بعد ترجمة قصة الإسراء والمعراج إلى اللغات الأوروبية بأمر الملك (الفونس) حتى صارت هذه القصة- الإسراء والمعراج من الأدب الشعبي في أسبانيا وإيطاليا.

ويؤكد المستشرق- كبريللي- هذا التأثير المتبادل بين دانتي في الكوميديا الإلهية- وأدب المسلمين ولاسيما رسالة الغفران للمعري حيث يتشابهان في وصف الجنة والنار والصراط. كما أكد بلاثيوس- وجود صلة وثيقة بين- دانتي- ومحيي الدين ابن عربي- والغزالي- فقد ذكر ابن عربي في- الفتوحات المكية- الأعراف وجهنم والصراط وأعادها دانتي بحذافيرها بعد ٨٠ سنة. تماماً كما أخذ (سانت أوغسطين) نظرية الفيض الإشراقي من ابن عربي في المعرفة عاد دانتي فتحدث في قصته أن الله نور- سبحانه وتعالى- بل وصل التشابه بين دانتي وابن عربي أنهما رأيا

رؤيا منامية- واحدة- شباب بملابس بيضاء في الجنة يتحدث عنهم ابن عربي في ديوانه- ترجمان الأشواق- وشرحه- ذخائر الأعلاق كما يتحدث عنهم دانتي في الكوميديا الإلهية(٧). ثم تبين في بحث للإيطالي تشيرولى والأسبانى سندينو- أن مصدر دانتى هو- المعراج- الذي وجد مترجماً للفونس العاشر ملك قشتالة (١٢٥٢-١٢٨٤م) وما تزال نسخها في مكتبة اكسفورد وباريس والفاتيكان (٨).

الكوميديا الإلهية:

لم تكن هذه الملحمة بهذا الاسم فقد سماها دانتي- الكوميديا- فحسب ثم أضيفت إليها (الإلهية) في طبعة ١٥٥٥م- ويرجح أن الشاعر بدأ بنظمها عام ١٣٠٧م واستمر ينظمها سنوات طويلة، وتتكون الملحمة من ثلاثة أجزاء (الجحيم- المطهر- الجنة الأرضية والسماوية) وكل جزء من هذه الأجزاء يتألف من ثلاثة وثلاثين نشيداً مع مقدمة من نشيد واحد تمام المائة .

والجحيم هو وادي المهاوي الأليم ومملكة الظلام في باطن الأرض يهوى إليها الإنسان الذي لا يحيا حياة الفضيلة بعيداً عن الله سبحانه وتعالى حيث تتساقط الأرواح كالأوراق الجافة إذا فارقت شجرها . وقد وصل دانتي إليها مع (فير جيل) رمزا الحكمة الشعرية وهو شاعر الانيارة اللاتيني. ويزور الطبقة الأولى وفيها من العلماء والشعراء ممن ساعدوا على رقي الإنسانية فهم أخف أهل الجحيم عذاباً، ويذكرهم ابن رشد وابن سينا وفير جيل. وفي الدائرة الثانية المترفون تدور بهم عاصفة لا تهدأ وفي الثالثة الشرهون - تتدلى بطونهم إلى الأرض يفترسهم الوحش ذو الحلاقيم الثلاثة، وفي الرابعة البخلاء المترفون البخلاء يدحرجون الصخور، وفي الخامسة الجبارون وأهل الغضب، يمزق بعضهم بعضاً بأسنانهم في وحل مستنقع نهر (ستيكى)، وفي السادسة الملحدون والمتكبرون وفي السابعة المتمردون والجبابرة والسافكون القتلة، أما الثامنة فهي منطقة الحفر اللعينة، إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهي أهل الغش والزيف والخداع والتملق والنفاق والخيانة وتحت ذلك كله يقبع الشيطان في أبعد مكان عن الله عز وجل. والمطهر جبل قريب من الجحيم وفي المطهر يكفر التائبون عن ذنوبهم فإذا تم نقاؤهم دخلوا إلى الجنة وفي المطهر سبع دوائر أو مناطق وهناك يترك دانتي صحبه (فير جيل) ليصحب محبوبته في الطفولة بياتريتشيه.

فقد وصل الشاعر بحبه لمحبوبته الصغيرة إلى درجات الأطهار المحبين لله عز وجل (٩) وقد صار من الراجح أن دانتي لم يتأثر إلا بقصة المعراج وحدها دون سائر المصادر الأخرى.

وقد نشر الدكتور (مارتينيانو) مدير مركز

الدراسات الشرقية بالقاهرة في مجلة تاريخ العرب والعالم تشرين الثاني ١٩٧٩م مؤكداً تأثر دانتي بمؤرخ بصري هو أحمد عبدالله بن محمد البكري وبالذهبي في ميزان الاعتدال الذي لا يوافق البكري في شطحاته وسعة خياله في قصصها (رأس الغول، ضياء الأنوار، قصة المعراج) التي استوحاها من حديث المعراج الصحيح وكتبها في القرن ٣هـ وترجمت إلى الفرنسية واللاتينية والأسبانية قبل مولد (دانتي) ومنها الترجمة المقدمة للملك الفونس – ملك قشتالة ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية فاطلع عليها (دانتي) ونظم الكوميديا الإلهية (١٠).

سرفانتس : دون كيشوت :

عاش هذا الأديب الأسباني في النصف الثاني من القرن ١٦م وتوفي أوائل القرن ١٧م أي في أواخر مجد أسبانيا البحري إبان عصر النهضة الأوروبية التي يمثلها شكسبير في بريطانيا و(ربليه) في فرنسا وسرفانتش في إسبانيا.

عاش قارئاً نهماً لكتب المغامرات والفروسية، واشتغل مدة بالتعليم ثم اشترك مقاتلاً في معركة ليبانت البحرية بين أسبانيا والدولة العثمانية (١٥٧١م) وجرح فيها، وخلال عودته أسره قرصان من شمال أفريقيا وبقي أسيراً مملوكاً في الجزائر مدة خمس سنوات ثم عاد الى أسبانيا ليكتب الروايات ولم يصادف نجاحاً.

اشتغل بجمع الضرائب موظفاً وانتهى الأمر به إلى السجن حيث كتب فيه روايته المشهورة (دون كيشوت) وهو في الخمسين من عمره.



وتدور روايته حول فارس اختلط عقله من كثرة قراءة قصص البطولة والمخاطرة ووقع في حب امرأة جميلة كان عليه ارضاءها بفك الأسرى ومقارعة الأبطال على حصانه الهزيل وصحبة خادمه (سانكو بنزا)، ويتخيل طواحين الهواء أبطالاً يطلب منهم منازلته، ويتخيل الخان الذي ينزل فيه قلعة تعج بالمحاربين، ويتصور قطيع الغنم جيشاً مدججاً بالسلاح، وحاول أحد أصدقائه إنقاذه من أوهامه فتنكر في زي فارس وبارز – دون كيشوت بشرط أن يترك المبارزة سنة لو غُلب. فهي رواية هزلية ناقدة تتحدى قصص الفروسية التي قرأها في شبابه فرأى طواحين الهواء وتخيلها فرساناً مقاتلين وهجم على أحدها مخالفاً نصيحة خادمه فيديرها الهواء ليسقط (دون كيشوت) صريعاً جوار فرسه الجريح. ويحاول خادمه إنقاذه فيقول له إن الساحر قد مسخ الفرسان إلى طواحين هواء.

وواضح في ثنايا القصة أثر ألف ليلة وليلة وقصص السندباد البحري، قصة يوسف الصديق

عليه السلام. لاسيما وقد عاش في الجزائر سنين طويلة أفاد منها روح المرح والسخرية ومفاهيم الفروسية التي أدخلها المسلمون إلى أسبانيا.

وقد اعترف سرفانتش لأهل عصره أن روايته دون كيشوت استمدها من مؤلف عربي يدعى سيد حامد إنجيلي وقطعت جهيزة قول كل خطيب (١١).

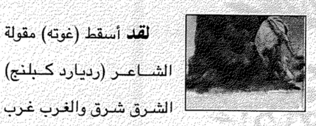
غوته:

أديب ألماني ألف كتابه (الديوان الغربي الشرقي) أو (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) نقله للعربية الدكتور عبدالرحمن بدوي وقد كان غوتة متأثراً بالفكر الإسلامي حتى بلابسه الخارجي فقد ارتدى ملابس الشرقيين ليعيش الجو الذي يريده ويوحي إليه بعبق الشرق وروحانية الإسلام. وكان في ديوانيه متأثراً بالقرآن الكريم الذي قرأ ترجمته الألمانية وبرز في شعرية (ولله المشرق والمغرب).. كما كان متأثراً بالشعراء الصعاليك مثل تأبط شراً والشنفرى (١٢) ...

كما تأثر بالأدب الفارسي من خلال تراجم المستشرقين. وقد بث في أدبه روح العالمية والدعوة لدراسة الآداب عند الأمم الأخرى. يقول جوتة: من حماقة الإنسان في دنياه أن يتعصب كل منا لما يراه.

وإذا كان الإسلام معناه التسليم لله

فإننا أجمعين نموت ونحيا مسلمين



لقد أسقط (غوته) مقولة الشاعر (رديارد كبلنج) الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان، فقد التقى الشرق والغرب في أدب (غوته) الذي عكف في فرانكفورت عام ١٧٧٢م على دراسة القرآن الكريم بترجمة المستشرق الألماني (ماراتشي) وبعد اطلاع جوته على القرآن الكريم راح يستشهد به في شعره: (لله المشرق والمغرب) وفي راحتيه الشمال والجنوب، هو الحق وما يشاء بعباده فهو الحق، سبحانه له الأسماء الحسنى، وتبارك اسم الحق وتعالى علواً كبيراً.

(ينازعنى وسواس الغي، وأنت المعيذ من شر الوسواس الغطاس، فاللهم اهدني في الأعمال والنيات إلى الصراط المستقيم).

(لم لا اصطنع من التشابه ما أشاء والله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلاً للحياة).

لقد كانت الكنيسة تتجاهل القرآن الكريم وأحرقت نسخته في البندقية ١٥٣٠م وتصر على أن ترفق الترجمة بتفنيد ما فيه والافتراء عليه.

وجاء عصر النور في القرن الثامن عشر فانكمشت تلك الأعمال العدائية من الكنيسة ومن ينافق لها طلباً للبركة ... ويشرع (جوته) في تأليف تمثيليته عن محمد صلى الله عليه وسلم عام ١٧٧٣م ليقرر فيها اعترافه بنبوة محمد صلى الله

عليه وسلم، ويسرد أحداث الإسلام الأولى في مرحلة الدعوة السرية، وإسلام أبي بكر وعلي وخديجة رضي الله عنهم، ويتناول الغزوات النبوية ومحاولة اليهودية تسميمه صلى الله عليه وسلم في خيبر.

إن اطلاع الأوربيين على الأدب الإسلامي لا يجعلهم مسلمين، وسيبقى كل شعب يحتفظ بأدبه ولغته مع اطلاعه على أدب الشعوب الأخرى، فهذه (فالنتين دوسان بوان) الشاعرة الفرنسية وصديقة (لامارتين) وقريبته تعتنق الإسلام في القاهرة لتحمل اسمها العربي الجديد روحية نور الدين لثقافتها القومية (١٣).

ولم يقتصر الأمر على (جوته) فهناك العديد من الأدباء العالميين ممن تأثروا بأدب الإسلام وبرز ذلك في شعرهم ومن هؤلاء في روسيا تولستوي ومكسيم جوركي. والشاعر الأسباني غارسيا لوركا وهو قدوة الحداثيين المعاصرين.

لقد كان لوركا يعتز بأصله العربي، ويلبس ملابس العرب، وراح إلى قصر الحمراء ليعيش الجو العربي، ويتمنى في شعره أن يتردد الأذان ثانية في تلك الأصقاع حتى قال عنه النقاد: إن لوركا عربي لم ينس العرب في كل ما كتب من شعر ومسرحيات.

ولد لوركا عام ١٨٩٩م واغتيل عام ١٩٣٦م منحدراً من أسرة كانت تتكلم العربية قبل ثلاثة قرون، واشتهر بين الأدباء الأسبان باسم (ملاك غرناطة) حيث التصق أدبه بها وغنى لها أروع قصائده، وسماها في قصيدة (غرناطة) مدينة الألم والمسك والسواك(١٤) ■

الهوامش :

١- الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ص ٧٠ – ٧٢.
٢ – الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ص ,٢١٠.
٣ – ص ,٢٨١.
٤ – تراث الإسلام شاخت ص ,٢٧٣.
٥ – د . يوسف عز الدين ص ٢٧ – ٢٨.
٦ – الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ص ٢٥ – ٤٠٧.
٧ – محاضرات في تاريخ العرب والإسلام د.عبداللطيف الطيباوي ص ٢٨٢ –,٢ ١٩٧٩م والأصول العربية للكوميديا الإلهية د. حسين مؤنس – مجلة العربي ع ١٤٢ د ١٩٧٠م ص ,٣٢.
٨ – الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ص ,١٥٤.
٩ – الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال ص ١٥٠ – (ثورة في الجحيم) لجميل صدقي الزهاوي و(الكوميديا السماوية) لمحمد الفراتي.
١٠ – تراث الإسلام د. حسين مؤنس ١٨٢/٢ وأثر الإسلام في النهضة الأوروبية للدكتورة سهير القلماوى و د. محمد علي مكي ص ,١١٨.
١١ – محاضرات في تاريخ العرب والإسلام د.عبداللطيف الطيباوي ص ٢٩١ – ٢٩٥ – . وصفحات مضيئة من تراث الإسلام أنور الجندي ص ٢٠٤.
١٢ – د . يوسف عز الدين ص ٢٧ ١– ١٤١٠هـ.
١٣ – د. محمد على الصاوي في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٣٢٧ – ٥– آيار ١٩٩٣م.
١٤ – ٥٠٢ – ١٤١٢ هـ – ص ٣٩ – ٤٠.

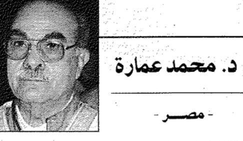
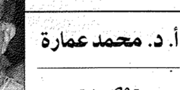


بين رحمة الإسلام .. ودموية التوراة المفتراة

□ لا يحسبن أحد أن حال « اليهودية - التوراتية » في موقفها من الآخر، أفضل، ولو حتى قليلا، من حال هذه « اليهودية - التلمودية » . . فالتلمود هو الشروح التي وضعها الأحبار والحاخامات - في مرحلة السبى وأحقاده - على التوراة، بعد تحريفها، وتحويلها من « التوحيد » إلى « الوثنية »، ومن « الإنسانية - الربانية » إلى « العنصرية - المتوحشة » .

وحتى لا يزعم زاعم أن الفاعل في الحياة اليهودية - الكلاسيكية والحديثة والمعاصرة - هى « التوراة » وليس « التلمود » وتلخيصاته، وأن إغفال موقف « التوراة » من الآخر، فيه تعمية على حقيقة موقف اليهودية المعاصرة - ومن ثم اليهود المعاصرين - من الأغيار.

حتى لا يحسب أحد ذلك، ولا يزعم أحد هذا، نقدم موقف التوراة من الآخر، كل الآخر وجميعه، وذلك من خلال موقفها من قتال الآخرين.

أ. د. محمد عمارة
- مصـــر -

في الإسلام القتال مكروه تُلْجئُ إليه الضرورة المحتمة

وحتى نستنطق النصوص حقائق دلالاتها، فإننا نسوق مشهد القتال للآخر في التوراة مقارناً بهذا المشهد في القرآن الكريم، وذلك ليرى الناس موقف القرآن من قتال غير المسلمين - هذا القرآن الذي افترى الكثيرون ولا يزالون يفترون عندما زعموا ويزعمون أنه قد شرَّع لانتشار الإسلام بالسيف والعنف والإكراه!؟؟ ليرى الناس موقف القرآن والإسلام والمسلمين من قتال الآخرين.. وموقف التوراة - وليس فقط التلمود - من قتال الأغيار.

* لقد جاء القرآن الكريم، على عكس كل الفلسفات والنظريات ومدارس التحليل النفسي والاجتماعي، التي رأت في القتال والعنف والحرب غريزة أصيلة ولصيقة بالإنسان، وثابتاً أزلياً وأبدياً من ثوابت النفس الإنسانية.. جاء القرآن الكريم - على العكس من ذلك كله - ليقرر أن القتال - إنسانياً ودينياً - أمر مكروه، وطارئ واستثناء تفرضه الضرورات.. فإذا حدث وفرضت الضرورات هذا الاستثناء الطارئ، فإن مثله كمثل الجراحات الضرورية والمكروهة، لا يخلو من خير، إذا كانت مقاصده خيِّرة، وإذا دفع فساداً أكثر وأرجح، وإذا وقف عند القدر الذي تحتمه الضرورات، وإذا ضبطت ممارساته بالشمائل والأخلاقيات الإنسانية والشرعية التي لابد وأن تتحلى بها فروسية هذا القتال.

نعم.. جاء القرآن الكريم ليقرر هذا المنهاج الإلهي في قتال المسلمين لمن يجوز قتاله من الآخرين.

- إنه مكروه، تفرضه وتستدعيه الضرورات. **{كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}** (البقرة الآية/ ٢١٦).. وفي الحديث النبوي الشريف، يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» (رواه الداري).

- ولا يجوز للمسلمين أن يقاتلوا أحداً ابتداء وفجاءة، فالقتال في الإسلام دفاعي.. ورد للعدوان.. ولا يجوز أن يتجاوز القتال رداً لعدوان عن المسلمين وديارهم وإسلامهم، سواء في مقاصد العدوان، أو آليات وأدوات صد هذا العدوان:

{وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين} (البقرة الآية/ ١٩٠).

{الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (البقرة الآية/ ١٩٤).

- وهناك حالتان اثنتان حصر القرآن الكريم فيهما جواز أو وجوب قتال المسلمين للآخرين المعتدين:

أولاهما: حالة أن يفتن الآخرون المسلمين في دينهم، بأن يكرهوهم على الكفر، أو يحولون بينهم وبين حرية الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

والثانية: حالة عدوان الآخرين على المسلمين بإخراجهم من ديارهم وأوطانهم، أو المظاهرة والمساعدة على هذا الإخراج من الديار والأوطان.

غير المسلم يعامل بـ (البر والمودة والقسط) مادام مسالماً

ولقد تتبعتُ في إحدى الدراسات التي سبق وأخرجتها ـ منذ أكثر من ربع قرن ـ جميع آيات القرآن الكريم التي جاءت في «الإذن» بالقتال، و«الأمر» به، و«إيجابه»، و«الحض والتحريض» عليه، فوجدتها جميعها في هذا الإطار لا تتعداه[١].. حتى لقد صار ذلك معياراً عاماً وحاكماً لقتال الآخرين في القرآن والإسلام.

{عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} (الممتحنة الآيات/٧ ـ ٩).

فالأصل ، في العلاقة مع المخالفين والآخرين، هو السلم والمودة والبر والقسط ـ العدل ـ أما القتال فإنه طارئ استثنائي، يفرضه عدوان الآخرين على المسلمين بإكراههم وفتنتهم في دينهم.. أو إخراجهم من الأوطان والديار، بالتهجير والاقتلاع أو بالاستعمار والاحتلال..

ـ وفي هذا الإطار، وتحت هذا المعيار، بدأ «الإذن» بالقتال في القرآن الكريم للذين أخرجوا المسلمين من ديارهم: **{أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}** (الحج الآيات/ ٣٩ ـ ٤٠).

فهو إذن للذين ظلموا، وقوتلوا، برد الظلم والعدوان..

ـ وعندما «أمر» القرآن المسلمين بالقتال، كان هذا الأمر قتالاً لمن أخرجوهم من ديارهم، فهو رد لعدوان، وجزاء من نوع العمل: **{وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم، كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم}** (البقرة الآيات/ ١٩٠ ـ ١٩٢).

ـ وعندما تحدث القرآن الكريم عن القتال باعتباره «فريضة واجبة» كان ذلك في مقام عدوان الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، وفتنوهم في الدين بالحصار والإكراه والتعذيب: **{كُتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون * يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}** (البقرة الآيات/ ٢١٦، ٢١٧).

ـ وكذلك كان المقام وكانت الأسباب والمقام عندما «استنفر» القرآن المسلمين لخوض غمار القتال.. فالمقام والسبب ـ لهذا الاستنفار ـ هو عدوان الآخرين ـ من المشركين ـ عندما استفزوا الرسول والمؤمنين فأخرجوهم من الديار.. وعندما تآمروا على الرسول

{صلى الله عليه وسلم}، ليسجنوه أو يقتلوه:

{وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} (الأنفال الآية/ ٣٠).

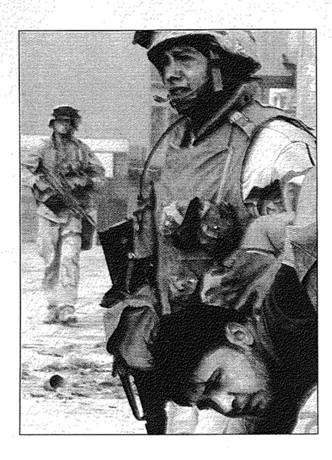
{ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا} (الاسراء الاية. ٧٦).

{ وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم} (محمد الاية/ ١٣).

{ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين} (التوبة الآيات/ ١٣، ١٤).

- وحتى في حال «عتاب» القرآن الكريم للبعض الذين تقاعسوا وتثاقلوا عن القتال، و«استنفارهم» لهذا القتال، كان المقام هو التذكير بالقضية التى هى السبب في هذا القتال.. قضية عدوان الآخرين على المؤمنين بإخراجهم من الديار:

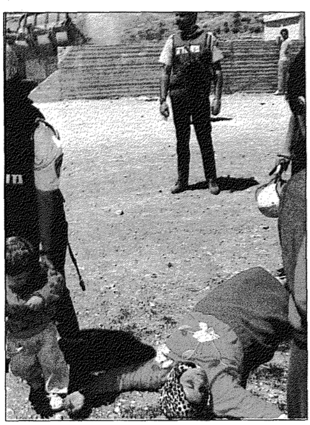
{ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليماً ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا، والله على كل شيء قدير * إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا، والله عزيز حكيم * انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلك خير لكم أن كنتم تعلمون} (التوبة الآيات/ ٣٨ - ٤١).



فكل هذا «العتاب» وجميع هذا «الاستنفار» للرد على عدوان الذين أخرجوا الرسول {صلى الله عليه وسلم}، والمؤمنين من الديار والأوطان.

- وفي مقام حديث القرآن الكريم عن «المكانة» التى أعدها الله، سبحانه وتعالى، للمؤمنين الذين استجابوا لدعوته.. يأتى التذكير بمقام الذين قاتلوا رداً لعدوان الذين أخرجوهم من ديارهم واقتلعوهم من أوطانهم، وآذوهم: **{فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بعضكم من**

حتى فى حال الحرب والقتال، المسلمون عُدول يراعون شروطها ومقضياتها



بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله، والله عنده حسن الثواب}
(آل عمران الآية/١٩٥).

من أخلاقيات الحرب في الإسلام ألا تقتل إلا مقاتلاً.. ولا تقتل امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً.. ولاتدمر بيئة

وعلى هذا المنوال تأتى جميع الآيات القرآنية التى «أذنت» و«أمرت» و«أوجبت» و«حثت» على القتال، لتحصر مشروعية القتال في رد عدوان الذين يقاتلوننا في الدين، أو يخرجوننا من الديار، أو يظاهرون ويساعدون على هذا الإخراج.. ولتقف بهذا القتال - آفاقا ومقاصد وآليات - عند رد العدوان.. فهو - في الحقيقة - قتال القصاص: **{الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين}** (البقرة الآية/ ١٩٤).

- وغير هذا الضبط والتحديد لأسباب القتال - قتال الآخرين - في الإسلام.. نقدم الاسلام على درب السمو الأخلاقى غير المسبوق، في هذا الميدان، فضبط القتال وغرائزه ومضاعفاته بأخلاقيات جعلت الإسلام والمسلمين رواداً لما يمكن أن نسميه «أخلاقيات الفروسية الإسلامية»، حتى في هذا الميدان الذى عزت وتعز فيه الأخلاقيات.. حتى ونحن ندخل إلى القرن الواحد والعشرين!.

فالمسلمون لا يقاتلون غيلة وفجاءة، وإنما لابد لهم من إعلان الآخرين - المعاهدين الذين لم يتلبسوا بالخيانة والعدوان - بالقتال، طالما كان الموقف عند حدود «الخوف من نقض العهد.. والعدوان الوشيك»: **{وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين}** (الأنفال الآية/ ٥٨).

وفي الحديث النبوى الشريف :

«أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ما قاتل قوماً حتى يدعوهم» - رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني - وإذا قاتل المسلمون، فإنهم لا يجهزون على جريح.. ولا يقتلون أسيراً، بل ولا يضيقون عليه فى ضروريات وحاجيات الحياة..

وكذلك ، فإنهم لا يقاتلون ولا يقتلون غير المقاتلين، فلا قتال ولا قتلى للنساء، والأطفال والمسلمين، والرهبان والعُبّاد، والمنصرفين إلى الزراعات والتجارات والصناعات والحرف وشؤون العمران..

بل لقد ذهبت «أخلاقيات الفروسية الإسلامية» إلى آفاق التشريع للتعامل الإنسانى الرفيق مع

الحيوانات ومع النباتات إبان القتال.. فهم لا يقطعون شجراً، ولا يقتلعون زرعاً، ولا يدمرون البيئة، ولا يذبحون حيواناً إلا لضروريات وحاجيات الحفاظ على الحياة!..

وفي سنة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ذخائر لدستور هذه الأخلاقيات - أخلاقيات القتال - فلقد روى مالك في «الموطأ» عن عبد الرحمن بن كعب: أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «نهى عن قتل النساء والولدان»..

وأخرج البخارى ومسلم ومالك - في «الموطأ» - عن ابن عمر - رضى الله عنهما : «أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ، رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان.».

وكتب عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه، إلى عامل من عماله: «أنه بلغنا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان إذا بعث سرية يقول لهم : «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلُّوا[٢]، ولا تغدروا، ولا تمثُّلوا[٣]، ولا تقتلوا وليداً».. ثم أردف عمر بن عبد العزيز - في رسالته إلى واليه - : «قل ذلك لجيوشك وسراياك، إن شاء الله. والسلام عليك» - رواه مسلم، ومالك - في «الموطأ».

ومن طلب الأمان، من المقاتلين، ولو بالإشارة، فدمه مصون وحرام.. كتب بذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه إلى قائد أحد جيوشه، فقال: «إنه بلغنى أن رجلاً منكم يطلب العلاج حتى إذا أسند في الجبل وامتنع. قال رجل: تطرس (يقول لا تخف) فإذا أدركه قتله. وإنى، والذى نفسى بيده، لا أعلم مكان واحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه» - رواه مالك - في «الموطأ».

الحروب المتحضرة الآن تُدمر كل شيء

ولقد صاغ أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - هذه الشمائل الإسلامية دستوراً لأخلاقيات القتال في الإسلام، عندما أوصى «يزيد بن أبى سفيان» (١٨هـ/ ٦٣٩م)، وهو يودعه أميراً على الجيش الذاهب إلى الشام، فقال له:

«إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبَّسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبَّسوا أنفسهم له.. وإنى موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربنَّ عامراً، ولا تعقرنَّ شاة، ولا بعيراً، إلا لمأكلة. ولا تحرقن نحلاً، ولا تُفرِّقَنّه، ولا تَغْلُلْ، ولا تَجْبُن». رواه مالك في «الموطأ».

فكان ذلك أول دستور لأخلاقيات القتال، وضعه الإسلام، وطبقه المسلمون ديناً يتدينون به، قبل أربعة عشر قرناً من اتفاقات «جنيف» ، ومواثيق «حقوق الإنسان» التي لا يذكرها ولا يتعلق بها إلا الضحايا والمستضعفون! ■

للدراسة صلة -

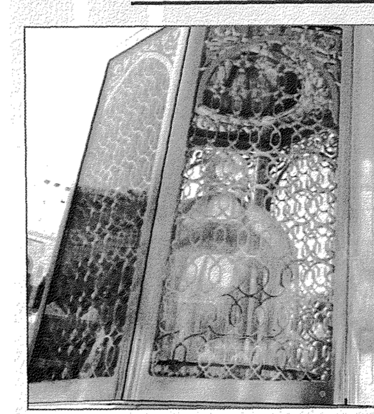
الهوامش :

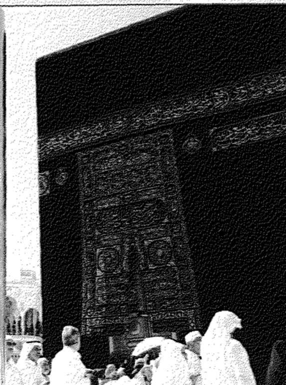
(١) انظر كتابنا (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية) ص ١٠١ - ١٢٣، طبعة القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) الغلول: الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل قسمها.

(٣) المثلة - بضم الميم وسكون الثاء وفتح اللام : هى التمثيل ببدن الخصم بعد قتله، وذلك بالجدع للأنف، أو السمل للعين، أو قطع الأعضاء - وهي محرمة شرعاً.


الصوم جنَّة
شهر رمضان
الذى أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان





شهر رمضان المبارك فضله وفوائده

فرضه وفضله:

□ شهر رمضان شهر مبارك فرض الله تعالى صيامه فقال عز من قائل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾

البقرة : ١٨٣

وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

د. سفير بن خلف القثامي

- المدينة المنورة -

والمسلمون يفرحون بشهر رمضان المبارك: ويهنئ بعضهم بعضاً بقدومه، لما له من فضل عظيم؛ فهو شهر الطاعات والرحمات، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد (١) الشياطين. شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. وبصومه تكفر الذنوب، وتمحى الخطايا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢) : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». وقال - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه (٣): «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

ليلة القدر

وفي رمضان ليلة القدر، وهي ليلة مباركة خصها الله تعالى بفضل عظيم، حين أنزل القرآن العظيم فيها، وجعلها خيراً من ألف شهر. قال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الشمس) . سورة القدر.

وقد أكرم الله تعالى من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً بمغفرة ما تقدم من ذنوبه، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - مؤكداً هذا الفضل العظيم (٤): «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» يا له من فضل عظيم يناله المسلم من قيام ليلة واحدة فقط.

آداب صيام رمضان :

لصيام شهر رمضان آداب ينبغي أن يلتزم بها المسلم، لينال أجر الصيام، ولئلا يكون حظه من صومه الجوع والعطش، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -(٥): «رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورُبَّ قائم حظه من قيامه السهر».

ومن تلك الآداب ما يلي:

١ - الابتعاد عن الرفث والصخب. وعدم الرد على من سبه، أو قاتله إلا بقوله: «إني صائم» قال - صلى الله عليه وسلم «٦» (الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب فإن سابه أحد، أو قاتله: فليقل إني صائم».

٢ - الابتعاد عن قول الزور، والعمل به قال - صلى الله عليم وسلم - «٧» «من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»: لان الصيام ليس الكف عن الطعام والشراب، كما يتصور بعض الناس، وإنما هو

السيطرة على النفس، وكبح جماحها، وقصرها على فعل الطاعات، وترك المنكرات في القول، والفعل. قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «٨»

«ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم».

فوائد الصيام:

للصيام فوائد عظيمة على نفس الإنسان، وجسمه: فهو يربي النفس على التحمل والصبر، وعلى ترك الشهوات والملذات فينال المسلم بذلك أجراً عظيماً.

قال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر: ١٠

ويغرس الصيام الرحمة في قلب الغني؛ لأنه يجعله يشعر بما يشعر به الفقراء؛ فيجود عليهم بما يستطيع؛ فيكسب بذلك الثواب العظيم من الله عز وجل.

والصيام يكسب الجسم صحة؛ لأن الجسم يقوى بقوة النفس؛ ولأن الصيام يخلصه من كثير من الأشياء الضارة المتراكمة في أجزائه فتزداد صحته ونشاطه؛ فينعكس ذلك على صحته.

جعلنا الله ممن يصوم رمضان حق صيامه، ويقومه إيماناً واحتساباً، وممن ينال الرحمة في أوله، والمغفرة في وسطه، والعتق من النار في آخره انه سميع مجيب الدعاء.

قبسات شعرية:

قال تميم بن المعز (٩) :

أرمضت يا رمضان السيئات لنا
بشربنا للتقى علا على نهل
صوم وبر ونسك فيك متصل
بصالح وخشوع غير منفصل ..
يا ليت شهرك حول غير منقطع
وليت ظلك عنا غير منتقل

الهوامش :

١ ـ تصفد: تشد بالأصفاد، وهي السلاسل والأغلال. ومعنى ذلك هو انقطاع تأثيرهم على الصائمين، ليأسهم من دفعهم إلى المعاصي. وقد جاء هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا كانت أول ليلة من رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن» صحيح سنن ابن ماجه: ٢٧٥. باب: ما جاء في فضل رمضان.

٢ ـ رواه مسلم في كتاب: الطهارة .

٣ ـ رواه البخاري ومسلم في كتاب: الصيام .

٤ ـ رواه البخاري ومسلم في كتاب: فضل ليلة القدر، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها.

٥ ـ أورده الألباني في صحيح الجامع: ١١٧٤/٣، وقال: «صحيح».

٦ ـ رواه البخاري ومسلم في كتاب: الصيام.

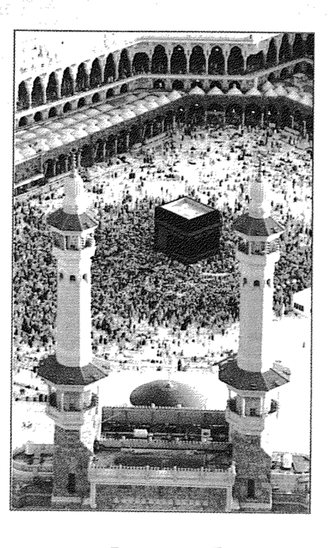
٧ ـ رواه البخاري في كتاب: الصوم.

٨ ـ أورده الألباني في صحيح الجامع: ٨٨.٨٧/٥ وقال: «صحيح».

٩ ـ ديوانه: ٣٤٠ .

د. نادية محمد السعيد

- مصـــر -



الصيام وقوانين الحياة

□ يقول الله تعالى: ﴿ وأنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

جعل اللّه سبحانه وتعالى الصوم عبادة خاصة... بين الإنسان وربه «الصوم لي وأنا أجزي به...» وهو عبادة تتعامل مع ذاتية الإنسان مباشرة.... تمسه من داخله... تتكلم معه بلغة يفهمها الجسد وتقدرها الروح... ألا وهي لغة الحياة... لذلك جاء ثوابه خاصاً.... من اللّه إلى العبد... هو في الحقيقة هبة ومنحة وهدية.... يفرح بها المؤمن يوم القيامة كما يفرح بها في عيد الفطر بعد انتهاء رمضان.. وشتان بين الفرحتين... ولكننا كمسلمين نعرف ونقدر فرحة عيد الفطر حق قدرها لأنها تأتي بعد ترويض الجسد.. وتنمية الإرادة... فتأتي بالصحة بعد اعتلال.. والقوة بعد الإنهاك.. والسلامة بعد الإشراف على هاوية الردى... فما معنى ذلك... هذا موضوع حديثنا عن لغة الحياة وعلاقتها بالصيام وهو حديث مشوق ومفيد.

جعل الله سبحانه وتعالى للحياة لغة متعددة المفردات والمقاطع... كلماتها قوانين في مجملها تسير عليها.. نمواً وتكاثراً ودفاعاً ضد الأمراض وصحواً ونوماً.. وغير ذلك من مظاهر نشاط الكائن الحي... سنة اللّه في خلقه ولن تجد لسنته

تحويلاً.... والإنسان ككائن حي يشترك مع غيره من الأحيـاء على ظهـر الأرض في هذه اللغـة.... بكافة مفرداتها.... وخصائصها.... فعلى سبيل المثال... إذا قالت لغة الحياة إن تناول الطعام يمد الإنسان بالطاقة فإن الإنسان تنطبق عليه هذه المفردات... ولا يصلح له أن نمده بالطاقة بأية صورة أخرى.... فإن أوقدنا تحته ناراً كما نوقد تحت المرجل عندما نريد ان نمده بالطاقة فإنه سيحترق... وإن أوصلناه بمصدر كهربائي كما نفعل بأي جهاز كهربائي فإنه سيموت مصعوقاً... وقل بعد ذلك عن مصادر الطاقة ما تشاء... فلا ينطبق على الجسد البشري والحيواني من ثم إلا ما يصلح له من مفردات لغة الحياة التي قدرها الله عليه (أي الإنسان) إلزاماً وإجباراً... وهذا معنى من معاني لغة الحياة... أما إذا قرأنا نفس اللغة فإننا نجدها تقول دون مواربة إن الإسـراف في تناول الأطعمـة والأشـربة يؤدي إلى التـخـمـة وأمراضها التي لا نعرف لها علاجاً إلا الامتناع عن السبب الذي بدأت به... ولقد اقترن الإسراف عامة بالعمل السيئ في الإسلام تماماً كما اقترن التقتير - فكل شيء (حتى العبادات) إذا أسرف الإنسان فيه على نفسه تحول إلى شيء غير مرغوب نهى الله عنه ورسوله... فالله سبحانه وتعالى يقول: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر».

ويقول الصادق البشير صلى الله عليه وسلم «إن المنبت لا أرضـاً قطع ولا ظهـراً أبقى..» الحديث... وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: «ألا إني أصـوم وأفطر وأنكح النسـاء فـمن رغب عن سنتي فليس مني...» عندمـا نهى المؤمنين عن المغالاة في العبادة والمواصلة في الصوم اليوم بعد الآخر دون طعام بينهما... أو شرب.. لأن هذا مضاد للغة الحياة... ولا يستقيم معها إلا التوسط في الأمور... لذلك قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَاس وَيَكُون الرَّسُول عَلَيكُم شَهيداً ﴾ (البقرة: ١٤٣).

ولينظر الإنسـان حوله.. فـيـجـد من أمـر الصيام عجبا.. فهو مهما بلغ في صيامه من الامتناع عن الطعام والشراب فلن يبلغ ما يفعله الدب القطبي الذي قدر الله عليه الصوم غريزة لمدة ستة أشهر في العام هي مدة الشتاء القطبي.. وأعطاه بذلك قدرات لا تتأتى لبشر.. حيث تنخفض درجة حرارة جسده إلى ما يقرب من عشر درجات مئوية ولا يموت ولو حدث ذلك للإنسان لمات فوراً... وينخفض عدد دقات قلبه إلى دقة واحدة كل أربع دقائق في أقصى حالات السبات ومثلها التنفس الذي ربما ينقطع ويصبح التنفس جلدياً بالكامل.. ولو حدث ذلك للإنسان لمات فوراً... وهكذا تشاء إرادة الله حتى يحتفظ هذا الحيوان بنوعه فلا يقتله الشتاء القطبي الذي تبلغ درجات الحرارة فيه معدلات برودة لا يستطيع أن يتخيلها عقل.. فهي تنخفض إلى سبعين أو ثمانين درجة مئوية تحت الصفر.. الأمر الذي يحول الماء إلى ثلج فقط، بل



إلى جليد أقصى من الحديد صلابة... ويكسر العظام.. ويفرى الجلود... ولكن مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يرينا قدرته في خلقه في كل زمان ومكان... وما أمر أهل الكهف إلا معجزة من عند الله يريها لنا مكررة في الأحياء من خلق الله سنة بعد أخرى.. فعلينا أن نتدبر ونتعظ ونعلم أن لهذا الكون خالقاً سبحانه وتعالى عما يصفون... خلق كل شيء فهدى.... فإن كان سبحانه قد جعل الصوم لهذه الكائنات وأمثالها غريزة وليس تكليفاً... وسباتاً وليس أمواتاً فإنه بقدرته قد حفظها... وجعل لغة الحياة تتخلى عن بعض غلوائها كما فعل لإبراهيم عندما قال للنار (كُوني بَرْدَاً وَسَلاماً عَلَى إِبرَاهِيمَ).. فلغة الحياة بالنسبة للنار أن تحترق الكائنات والأجسام بها... ولكن هذه اللغة لم تنطبق بنفس النتيجة على إبراهيم... خليل الله .. بل تحولت بأمر الله إلى النقيض تماماً... برداً نقيض الحر.. وسلاماً نقيض الاحتراق... فسبحان الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى.. ولما كان الصوم ليس غريزياً بالنسبة للإنسان... فإنه سبحانه وتعالى قدره عليه تكليفاً وتشريفاً... حتى يشعر الإنسان بلغة الحياة التي تسري في جسده وروحه... فكما أن الإرادة البشرية تحتاج إلى تدريب حتى تقوى وتظهر ملكاتها.. فإن جسد الإنسان يحتاج إلى تدريب حتى تنطلق مواهبه... ويصبح قادراً على مواجهة مشقات الحياة والسعي على الرزق في عافية وصحة في الجسم والنفس... ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً في دعائه لله عز وجل «اللهم إنا نسألك العفو والعافية وحسن الختام».

ويقول للسيدة عائشة أم المؤمنين «بل سلي الله العفو والعافية.. أي لأحب أن أعافى فأشكر خير من أن ابتلى فأصبر.. «صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم» عندما سألته عن البلاء والصبر عليه خير أم العافية والشكر عليها... وأيهما تسأل المولى عز وجل.

من المؤكد أن الجسم يحتاج في بعض الفترات إلى التوقف عن الأكل ليحاسب نفسه ويلملم شتات قواه.. وينظف آثار هذا التراكم الغذائي في شرايينه وخلاياه.. علماً بالمبدأ الإسلامي الرشيد «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» وتطبيقاً للمبدأ الطبي الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم «بئس الداء البطانة...» فمن سبقته بطنه فلا رجاء في عقله... ولا صلاح فيه... ولغة الأرقام في جسد الإنسان تؤدي إلى بناء حقائق مذهلة.... عن التخمة والبطنة وما تفعله بالإنسان جسماً... قبل أن تؤدي بإرادته وتورده موارد التهلكة، لقد وجد الأطباء أن زيادة كيلو جرام واحد من الشحوم المترسبة في الجسم يضيف حوالي ألف متر من الأوعية الدموية.. ويمثل عبئاً زائداً على القلب بما يوازي ٣,٥٪ من كل مجهوده العضلي... وبما أننا لا نعترف في حياتنا اليومية بالكيلو جرامات الأحادية.. بل نتعامل في الزيادة بعشراتها ـ فإن القلب يجهده على الدوام عمل وعبء يساوى ١٥٠٪ من طاقته دون أي داع.

ولما كان الإنسان يسير على قدميه... فإن أثقال الجسم تتوزع في محصلات من نقاط التوازن تقع أهمها على الركبتين والعجز والفقرات القطنية.. والرقبة... ولما كان الرأس لا يزداد حجماً بالبدانة وليته كان يفعل... إذن لا يقطن الإنسان من نهمه إلى خطورة ما يفعل.

فإن مراكز الثقل الأخرى هي التي تحمل الأعباء الجسمية من جراء أي زيادة في الوزن.

فإذا زاد وزن شخص ما ١٠ كيلو جرامات عن معدل الوزن الطبيعي (١) فإن الإجهاد الواقع على ركبته يساوي ١٧٪ من القوة الارتكازية لعضلات نفس الركبة، ويساوي في نفس الوقت ضعفاً في قوة العضلات بمقدار يساوي ١١٪. وإذا حسبنا القوة المؤثرة بالنسبة للقوة الارتكازية ما تفعله بالركبتين بالنسبة للوزن العادي إلى سطح الركبة = ٧٥ كجم/ بوصة مربعة فإذا زاد الجسم الوزن بمقدار ١٠ كجم فقط فإن هذه القوة تتضاعف.. أي تصبح ١٥٠ كجم/ بوصة مربعة ولا تسل عما يفعله هذا الضغط الهائل في الركبتين.. ولكن يكفي لكي نوضح هذا الأمر أن نقول إن صفيحة من الحديد سمكها ملليمتر واحد لا تستطيع أن تصمد أمام ضغط مقداره ٥ كجم/ بوصة مربعة إذا تعرضت له لمدة ١/١٠ ثانية فقط... فما بالنا ونحن نحمل أجسامنا طوال اليوم... إن الركبة تتآكل وتلتهب وتتورم.. ويدور الإنسان بعد ذلك على الأطباء وما به إلا السمنة ومافعلت بركبتيه أما الفقرات الظهرية.. قطنية كانت أم عجزية - فإن زيادة وزن البطن بنصف هذا المعدل أي ٥ كجم فقط يفعل بها العجب العجاب... فعند حساب هذا الإجهاد المعلق للوزن الزائد على الفقرات المذكورة نجده يساوي ١٩٠٪ من إجمالي الوزن.. أي يساوي تقوساً في الظهر إلى الداخل من أسفل.. وإلى الخارج من أعلى عند الكتفين بمقدار ٤٥ زاوية محيطية.. لا ينفع معها علاج إلا التخلص من الوزن الزائد - وتقوية عضلات الظهر بالرياضة.. فإن لم يفعل الإنسان ذلك فإنه علاوة على أنه سيسير مثل علامة الاستفهام فإنه سيصاب بتآكل غضاريف فقرات الظهر والعنق.. وما يتبع ذلك من أمراض ومضاعفات... لذلك جاءت حكمة الصوم إذا استطاع الإنسان أن ينتفع به في إنقاص وزنه.. ودائماً الوقاية هي خير من العلاج.

يقول صلوت اللّه وسلامه عليه: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه... فإن كان ولابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه..» صدق رسول اللّه... فامتلاء المعدة بالطعام يؤدي إلى ترهلها وإصابتها بالتقرحات... ويشير العديد من الأطباء أن المعدة هي أول الأعضاء استفادة بطريقة مباشرة من الصيام.. وأقصد به الصيام الصحي الذي أُثر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وليس ما نفعله الآن حيث نضيع حكمة الصيام ومفعوله بعد وجبة إفطار واحدة.. إن المعدة تستطيع في المتوسط أن تستوعب أغذية وسوائل ذات أحجام تتراوح بين ٢٥٠سم٢ - ٣٥٠سم٢.. وذلك في



أقصى اتساع غير مضر لها.. وعندما يصوم الإنسان فإن المعدة تنكمش على نفسها صباحاً وطوال مدة الصيام... وقد استراحت من عناء هضم الوجبات.. وتفرغت لنفسها.. تصلح من شأنها وترمم خلاياها المنهكة بالعمل المجهد في العام السابق... ويتيح هذا الانكماش للغشاء المخاطي أن يبطن كامل تجويف المعدة بطبقة سميكة من المخاط الذي يعالج التقرحات الصغيرة والمتوسطة ويقاوم الجراثيم والالتهابات... كما أن فترة السكون تتيح للاتصالات العصبية بين المعدة والعصب الحائر أن تراجع نفسها وتنقي أسباب اتصالاتها الكيمائية والهرمونية من التشويش الذي ينشأ عن زيادة عملها... فتقل بذلك حركة المعدة... وينعدم إفرازها لحامض المعدة... وما معه من خمائر هاضمة... فتستريح خلاياها المفرزة... وتتفرغ لتجديد قواها... فإذا جاء موعد الإفطار... فإن المعدة وإن أصابها الجوع أول يوم... إلا أنها (بالتدريج) يتم تدريبها على تناسي إشارات عدم الامتلاء والتي قامت بالتشويش على إشارات الجوع الحقيقة والتي تصدرها مراكز عدة في الجسم... مثل الشرايين وتحت المهاد المخي والعضلات ومن بعد المعدة.

وهذا الشعور بعدم الامتلاء هو أساس البلاء في معدة الإنسان... فربما تكون أقوى من الشعور بالجوع حدة.... ودائماً يصاب به من أصيب بداء النهم والبطنة... والصوم ان اتبع كما أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يعالج هذا الداء... وأن يصلح من أمر المعدة ويرجع بها إلى الاستجابة الطبيعية للشعور بالجوع إن وجد - وينأى بها عن الاستجابة لعدم الامتلاء والذي أشرت إليه بكلمة التشويش على الشعور الحقيقي بالجوع... وشتان بينهما فالشعور بالجوع يكفي للتغلب عليه بضع تمرات أو لقيمات تمد الإنسان بطاقته الغذائية المطلوبة - أما الشعور بعد الامتلاء فإنه لا يكفي للتغلب عليه أي شيء.. وقانا الله من كل سوء.

ومن ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم لنا الأسوة الحسنة في الصوم وحكمته المبتغاة دينياً ودنيوياً عند الإفطار... حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر ويأمر المؤمنين أن يتبعوه في ذلك على بضع تمرات وجرعات من لبن أو ماء.. ويقوم إلى صلاة المغرب ويأخذ فترة راحة كافية ثم يقوم بالإفطار على اليسير من الطعام... لقد وجد الأطباء أن هناك حكمة بالغة وراء السنة النبوية الشريفة.. يجب أن نعض عليها بالنواجذ... فقد وجدوا أن وزن التمرة الواحدة دون النواة يتراوح من ٥ - ٧ جم سبعون في المائة من وزنها سكر فراكتوز وجلوكوز.. وتكفي ٣ - ٧ تمرات أن تعيد مستوى السكر في الدم إلى ١٢٠مجم/١٠٠ سم ٣ في فترة تحضيرية قصيرة وعلى امتداد زمني يبلغ نصف ساعة الأمر الذي لا يجهد البنكرياس ولا يجعله يسرع إلى

إفراز هورمون الانسولين كما يحدث إذا فوجئ بالشراب الذي حل بمقادير هائلة من السكر... أو من الطعام الدسم والنشويات التي تلقى بلا حساب في المعدة. إن ما نفعله إلا مخالف للسنة النبوية... ومخالف النصائح الطبية ويعتبر أقصر طريق إلى الإصابة بالتقرحات المعدية والسكر الهرموني وغير ذلك من أمراض المعدة التي تنشأ من كثرة ما بها من طعام.. عن قدرتها على إفراز أحماضها وخمائرها.. فعلينا التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نعالج شرور أنفسنا وسيئات ما نفعل في أجسامنا... فالرسول صلى الله عليه وسلم يدرب المعدة بذلك أن تفرق بين الشعور بالجوع الذي يزول بعد تناول التمرات والجرعات البسيطة من اللبن أو الماء.... وبين الشعور بعدم الامتلاء والذي يجب مقاومته أولاً بأول حتى لا يسيطر على الإنسان... وبما أن هذا الشعور عضلي ومن المعدة... فإن السيطرة لا تتأتى عليه إلا بتشجيع المعدة على الانكماش وصغر الحجم... الأمر الذي يؤدي إليه عدم ملئها بالطعام ساعة الإفطار.. ويوماً بعد يوم تعود المعدة إلى حجمها الطبيعي.. ويتضاءل اتساع تجويفها... ويختفي منها الإحساس بعدم الامتلاء وهذا فضل الله يؤتيه من اتبع أوامره... وأطاع رسوله. وهذا مثال من أمثلة يصلح بها الصوم من أمر الإنسان إرادة وجسماً.. وروحاً وعقيدة.. صلاحاً يجد فيه المؤمن راحة في النفس وعافية في البدن... وهذا مقصد الشريعة فالله تعالى يقول: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)** (الأنفال: ٢٤).

إن في الجسد قوى خلقها سبحانه وتعالى لا تظهر إلا وقت الشدائد... تختلف اختلافاً شديداً وبيناً عن الشهوات ـ مثل قوة الإرادة والتماسك الوظيفي بين الأعضاء المختلفة والحدة والتوقد الذهني وسلامة الأعصاب.. وقوة الدورة الدموية والقدرة على التأقلم مع الظروف المعيشية المختلفة... والبالغة القسوة وكلها ملكات جسدية لا يمكن انكارها... والصوم يقوم على تنبيه هذه الملكات مع الضغط على الشهوات فلا يميتها البتة ولكنه يقلل من آثارها في حركة الإنسان في حياته اليومية ولكي نضرب أمثلة على هذه القوة الداخلية أو اللا إرادية في جسم الإنسان نقول...

إن الكلية على سبيل المثال إذا كانت غير مريضة تستطيع ان تتواءم بطريقة مدهشة مع النقص في الماء أي في فترة الصوم في النهار ـ فإذا كانت تستطيع أن تفرز مادة البولينا بمعدل ٢,٥ مجم/١٠٠سم٢ بول وقت الإفطار فإنها تستطيع أن تزيد من معدل إفرازها عشر مرات في حالة الصيام أو ندرة الماء بحيث تستطيع أن تفرز في ١٠٠ سم بول ٢٥ ـ ٣٥ مجم بولينا ـ وهذا فضل من عند الله سبحانه وتعالى ـ لأنه لو تركت مادة البولينات في الدم بحجة أنه لا يوجد ماء لازم لإخراجها فإنها تسمم الدم... وتقتل الإنسان وهذا يسمى طبياً بالتحفيز النشط بالامتناع الاختياري عن تناول الماء حيث تنتبه أجهزة الكلية والهرمونات المفرزة في الجسم تبعاً لتغير التركيزات داخل الدم

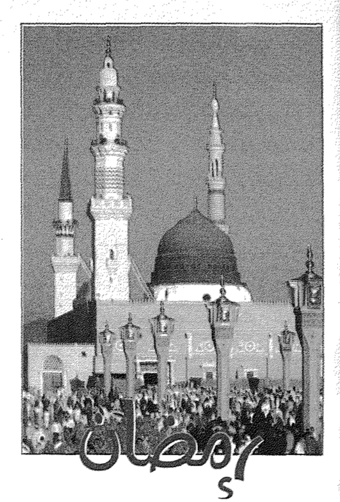


ووجود الماء من عدمه... الأمر الذي يتيح للجسم أن ينشط من هذه الأجهزة.. ويختبر استجاباتها.. وتنبه الحامل منها إلى هذه الاستجابة.. ويكفى للتدليل على ذلك أننا في الأوقات العادية نعمل بعشر القوة الكامنة في أذهاننا وقلوبنا وشراييننا وشعيراتنا الدموية.. وكليتينا... وهكذا... فإذا صام الإنسان فإنه يقوم بهذا التحفيز أو التنبيه الاختياري للطاقات الكامنة في جسده فيقوى بعد أن كاد الخمود فيها يقتلها ويدافع عن نفسه بقوى متكاملة متحفزة ضد الغزوات الجرثومية المتعددة الأوجه والدرجات... وفي نهاية شهر الصوم يتخلص الإنسان من كل ما عن له من أمراض لا تظهر له كأعراض يشكو منها... أما إذا اشتكى منها فمعنى ذلك أن المرض قد تمكن من قوى الجسد... ولم يعد يجدي التنبيه بل أصبح العلاج لازماً والله سبحانه وتعالى أرحم من أن يجمع على الإنسان مشقتين.. المرض والصيام... لذلك قال تعالى: **(وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَةٌ مِنْ أيامٍ اخَر يُرِيدُ اللّه بِكُمُ الْيُسَر ولا يريدُ بِكُمْ الْعسْرَ)** البقرة: ١٨٥).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل الصوم قوة في الجسد السليم - فإنه نهى المريض عن الصوم وجعل له إعادة إن استطاع أو فدية إن لم يستطع - وهناك في الصيام رخصاً أحكمتها الشريعة... فليرجع إليها المؤمن المسلم الذي يخشى الله ويتبع أوامره وليقتدي برسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد... فإنني في هذه العجالة التي قدمتها عن الصوم وتعامله مع لغة الحياة داخل أجسامنا لا يفوتني أن أنبه إلى حقيقة مهمة... وهي أنه دون الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في إفطاره... ودون البعد عن المغالاة في الأطعمة والأشربة عند الإفطار... فإن الصيام يفقد حكمته بعد أن يكون فقد من قبل ثوابه... وأتذكر هنا حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش....» وكما تصلح بالإخلاص فيها... ولن يكون الإنسان مؤمناً حقاً إلا إذا إتبع ما أمر الله به... والله سبحانه وتعالى يقول: **«وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين».**

وهذا الرجل الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفاً فاستضافه الرسول وأكرمه فشرب الرجل لبن سبع شياه فلم يشبع وعندما عرض عليه الرسول الكريم الإسلام فأسلم لم يستطع أن يشرب لبن شاة واحدة.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحدة»... أو كما قال صدق رسول الله - فعندما أسلم الرجل وملأت قلبه الحقيقة الإيمانية تغلب على شهوات بطنه وأصبح لا يتحكم فيه إلا أوامر الله ورسوله مما يفي باحتياجاته من حلال دون حرام وفي اعتدال دون إسراف - وهذا شأن من صلحت نفسه وقويت عقيدته وصدق على الله توكله... فاللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ■



رمضان أشرق

رَمضـــانُ أشـرقَ فـــائض الـغـــفـران
ببــــحـــار أنوار من الرحـــــمن
فـــيــهـــا رحـــيقُ يشـــرئِبُّ لذوقِـــه
جُلُّ الطوائف إنســهـــا والجـــان
أنا في مـــدينة «أحــمــد» أحــيـا الهنا
مـــذ قـــد ولدت بروضــهـــا الفـيـنان
قـد عـشت في «رمـضـان» أترع هديها
وســـلاف فـــــردوس من الإيمان
وأظلُّ أغـــرف من كنوز علومـــهـــا
مـــا جـــاء روحـــاً بيِّن الفـــرقـــان
فـيـهـا من الأعـراف نور «مــحــمــد»
يجلو الغـشـاوة مـشـرق التـبـيـان
كل الخـــلائق ردَّدت بضـــمـــيـــرها
أصـــــداء آيات من القـــــرآن
ســفــر من الأنوار راح يصــوغــهـــا
قـــدر الإله بحكمـــة الرحـــمن
تروي مع التـــاريخ ســـر خلودها
قـــد صـــانهـــا ربي بكل مكان
لتكون آية « أحــمــد » ببــقـــائهـــا
حـــفظاً ، منيــعـــاً ســـائر الأزمـــان
ولكل خلق اللّه رمـــز ســـعـــادة
نـــوراً يـــشـــع لـــدولـــة الإيمـــان
يُهـــدى بهـــا كلُّ الورى في رحـــمـــة
دنيـــا وأخـــرى البـــاقـــيـــات الشـــان
فـيـهـا الخـلاص من العـذاب وسـجـيـه
وفكاك آثام من البـــهـــتـــان!!!

***

ستعود تشرق شمس «أحمد » في الدُّنَى
لحـــيـــاة ســـعـــد في رُبَى الأكـــوان
اللّه أكـــبـــر.. مـــا أجل كـــلامـــه
إظـهـــــاره للـديـن في القـــــرآن
رغم البـــغـــاة الظالمين وكـــيـــدهم
اللّـه ناصـــر عـــبـــده بأمـــان
ومـــنيب رجس الظلم في أوكـــاره
ومـــجـــســـد للعـــدل والإحـــســـان
ســبـحـــان خـــلاق الوجـــود بعلمـــه
شـكـراً لـه ربي عظـيـم الشـــــان
وتبـــارك الرحـــمن جل جـــلاله
رب العـــروش مـــحـطم الأوثان!!!

***

ســتــعــود « طـيـبـة » عن قــريب للورى
تحـــكـــى بـــدائـــع دولـــة الإيمـــان

نور البـــشـــائر رددته جـــبـــالهـــا

أصـــداء قـــرآن لكل كـــيـــان

ســـــــتُـطِلُ فـي أُفْقِ الـدُّنَى لألاءَةَ

تجلو بهـــا الظلمـــات في الأكـــوان

ضَــمَّتْ بِحُبٍّ فُـــرقَـــةً مـــا بيننا

تحـــنـــو عـــلـــى الأجـــنـــاس والألـــوان

مِــنْ أبْـدِعِ الآيـات هــيـاً مُـنْـزَلاً

فـــاحت بـأشـــذاء من العِـــرفـــان

مـن نـبـع نـور الـلّـه جل جـــلاله

نور يُكَحِّلُ مُـــقْـــرحَ الأجـــفـــانِ

«جـبـريل » حـوَّطه بالعـزم يسكبـه

عطراً شـــذاهُ أقـــدس الفـــرقـــان

***

طوبى لأحـــمـــد هانئـــاً مـــتنعـــمـــاً

في جنة الفـــردوس والرضـــوان

قُـرَّتْ عـيـون الأنبـيـاء جـمـيـعـهـم

بجـــمـــيل صنع للإمـــام البـــاني

تلمـيـذ أحـمـد والحـفـيـد سـلالة

ووسـيلة ومـجـسِّـد القـــرآن

عـــمـــلاً وعلمـــاً ســـالكاً في دربه

نَهْجَ النبي مُـــبَـــدِّداً الأحـــزان

خَـــتَم النبـــوةُ والرســـالة كلُّهـــا

لتظل ســـعـــداً في ذُرَى الإيمان

نور الرســـالة في بهـــاء جـــبـــينه

كـــالشـــمس إشـــراقـــاً على الأكـــوان

كل القـــمـــاقم فـــتـــحت أقـــفـــالهـــا

فـــتـــحـــاً مـــبـــيناً ناضـــر الألوان

قل للذي بذر الفـــســـاد ببـــغـــيـــه

ومـــسَـــفِّـــه الأحـــرار والعـــبـــدان

إني لأشْـــمُـت بالطغـــاة فـــإنَّهُم

زرع الهـــوى وصنيـــعـــة الشـــيطان



محمد كامل الخجا

- المدينة المنورة -

« اللّه أكـــبـــر » هذا الكون أوْجَـــدَهُ

للخـــيـــر ليس لزارع الطغـــيـــان

آمنت «باللّه » شـــاء «اللّه » قـــدرته

آمنت «باللّه » فــهــو المبـدع البــاني!!!.

***

ســتـعـود «طيـبـة » عن قـريب للْوَرَى

تحـــكـــي بـــدائِـــعَ دولـــةِ الإيمـــان

نور البـــشـــائر ردَّدَتْهُ جـــبـــالُهـــا

أصـــداءَ قـــرآنِ لكل كـــيـــان

ســـــــتـظل فـي أفـق الـدنـى لألاءة

تجلو بهـــا الظلمـــات في الأكـــوان

ضَــمَّتْ بِحُبٍّ فُـــرقَـــةً مـــا بيننا

تحـــنـــو عـــلـــى الأجـــنـــاس والألـــوان

مِــنْ أبْـدَعِ الآيـات هــيـاً مــنـزلاً

أشـهـى «القـوارير » من أشـذاء الريحـان

مـن نـبـع نـور الـلّـه جل جـــلاله

نور يُكَحِّلُ مُـــقْـــرحَ الأجـــفـــانِ

«جـبـريل » حـوَّطه بالعـزم يسكبـه

عطراً يفُـــوحُ بأقـــدس الفـــرقـــان

آمنت «باللّه » شـــاء «اللّه » قـــدرته

آمنت «باللّه» فــهــو المبـدع البــاني!!!

ســتـعـود «طيـبـة» عن قـريب للْوَرَى

تحـــكـــي بـــدائِـــعَ دولـــةِ الإيمـــان

ستعود تشرق شمس «أحمد » في الدنى

لحـــيـــاة ســـعـــد في ربى الأكـــوان!!!



الصوم تربية وإعداد

□ شهر رمضان حبا الله فيه أمة الإسلام من الإنعام والإكرام والأفضال ما لم تنله أمة نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم صوم شهر رمضان آداب رفيعة، وحكمة سامية، ونظام حياة متكامل وليس موسمًا عابرًا.
نحن أمة الصّيام، ورثنا البُطولات كابرًا عن كابر وخلفاً عن سلف.

ها نحن نستقبل الوافد الحبيب والشهر المبارك العظيم بقلوب يملأها الشوق والحنين بعد غيبة طويلة لنستظل في حديقتها الغناء ونستعصم فيه بذنوبنا لعل الله يتقبل منا صيامنا وقيامنا، ليت شعري! هل علم المسلمون حقيقة هذا الشهر الكريم؟

إنه شهر الصيام، والقيام وغض البصر، وحفظ اللسان. شهر نزول القرآن الذي أنشأ أمة، وبنى جيلاً، وأسس دولة. شهر ليلة القدر التي جعلها الله خيراً من ألف شهر.

شهر الدعاء المستجاب، والعمل الصالح المقبول. إن شهر رمضان المعظم شهر الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الأعداء، على كل الأصعدة، وفي شتى الميادين. إن شهر الفرقان، فيه نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ببدر يوم التقى الجمعان - ففرق - بذلك - بين الحق والباطل إلى يوم الدين. شهر جعل الله أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النيران.

شهر الصيام حبا الله فيه أمة الإسلام من الانعام والإكرام، والأفضال ما لم تنله أمة نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

روى البيهقي عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت أمتي في رمضان خمساً، لم يعطهن نبي قبلي:

* **أما واحدة:** فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.



فيصل صالح أسعد
- جـدة -

* **وأما الثانية:** فإن خلوف أفواهم - رائحتها - حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة.

* **وأما الرابعة:** فإن الله - عز وجلّ - يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا، إلى داري وكرامتي.

* **وأما الخامسة:** فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً.

فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟

فقال صلى الله عليه وسلم: لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»؟!.

أرأيتم أيها الاخوان هذا الخير العظيم والجود العميم، يتفضل به الرب الكريم على عباده الصالحين؟ لقد وعي المسلمون الأولون هذه الحقائق، فكان رمضان عندهم غنيمة من الغنائم، يتسابقون لنيل أكبر قدر من ثوابه العظيم.

إن للناس في صيامهم ألواناً من العادات والتقاليد توارثوها على مر الأجيال، منها البعيد عن الإسلام بعداً كاملاً، ومنها ما يقترب من الإسلام قرباً يجعله ذا صيغة إسلامية، ومنها ما هو من صميم الإسلام ولبّه.

فمن الناس من يرى الصوم أسلوباً صحياً، وعلاجاً وقائياً، يبعده عن الأمراض، أو يكسبه مناعة ضدها، فأيام رمضان عنده وصفة طبية يتناول حباتها الثلاثين في كل يوم حبة، ولا علاقة له بعد ذلك بأخلاق الصيام، ولا بآداب الصيام، ولا بالحكمة الربانية التي شُرع من أجلها الصيام.

ومن الناس من يرى الصوم إمساكاً عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فإن هو فعل - بزعمه - فقد برئت ذمته، وأدى الذي عليه، وفات هذان الصنفان من الناس أن عملهم هذا بعيد كل البعد عن الحكمة التي كان صوم رمضان من أجلها ركناً من أركان الإسلام.

أدب الصيام..

١ - روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصيام جُنّة» - أي وقاية - فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم».

٢ - روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

٣ - روى ابن حبان، وابن خزيمة في صحيحهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

الصوم نظام حياة..

من هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها، نلاحظ أن للصوم آداباً رفيعة، وأن له حكمة سامية وأن الصوم نظام حياة متكامل وليس موسماً عابراً. إنه دعوة إلى كل فضيلة، ورادع عن كل رذيلة، وسياج دون كل معصية، فلا صخب في حياة الصائمين، ولا شتيمة ولا شجار. صامت ألسنتهم فلا كذب ولا بهتان، وصامت أبصارهم فلا تقع على حرام وصامت أسماعهم عما سوى الحلال، استجابة لتوجيهات قائدهم الكريم - عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم. «إنما الصيام من اللغو والرفث».

وهكذا نرى الصائمين نماذج ربانية، عافت لذيذ الشراب والطعام، وأقبلت على الصلاة والقيام، وجادت ابتغاء مرضاة الله بالاقوات والأموال. تسامت روحها، وعلت نفوس وتعلقت منها القلوب بما عند الله من نعيم لايزال، لقد رأت هذه الدنيا على حقيقتها، رأتها لقمة طعام فعافتها، وشربة باردة فتركتها، أو شهوة عابرة فتسامت عنها، وخلعتها، ولسان الحال منها يردد «وعجلت إليك ربي لترضى» هذه غاية النفوس المؤمنة، وأمنية القلوب الصادقة، أن تفوز برضاء الله، وليس لها غاية سواه، وهل هناك غاية أسمى وأغلى من رضا الرحمن؟

الصوم جهاد..

لذلك نجد أمة الصيام أمة جهاد وتضحيات، وأمة تعلّمت صناعة الموت في ظلال القرآن، وأتقنت حياة المجاهدين في مدرسة النبوة، كلما ذهب إلى ربه قائد مجاهد تلقف اللواء من بعده مجاهد آخر، يفديه بالنفس والولد والمال حتى غدا نشيد المؤمنين على الأجيال «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

نعم نحن أمة الصيام، ورثنا البطولات كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف، فيوم بدر كان يوم الفرقان، فيه اندحر الشرك وأهله أمام عصبة الصائمين، وفي رمضان كان الفتح العظيم، فتح مكة - الذي فتح للإسلام مغاليق القلوب، ومنيعات الحصون، فانطلق الصائمون ينشرون دين الله فوق كل مكان، بعدما أعلن مؤذنهم الأذان من فوق الكعبة، بيت الله الحرام، ولاتزال هذه بطولاتنا حتى في العصر الحديث عصر المادة والفساد والانحراف والالحاد.

فهل لقي اليهود الويلات في ربى فلسطين وذاقوا مر الهوان إلا من الأيدي المتوضئة والنفوس الصائمة عن كل ما حرم الله.

سلوهم فهم لا ينكرون: كم ليلة باتوها آمنين من كل الجيوش التي انتهت مسرحية قتالها بتسليم فلسطين، ولم يقلقهم إلا تلك الهجمات المؤمنة من شباب الإسلام التي كانت تدك عليهم مستعمراتهم، وتحرق حصونهم على من فيها من الرجال، وما فيها من العتاد والأموال، سلوهم فهم لا ينكرون: أليست تلك الهجمات المؤمنة الصامدة هي التي جعلتهم يخططون لنشأة كيانات هزيلة، وحكومات عميلة من حولهم حتى تقضي على الإسلام وشباب الإسلام.



نعم، هم الذين فعلوا ذلك، وصنائعهم هم الذين نفذوا ولايزالون ينفذون لهم ما يريدون، لأنهم كلهم يعلمون أنه لا حياة لليهود مع وجود هذه النماذج العفة النظيفة المؤمنة النقية، التي تربت في مدرسة الإسلام، وتحلت بأخلاق الأنبياء.

الصوم تكافل..

يحقق الصوم في نفوس الصائمين معنى الرجولة والتضحية والجهاد، فهو كذلك يربي النفوس على البذل والسخاء، وعلى الجود والكرم والعطاء.

إن الغني الذي يعضّه الجوع، ويضنيه الظمأ في شهر رمضان تتبدل مشاعره ويختلف إحساسه، ويدرك أن هناك أخواناً له يعانون طوال العام مثل الذي يعانيه في رمضان، فيسارع إلى مواساتهم، ويستجيب لنداء الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي يؤكد له أن الصوم معلق بين السماء والأرض لا يقبل عند الله إلا بإخراج صدقة الفطر، وتطالعه سيرة الرسول الكريم الجواد السخي الذي كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، عندها تهون في نفسه الأموال، ويتلفت إلى من حوله من المحتاجين يواسيهم ويؤازرهم، ويقدم لهم ما يصلح حالهم، ويسد حاجتهم من غير منّ ولا أذى، إنما واجب الأخوة التي فرضت الإسلام وحقق معانيها الصيام، وبذلك نجد المجتمع الإسلامي قد تحقق بالتكافل بين أبنائه، وقامت حياتهم على المحبّة والمودة والإخاء.

ولشهر رمضان المعظم منزلة عظيمة في نفوس الأمة الإسلامية، ذلك لانه شهر الخيرات وأكثرها زفراً بالنفحات الروحية دون غيره من الأشهر، والمسلم العاقل من يغتنم هذا الشهر المبارك في طاعة ربه عز وجل حتى يحظى بالمنزلة العالية، وإذا كان شهر رمضان المعظم يأتي في العام مرة واحدة، فليس معنى هذا أن أثره يقف عند هذا الشهر، بل إن الدروس التي يجنيها المسلم الصائم من هذا الشهر تمتد أثرها ليشمل الأحد عشر شهراً الأخرى فتصير السنة كلها رمضان، والصوم يُعد قمة امتثال المؤمن لربه عز وجل، فهو صائم دائماً عن الحرام ويأتي رمضان ليصوم عن كل ما يغضب الله عز وجل فيكون أشبه بالملائكة (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [سورة التحريم آية ٦].

فشهر رمضان المبارك هجرة إلى رحاب الله وفرار بالمرء من مغريات الحياة المادية إلى رحاب الحياة الروحية، لأنه عبادة تهذيبية تربي في المرء معنى الانضباط السلوكي الذي يسمو به إلى مصاف الملائكة المقربين، وهو فوق هذا وذاك شهر حوى بين جنباته ليلة من أعظم وأجمل الليالي ليلة القدر ليلة هي خير من ألف شهر فأنعم به من شهر، وأكرم بمن أدى حقه وأطاع ربه، وقرّت عينه.

صوم رمضان عبادة غريبة بين العبادات، فهي على ما بها من صبر وألم، وحبس وحرمان، محببة إلى نفوس المؤمنين، يفرحون بقدومها ويحتفلون للقائها، إلا أنها مقرونة بحذر، واحتفال مقرون

بجلال ووقار، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها.

الصوم عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان وترقق من نفسه الشهوانية وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحانية الخالصة، وتقربه رويداً رويداً الى الملأ الأعلى فقد شرع الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان في المساجد، لينقطع بكليته عن الخلق، ويجمع أمره كله للخالق، يسعد بمناجاته، ويتلذذ بقربه، ويضع بين يديه حالة ويتفرغ إليه في ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ما قدم . فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقرب منه، فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق، للاتصال بخدمة الخالق عز وجل، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية.

وإذا ما سهر الناس في ليالي شهر رمضان مع وسائل الإعلام غثها وسمينها ليناموا بعدها ما طال من النهار، فإن ليلكم يجب أن يكون قياماً بين يدي الله تعالى ضارعين، خاشعين، متبتلين، قانتين، تطلبون من الله نصر دينه، وإعزاز شريعته، والأخذ بأيدي اخوانكم الذين يحملون السلاح، ويقاومون الظلم والطغيان في فلسطين والعراق، ويجب أن يكون نهاركم عملاً دائباً وسعياً حثيثاً لتبلغوا مرضاة ربكم.

فما شهر رمضان بشهر كسل، ولا نوم ولا خضوع، إنه شهر الجهاد، فيه كانت غزوة بدر، وفيه كان الفتح العظيم ـ فتح مكة ـ وغير ذلك من الغزوات، فهنيئاً لكم صومكم، وهنيئاً لكم صلاتكم وقيامكم، وثقوا بأن الله معكم ما دمتم معه، ناصركم، مؤيدكم، فأصبروا، وصابروا ورابطوا، وأتقوا الله لعلكم تفلحون.

وأخيراً: العبادات في الإسلام ـ ومنها الصوم ـ من أهم الوسائل لتقويم الشخصية وبذر بذور الأخلاق، والتعود على العادات الحسنة وتقوية الإرادة، والصوم يؤهل الإنسان المسلم لارتقاء درجة الإنسان المثالي المتسلح بالأخلاق الكريمة، فلا يغش ولا يخدع، ولا يظلم الناس، ولا يهضم حقوق الآخرين، ولا يسعى للإفساد في الأرض وهذا ما يكسبه معالم الشخصية السوية التي تعرف حقوقها وواجباتها في الحياة، فيعيش في رغد من العيش وفسحة من الأمل والمحبة يعمل لخير نفسه وخير مجتمعه وأمته وللبشرية جمعاء ■

أهم المراجع:

١ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لابي زكريا يحيى بن شرف النووي المكتبة التوفيقية ـ القاهرة .

٢ ـ حجة الإسلام ـ الإمام الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ دار الكتبي بالقاهرة [الجزء ٢ ـ ص ٧٠]

٣ ـ منهج القرآن في تربية المسلم، دار القلم، بيروت/ محمد قطب.

٤ ـ علوم الدين الإسلامي/ الدكتور عبدالله شحاتة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م



لك الله يا رمضان

عبدالله موسى بيلا

- مكة المكرمة -

مِنَ الخُلْدِ.. أمْن شاطئِ الغيبِ تُسفِرُ
صباحاتُ أيَّام مِنَ النُّورِ تُبهِرُ

تُنيرُ دياجي النفسِ كالوحي مُشرِقاً
كما ضاءَ في الإظلامِ ماسٌ وجوهَرُ

وينسابُ مِنها البِشرُ في كُلِّ كائنٍ
ويسري مَعَ الأنسامِ مسكٌ وعنبرُ

وتجري مَعَ الأرياحِ أرواحُ هائمٍ
تَخُبُّ بِبَرِّ الشوقِ حِيناً، وتُبحِرُ

فتُصبِحُ في دَيمُومةِ الحُبِّ والهوى
وتُمسي ببحرٍ بالتباريحِ يزخَرُ

تَصُبُّ على الأفهامِ مِن فَيضِ جودِها
يقيناً.. وآمالاً عِظاماً تُفجِّرُ

فيَخشَعُ هذا الكونُ للجَرْس إذْ هفا
وأبدى مِنَ اللوعاتِ ما كانَ يُستَرُ

وطافَتْ على النورِ الإلهيِّ زُمرةٌ
كساها مِنَ الإيمانِ ثوبٌ ومِئزَرُ

تَغَنَّتْ - وما إثمٌ عليها - وزَغرَدَتْ
وهامَتْ بضيفٍ بالعطايا يُبشِّرُ

فأهلاً به يشدو بها كُلُّ طائرٍ
ومرحى بِهِ يزْهو به اليومَ مِنبَرُ

وَقَـدْتَ أيا شَـهْـرَ التـراتيل والهُـدى

تُفَـسِّـرُ مِن لَوعـاتِنا مـا تُفـسِّـرُ

تَمُـدُّ حِـبـالَ الوصل بينَك والورى

بِصـومٍ... وأنفـاسٍ إلى اللّه تَجْـأَرُ

لَكَ اللّهُ... يا شـهـراً أفـاءتْ بِظِلِّهِ

قُلُوبٌ على حَـقلِ الخطيـئـاتِ تُزهِرُ

أتَتْكَ... فَكُن برداً لهـا مِن ضِـرامِـهـا

وملجـأها ممّا تخـافُ... وتحـذَرُ

وصُنْها بحـصنِ الصـومِ عن كُلِّ مُـوبِقٍ

فـقـد عَـمَّهـا بحـرٌ من الخـوف أحـمرُ

وكُن في خِـضَـمِّ الكونِ للخلقِ مَـوئِلاً

وجِسراً... على أعـجازِه الناسُ تَعْـبُرُ

ألا أيُّهـذا الشـهـرُ أغـدِق فـضـائِلاً

على كُلِّ مـسكينٍ على العُـدمِ يُفطِرُ

وأيقِظْ قُلُوبَ الأغنيـاءِ لِيـذْكـروا

أناسـاً على الإمـلاقِ والجُـوعِ تصـبـرُ

فـفـيكَ مِن الآياتِ للخلقِ غُنيـةٌ

ومَـوعظةٌ لو في عطايـاكَ فكَّروا

أيا شـهـرَ نَصْـرِ الدينِ في كلِّ وَقـعـةٍ

يَقُـودُ أُسـودَ الحربِ فـيـهـا غَـضَنْفَـرُ

أمِـرْ ذِكـرياتِ الأمسِ في كُلِّ خـاطِرِ

وقُصَّ علينا مـا أُولِي البـأسِ سطَّروا

ببـدرٍ... وأمـلاكُ السمـا في دُروعِـهـا

وفي كـفِّـهـا الأسـيـافُ للهـامِ تَسْـبُـرُ

ومكةَ يوم الفـتحِ تسـري ركـائِبُ

إلى النصـرِ... والإسـلامُ أعلى وأظهَـرُ

مـحـمـدُ يحـدُوها ... وقـد زاغَ باطِلُ

وكُلُّ لِسـانِ الخلقِ... اللّه أكـبَـرُ

وحِطِّينَ...إذْ جَلَّى صـلاحُ عَنِ الدُنا

وعَن قُـدسِنا، رِجساً على الطُهرِ يَظهَـرُ

ولكنْ... أجِلْ طرْفـاً علينا. فلن ترى

عُـيـوناً لنا في عِـزَّةِ الدينِ تنَظُرُ

وسـائِلْ بلادَ القُـدسِ... مـاذا أصـابهـا ؟

وهل بينَ أهلِ الدينِ مَن سـوفَ يَنصُـرُ ؟

وقد أصبَحَتْ مأوى اليهودِ... وموطِناً
على سَفْحِهِ كُلُّ المُروءاتِ تُقبَرُ !
وجالت على أرضِ العراقِ عِصابةٌ
مِن الكُفرِ والعدوانِ والظُلمِ تَفْجُرُ
فذَلَّتْ رِقابُ المسلمينَ وأذْعَنَتْ
وداس عليها كافِرٌ يتبختَرُ
سِهامُ الأعادي في حشاها كثيرةٌ
ولكنْ... سهام الأهلِ والصَحْبِ أكثَرُ !
فَأيُّ سِهامٍ في الوغى سوف تتقي...؟
وأيُّ يَدٍ منّانةٍ سوف تَشْكُرُ ؟
أتيتَ أيا شهرَ التباشيرِ بالتُقى
تزُورُ لِماماً... والهوى فيكَ أخْضَرُ
فَلَيلُكَ قرآنٌ... وإخباتُ خاشعٍ
وصبحُكَ أضواءٌ مِنَ اللّهِ تُسفِرُ
حَنَانَيك... لاتَرحلْ عن الكونِ، فالنُهى
بِحُبِّكَ يا شهرَ السَناءَاتِ تَسكَرُ
يَلوحُ عليها اليومَ مِن بَعدِكَ الأسى
عليكَ... وما تُخفي مِن الوَجْدِ أكبَرُ !

فَحُطها بِكفِّ العطفِ والحُبِّ والرِضا
فَكفُّكَ غَيثٌ مِن يَدِ العفوِ يُمطِرُ
فيا أيُّها الشهرُ الذي فيك أشهرُ !
ويا أيُّها الدَهرُ الذي فيكَ أدْهرُ !
بِمَن تزدَهي الدُنيا - سواك - وتنتشي
وأنت لِكُلِّ الكونِ عِزٌّ... ومَفْخَرُ ؟
وقد تعتري وجهَ الزمانِ مصائِبٌ
تُغِيرُ على أيامِهِ... وتُكَدِّرُ
وأنت... كما قد كُنتَ: ما زِلتَ باسماً
ووجهُكَ - رُغمَ الدهرِ- ريَّانُ أنْضرُ
فَعُدْ... مثلما قد جئتَ ضَيفاً مُكرَّماً
تُعَمِّرُ مِن بُنيانِنا ما تُعَمِّرُ...
لَكَ اللّه... يا رفداً مِنَ اللّهِ للورى
وبحراً مِن الغُفرانِ... للخَلقِ يَغمُرُ
فَمِثلكَ شهر لاتُوَفّى حُقوقُهُ
وعن مَدْحِهِ كُلُّ الأقاويلِ تقصُرُ



الصوم ودوره في التربية النفسية

□ لم تظفر بعد ميادين علم النفس المختلفة بمثل ما ظفرت به الشريعة الإسلامية من آداب أخلاقية تهذب النفس وتنقي سريرتها وتكسوها حلل الكمال والجمال الأخلاقي فلم توجد وسيلة تربوية أو تهذيبية تقوم على النفس وتكثر شوكتها وتحجم من رعونتها أفضل من الصوم. وقد دلت آيات القرآن الكريم على الغاية التهذيبية للصوم حين قال الله تعالى ﴿ يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعكم تتقون ﴾

«البقرة» ١٨٣

د. محمد السيد المليجي

- مصــر -

فالصوم ـ كما عرفه ابن كثير في تفسيره ـ هو «الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة للَّه عز وجل. لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة... ولأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان» (١).

فإذا لم تتحقق التقوى عند الصائم فلا رجاء فيه ولا في صيامه وقد أكد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مراد القرآن من الصوم حين قال: «من لم يدع قول الزور أو العمل به، فليس للَّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (٢).

فليس الغرض من الصوم تفريغ المعدة من الطعام والشراب. وإنما الغرض إكساب النفس القناعة والارتقاء بسجاياها وطباعها إلى منزلة أخلاقية سامية تترفع فيها عن دنس المعاصي ورجس الشهوات ومن ثم فالصوم «فرض لغاية سامية وحكمة مقدسة، هي تربية النفوس والسمو بها إلى آفاق عليا من التطهر والصفاء، فلا تتحكم فيها نزعات الإثم ووساوس الشر، وشهوات الجسد، وإنما تكون دائماً نقية تقية تخشى اللَّه وترجو رحمته وتهاب حسابه» (٣).

منهج الإسلام في تهذيب النفس بالصوم

علم اللَّه سبحانه أن الصوم مشقة للعبد وجهاد لنفسه. فرغبه فيه وحببه إليه عندما غيّب عنه جزاءه وجعله سراً بينه وبين عبده حتى يخلص المؤمن في صومه ليحظى بطيب العيش والنعيم القيم في الآخرة.

وقد بين ذلك رسول اللَّه «صلى الله عليه وسلم» في الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضى اللَّه عنه ـ حيث قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم». «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به ـ والصيام جُنة. وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ـ فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى أمرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما ـ إذا أفطر فرح. وإذا لقي ربه فرح بصومه» (٤).

وفي حديث آخر يقول رسول الله «صلى اللَّه عليه وسلم» «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً. غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً ـ غفر له ما تقدم من ذنبه» (٥).

فقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الجزاء الوفير الذي أعده اللَّه تعالى للصائم يوم القيامة.

* وما ذلك إلا لأن الصيام ينفرد دون سائر العبادات بخصائص كثيرة. أهمهما: أنه سر بين العبد وربه، وأنه عبادة شاقة. فهو لون من الجهاد أو هو الجهاد الأكبر. كما ورد في بعض الأحاديث النبوية.

فكان في حاجة إلى أن يجيء الحديث عنه على هذا النحو من الترغيب والتحبيب لتقبل عليه النفوس راسخة الإيمان قوية اليقين، لا ترى فيه عبئاً ثقيلاً تنوء به ولكن تراه نعمة وخيراً للمؤمين، لانه فريضة خالدة في كل دين، يصل القلوب باللَّه ويحملها على استشعار خشيته ومراقبته وتقواه» (٦).

ومن جـزاء الصـوم أيضـاً مـا روى عن مـالك بن دينار رحمـه اللّه ـ حين قال «قرأت في بعض الكتب: يا معشر الصديقين تنعموا بذكري، فإن ذكري لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء.

وقال في حديث آخر: آثرتموني على شهواتكم، ورضيتم بي بدلاً من خلقي، فبي فافرحوا، وبذكري فتنعمـوا، فوعـزتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم» (٧).

وإذا كـان مـوفـور الجزاء من اللّه مـوقـوف على جهاد النفس وحجبها عن المأكل والمشرب وغيرها من الطيبات التي أحلها اللّه للناس، فليس هذا مسوغاً لتعذيب النفس وتحميلها فوق ما لا تطيقه ـ كما جاء عن غـلاة الصـوفـيـة في ذلك وإنما الغرض من ذلك تهذيبها وتأديبها حتى لا تجنح إلى الإسراف. وهذا ما سنوضحه في النقطة التالية.

الاقتصاد في الصوم

سبـقت الإشـارة إلى الغـرض من الصـوم وهو ترويض النفس وتربيـتـهـا على الأخـلاق الكريمة والإرادة القوية والهمة العالية من خلال الامتناع عن الطعـام والشـراب وكل مـا تميل إليـه النفس من الطيبات.

ولكن يجب أن يدرك المسلم أن الدين يسـر وأن اللّه لا يكلف النفس إلا بما تطيقه حتى تأخذ الثواب على هذه الاستطاعة. قال تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» البقرة: ٢٨٦.

وقـال أيضـاً «يريد اللّه بكم اليسـر ولا يريد بكم العسر» البقرة:١٨٤

وقال في الصوم نفسه «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر. وعلى الذين يطيقونه فدية طعـام مسكين . فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصـومـوا خيـر لكم إن كنتم تعلمـون » البـقـرة ١٨٤:

وفي ذلك يقول ابن كثير: أي أن المريض والمسافر لا يصـومـان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما. بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر.

وأما الصحيح المقيم الذي يطيق فكان مخيراً بين الصيام وبين الطعام، إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم كل يوم مسكيناً، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فـهـو خـيـر، وإن صـام فـهـو أفـضـل من الطعام» (٨)

كذلك أكدت السنة المطهرة الاقتصاد في الصوم وحـمل النفس على مـا تطيق فـعندمـا جـاء نفر من المؤمنين يستشفعون بالسيدة عائشة رضى الله عنها ليـأذن لهم رسـول الله «صلى الله عليـه وسلم» في وصـال الصـوم، فـقـالت: نـهى رسـول اللّه «صلى الله عليـه وسلم» عن الوصـال رحـمـة لهم، فـقـالوا: إنك تواصل. قـال: إنى لست كهيئتكم ـ إنى يطعمنى ربي ويسقين» (٩).

وفي مـوضـع آخـر قـال «صلى اللّه عليـه وسلم»: إياكم والوصـال مـرتين. قـيل إنك تواصل. قـال إني أبيت يطعمنى ربي ويسقين. فـاكفلوا من العمل مـا تطيقون» (١٠).

فـهـؤلاء الذين يشـقـون على أنفسـهم ويريدون الوصـال في الصـوم كـان غـرضـهـم جـهـاد النفس وإرهاقـهـا حـتى تسكن إلى اللّه وتقر بنعمـه عليـهـا وتنقطع عن طيـبـات النعم ورغـدة العـيش، لكنهم تحـقـقـوا مـن صـاحب الرسـالة أن الديـن لا يعرف



الإسـراف وأن اللـه لا يكلـف النفس بمـا لا تطيقه، وأنه سـبحـانه لم يحـرم على النفس أن تهنأ بطيب العيش مادامت قائمة على حدود اللّه تعالى.

قـال تعـالى: «يا أيهـا الذين آمنوا لا تحـرمـوا طيبات مـا أحل اللّه لكم ولا تعتـدوا إن اللّه لا يحب المعتدين» المائدة: ٨٧

وقـال أيضـاً: «قل من حـرم زينة اللّه التي أخـرج لعباده والطيبـات مـن الـرزق. قـل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة...» الأعراف: ٣٢

وعلى ذلك تكون المغالاة في الحـلال غير مقبـول عند اللّه ورسـوله، بل مـأخـوذ عليـه في التـشـديد والإسراف، وهذا مغاير لمنهج اللّه في خلقه.

ومما جـاء عن شيخ الإسـلام ابن تيـمـية في هذا الشأن أنه سئل ذات يوم عن شاب عقد مع اللّه تعالى عهداً على أن يصوم يوماً ويفطر يوماً طوال الدهر.

وقد فعل ذلك سنة وهو متـأهل وله عيال، كما أنه ذو مرض ويحتاج إلى نفسه في حفظ صحته.

فلما أحس بقدرته على دوام الصوم زاد من همته في حـفظ القـرآن الكريم، ثم زاد بقـيـام الليل وطول التهجد.

فـأثر مـجـمـوع ذلك خللاً في ذهنه، من ذهول وصداع يلحقه في رأسه وبلادة في فهمه، فأصبح لا يحيط بمعنى الكلام إذا سمعه، كما ظهر أثر ذلك في عينيه حتى كادتا أن تغورا. فهل صـوم هذا الشـاب يوافق رضـا الله؟ ثم أجاب ابن تيمية بقوله: «الحمد لله. جواب هذه المسألة مبني على أصلين:

أحدهما: موجب الشرع.

والثاني: مقتضى العهد والنذر.

أما الأول: فإن المشروع المأمور به الذي يحبه اللّه ورسـوله «صـلى الله عليـه وسلم» هو الاقـتـصـاد في العبـادة. كمـا قـال النبي «صلى الله عليـه وسـلم»: «عليكم هدياً قاصداً.. عليكم هدياً قاصداً» (١١).

وقال: «إن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فـاسـتـعـينوا بالعـدوة والروحة وشـيء من الدلجة. والقصد القصد تبلغوا» (١٢).

وقـال أبي بن كـعب «اقـتـصـاد في سنة خـيـر من اجتهاد في بدعة» فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة، مثل أن يصـوم صـومـاً يضـعـفـه عن الكسب الواجب أو يمنعـه عن العـقل أو الفـهم الواجب أو يمنعـه عن الجـهـاد الواجب، وكذلك إذا كـانت توقعـه في مـحل مـحرم لا يقاوم مـفسدته مـصلحتـها. مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس ويسألهم.

وأمـا إن أضـعفته عمـا أصلح منها. وأوقعته في مكروه؟؟ فإنها مكروهة.

وقد أنزل اللّه تعالى في ذلك قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرمـوا طيبات مـا أحل اللّه لكم ولا تعتدوا إن اللّه لا يحب المعتدين» المائدة: ٨٧

أمـا الأصل الثـاني وهو العـهد الذي عـقده هذا الشاب مع اللّه تعالى، فيقول عنه ابن تيمية «فالأصل فيه ما أخرج في الصحيحين عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم «من نذر أن يطيع اللّه فليطعه ومن نذر أن يعصي اللّه فلا يعصه» (١٣).

فإذا كان المنذر الذي عاهد اللّه يتضمن ضرراً غير مبـاح يفضي إلى ترك واجب، أو فعل محرم، فهذا معصية لا يجب الوفاء. بل لو نذر عبادة مكروهة مثل قيام الليل كله وصيام النهار كله. لم يجب الوفاء بهذا النذر».

ثم يوجز شيخ الإسلام وجهة نظره في هذه القضية بقوله «الأمر المشروع المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها، كالفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة فمن كان كذلك فمصيره إليه إن شاء اللّه (١٤).

وجماع الأمر عندنا في هذه القضية أن الوسطية التي ميزت أمة محمد «صلى الله عليه وسلم» عن سائر الأمم، هي الأساس الذي أقيمت عليه مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء ومنهجه القويم، والخروج عن هذه الوسطية يعد دليلاً على الخروج عن معالم الشخصية السوية المتزنة التي تنسجم بفطرتها مع الوسطية الإسلامية.

الصوم في التربية النفسية عندالشباب

يعتبر الشباب - عند الأمم المتحضرة - زخر الحاضر وأمل المستقبل وذلك لما يتمتع به من قوة بدنية وطاقة عقلية يجب أن تستغل وترشد وإلا صارت نكالاً ومعول هدم على أهلها قبل أن تمتد إلى الآخرين. والإسلام الحنيف تعرف على هذا السر منذ الفجر الأول من بذوغ شمسه الدافئة والمضيئة، وذلك عندما وضع له منهجاً تربوياً يكفل له السلامة من كل مكروه، والنجاة من كل ذلة أو كارثة.

والصوم أحد هذه الأسس التربوية التي قامت عليها معالم الشخصية السوية للشباب المسلم.

ومن ثم نرى رسول الله «صلى اللّه عليه وسلم» يرشد طاقة الشباب ويحسن توجيههم ويهديهم إلى أكثر من وسيلة يصلحون أنفسهم ويستعينون بها على حياتهم واستقامتهم ونجاحهم فيها، فيخاطبهم قائلاً: .. «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (١٥).

فقد زخر الحديث بمبادئ تربوية تكفل للشباب الوقاية من سوء في هذه السن التي تتصارع فيها القوى الشهوانية والعدوانية بداخله فيبين «صلى الله عليه وسلم» أن النجاة من هزائم هذه القوى والفوز عليها لا يكون إلا بالزواج الذي تجنح إليه النفوس الصحيحة، لأنه يعتمد على غض النظر - أحد أسلحة الشيطان المدمرة - كما أن الزواج يحصن الفرج من الوقوع في الزنى أو غيره من الزلات التي تخرب حياة الشباب وتقضى على قواهم. لكن الزواج الذي استحسنه رسول اللّه «صلى الله عليه وسلم»، يحتاج إلى تكلفة وصداق وغير ذلك من متطلبات الزواج قد لا يملكها كل الشباب فما البديل الذي يملكه كل الشباب؟!!.

كان الصوم هو البديل الذي حث عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه وسلم» جميع الشباب، بما فيه من جوع ومشقه ترشدان من قوى الشباب المتأججة ولما فيه من سنن وآداب تعين الشباب على الاستقامة والأخلاق الحسنة وإذا استطاع الشباب أن ينتصر على شهوات النفس بالصبر عليها، والصوم عن أدائها، فاز ونجا من شر مستطير كان ينتظره، وأصبح ذا همة عالية وارادة حقة يستطيع من خلالهما الوصول إلى سبل النجاة في الحياة ثم الفوز في الآخرة إن شاء الله.

فالصبر على الصوم الذي يحققه الشاب في نفسه «فرع من الصبر على الجوع» فالذين تعودوا الصوم من الصغر، والذين هم من أهل العزائم والهمم، والذين يأخذون من دنياهم لأخراهم أصبر الناس على الجوع والعطش، بل أصبر الناس على كل محبوب وأصبرهم على كل مكروه وهم الذين تقوم



بهم الدول وتبنى عليهم الممالك، وتستقيم لهم سياسة الأمم والشعوب، لأنه لا شيء أشد وأضرى من شهوة البطن، فإذا قمعها، فقد قمع كل شهوة بعدها، إذ كل شهوة لاحقة بها، تابعة لها» (١٦).

فالشاب الذي يتعود على الصبر من جراء الصوم هو الذي يستطيع التغلب على صعوبات طلب العيش ويقترب من سبل تحقيق النجاح. والشاب الذي يحقق في نفسه آداب الصوم. هو الذي يستطيع أن يهزم أعداءه ويتفوق على قرناء السوء ويكسب نفسه وشخصيته حلل العظماء وشيم النبلاء، وسمات الأسوياء من أهل الهمم العالية.

* فليس بصائم من يسهر الليل كله لينام النهار كله حتى لا يحس بحرارة الجوع والعطش. وليس بصائم من يمسك عن المفطرات المعروفة ويطلق لسانه في أعراض الناس ويفتح أذنيه لغيبة الناس، ويرعى بعينه وجوه الحسان، وليس بصائم من يقبع في بيته نهار رمضان حتى إذا ما أفطر خرج يرود أماكن اللهو والرقص والمجانة والخلاعة.

وليس بصائم من تضيق نفسه ويحترج صدره. فيظهر ذلك على قسمات وجهه. فيريد ويكفر ويقطب. محتجاً لسوء خلقه بالصيام والصيام تأديب وتهذيب فيكون عذره أقبح من ذنبه» (١٧).

فهذه عادات وظواهر نلمحها على كثير من الناس في شهر الخير والبركة وهذا لا يليق بالغرض الذي من أجله شرع الصيام. وهو تقوى الله سبحانه وتعالى.

من مقاصد الصيام

وأخيراً نتوج حديثنا عن الصوم بذكر بعض من المقاصد التي تربي النفس المسلمة تربية إسلامية صحيحة، فمن هذه المقاصد.

١- تدريب النفس على مراقبة الله تعالى:

لان الصوم أمانة بين العبد وربه، ومن ثم يجب أن يراقب فيه المسلم ربه تلك المراقبة التي هي قمة الإحسان بأن يعبد المسلم ربه كأنه يراه، فإن لم يكن العبد يرى ربه، فإن الله تعالى يراه، وهذه المراقبة هي التقوى بتعبير الشرع.

٢- تدريب الإرادة:

إن الصوم لا يحقق للنفس كل ما تريد، ومن ثم يحدث الجزع والنفور فإذا صبر الإنسان عليهما، تحلى بالإرادة فالإرادة نصيبها الأكبر في مخالفة النفوس عن أمرها.

٣- مخالفة هوى النفس:

وذلك لأن الصوم استجابة لدواعي الحق وان خالف هوى النفس. فطاعة الله عز وجل هي الأصل، أما هو، فينبغي أن يكون تبعاً لهوى الشرع.

٤- تعلم النظام والمشاركة في العمل:

فلا ريب أن الصيام يجمع المسلمين على آداب واحدة ووقت واحد أثناء الإمساك والإفطار. وفي هذا تدريب على النظام في العمل والمشاركة الأسرية التي تدعو كل أفراد الأسرة المسلمة إلى التعاون وحب الخير.

٥- الصيام تنظيم لعمل المعدة: (١٨)

فالمعدة تعمل عملاً متواصلاً طيلة أحد عشر شهراً الأمر الذي يجعل من الصيام فرصة للتخلص

من زائد الطعام، وكذلك التخلص من السموم التي تتراكم على جدار المعدة.

٦ـ الصيام دعوة إلى التآلف والوحدة:

لأن المسلم في هذا الشهر يحرص على عمل الخير وأداء المعروف إلى أهله، وغالباً ما يتحقق ذلك في دعوة الفقراء والمساكين وعابري السبيل للإفطار عند الأغنياء كما يتمثل ذلك في إخراج زكاة الفطر التي تقيم التآلف والتكافل بين المسلم وأخيه، وتدعو المسلمين إلى المساعدة والمشاركة في رفع مغبة العيش عن الفقراء والمساكين وغير القادرين من الفئات الأخرى.

٧ـ الصيام يدعو إلى التوحد العائلي والاجتماع الأسري:

فلا تجد شهراً من شهور العام كله يحرص فيه المسلمون على اللقاء العائلي أفضل من شهر رمضان فقد أكسب الصيام أمة الإسلام كثيراً من العادات الأسرية الكريمة التي تعطي الفرصة لإعادة المناخ الأسري الدافيء الذي تعيشه كل أفراد العائلات المسلمة في هذا الشهر.

٨ـ الصوم يهذب الشباب ويروض نفوسهم الشهوانية:

وأحسب أن هذا المقصد حظي بنصيب وافر من الشرح، وإن المقام لا يسع المزيد من القول وجماع الأمر أن الصيام ركيزة أساسية في تذكية النفس وترشيد قواها وطاقاتها عند الشباب خاصة وعند الناس عامة. ومن ثم استحسنه رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لمن لم يستطع الباءة من شباب المسلمين لما فيه وجاء ووقاية من ألوان الشر ومواطن السوء التي تكتنف بها النفس الإنسانية أثناء رحلتها في الحياة ■

الهوامش :

١ – تفسير ابن كثير: ١٢/١ مكتبة الدعوة الإسلامية ـ القاهرة ـ طبعة ـ ١٤٠٠ هجرياً ـ ١٩٨٠م

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه: ٣٣/٣ كتاب الصوم عن أبي هريرة رضى الله عنه ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

٣ – د/ محمد الدسوقي: الصيام في القرآن، ص ٢٤ دار المعارف ـ مصر ـ بدون تاريخ.

٤ – البخاري – كتاب الصوم – باب هل يقول إني صائم إذا شتم – ٣٤/٣.

٥ – البخاري – كتاب الصوم – باب «من صام رمضان إيماناً واحتساباً» – ٣٣/٣. عن أبي هريرة رضى الله عنه.

٦ – الصيام في القرآن: ص ٣٢ مرجع سابق.

٧ – الحكيم الترمذي: أسرار مجاهدة النفس، ص ٦٠ تحقيق إبراهيم محمد الجمل ـ مطبعة التقدم – القاهرة.

٨ – أنظر تفسير ابن كثير: ٢١٤/١.

٩ – البخاري – باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام – ٤٨/٣

١٠ – البخاري – نفس الباب – ٤٩/٣.

١١ – أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٣٥٠/٥، ٤٢٢/٣٦١.

١٢ – أخرجه البخاري في صحيحه – الباب الثامن من كتاب الرقائق.

١٣ – أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الايمان – اليابان – ٢٨، ٣١.

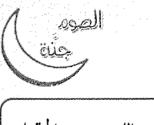
١٤ – انظر: ابن تيمية: أحكام الصيام، ص ٨٣، ٨٤، ٩٤ بتصرف ـ مجموعة رسائل لشيخ الإسلام – تحقيق: محمد عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٠٦ هجرية – ١٩٨٦م.

١٥ – صحيح البخاري – باب من خاف على نفسه العزوبة: ٣٤/٣ عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما.

١٦ – علي الجندي: قرة العين في رمضان والعيدين، ١/ ١٩٥ مطابع الاهرام التجارية – القاهرة.

١٧ – السابق: ١١١/١.

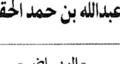
١٨ – د/ أحمد يوسف: العبادات في الإسلام، ص ٢٤٧ – ٢٥٠ بتصرف – دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١١ هجرية – ١٩٩١م.



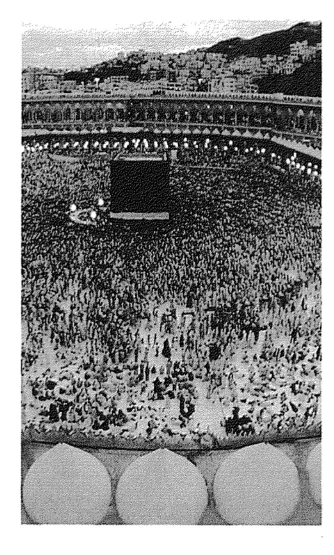


عبدالله بن حمد الحقيل

- الريــاض -



رمضان في مرآة الشعراء



□ *شهر رمضان شهر الصفاء والتسامي فهو شهر الفضل والسعادة شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الخيرات والصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنة، وتضاعف فيه الحسنات، وتقل فيه العثرات، وتجاب فيه الدعوات، وترفع الدرجات وتغفر فيه السيئات.. شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم خيراً كثيراً.*

هذه المعاني العظيمة وغيرها الكثير تثير في النفوس ذكريات جميلة، ألهبت مشاعر الشعراء على مر العصور فصفت نفوسهم، وسمت قرائحهم وقدموا لنا شعراً خالداً في دنيا الأدب والفكر والسمو به إلى الخير والمودة والإخاء وتثبيت دعائم الإسلام.. مازالت تحفظه للأجيال كتب التراث.. وتحفل به الدواوين والموسوعات لما فيه من لمحات أدبية جميلة، ولعل أول ما يذكرنا برمضان في الشعر العربي هم شعراء وأدباء صدر الإسلام والعصر الأموي وغيرهم من شعراء العرب

والمشاهير الذين أولوا رمضان ما يستحقه من العناية والاهتمام في رمضانياتهم.

ويأتي بعدهم شعراء العصر العباسي الذين أهدوا إلى التراث الأدبي شعراً جميلاً تصفو به النفوس والوجدان وكذلك الشعر الأندلسي الذي أسهم أدباؤه وشعراؤه بالمزيد من الروائع عن رمضان.. ولا غرو فشهر رمضان حفلت به أشعار جمة وصار موضع اهتمام الشعراء والأدباء قديماً وحديثاً لأنه من أعظم المواسم الإسلامية فضلاً عن تتويجه بعيد الفطر المبارك.. وقد تنافس المتنافسون من الشعراء والأدباء في التهنئة بحلول الشهر كما عرضوا لذكره وهم يهنئون بعيد الفطر.

ولم يفت الشعراء الحديث عن فانوس رمضان في العصور السابقة، بل أكثر الشعراء من وصف فانوس السحور، وقد قال واحد منهم:

ونجم من الفانوس قد شق ضوؤه
ولكنه دون الكواكب لا يسري
ولم أر نجماً قط قبل طلوعه
إذا غاب ينهي الصائمين عن الفطر

وإذا كان شهر الصوم أعلى منزلة عند الشعراء الأقدمين من جميع شهور العام، فكذلك كان هلاله عند الشعراء أبهى هلال، وترمقه العيون، ولا شك أن ما للهلال من جمال مستمد مما للشهر من جلال.. وقد قال فيه الشعراء المحدثون كشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم الشيء الكثير الذي سمي بالرمضانيات.

ومن رمضانيات الشعراء السعوديين المعاصرين نورد بعض القصائد على سبيل المثال مما يتسع له الموضوع وهو كثير.. يقول حسين عرب في قصيدته:

بشرى العوالم، أنت يا رمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
لك في السماء كواكب وضاءة
ولك النفوس المؤمنات مكان
وبك إسهام فؤاد كل موحد
يسمو به الإخلاص والإيمان

أما الشاعر محمد حسن فقي فقد أورد في قصيدته المسماة «رمضان» من المعاني الجميلة والأفكار الرائعة الشيء الكثير.. نختار منها الأبيات التالية:

رمضان.. في قلبي هماهم نشوة
من قبل رؤية وجهك الوضاء
قالوا فمي طعم أحس بأنه
من طعم تلك الجنة الخضراء
قالوا بأنك قادم فتهللت
بالبشر أوجهنا.. وبالخيلاء
تهفو إليه، وفي القلوب وفي النهى
شوق لمقدمه، وحسن رجاء

رمضان ما أدري ونورك غامر
قلبي، فصبحي مشرق.. ومسائي
نفسي تحدثني بأنك شافع
عند المهيمن لي من الأسواء
أأخا العروبة إن دين محمد
بالعرب قام بمهمة وضاء
أهوى بكسرى.. واستهان بقيصر
واجتاح كل عبادة عمياء
رمضان أسعدنا فإن سحائباً
سوداً تحط بأرضنا السوداء

أما الشاعر محمد بن علي السنوسي فيتحفنا بأبياته التالية:

رمضان يا أمل النفوس
الظامئات إلى السلام
بأشهر بل بأنهر ينهل
من عذوبته الأنام
طافت بك الأرواح سابحة
كأسراب الحمام
رمضان نجوى مخلص
للمسلمين وللسلام
أن يلهم الله الهداة
الرشد في كل اعتزام

وما أكثر أقوال الشعراء والأدباء في رمضان وماله من تأثير عميق في نفوسهم وإنتاجهم الأدبي والفكري. ويقول الشاعر محمود عارف:

في رحب أرواحنا لاحت بوادره
تهز أشواقنا هز الأراجيح
في كوكب الأرض شهر الصوم قد بزغت
أنواره تتجلى في التراويح
شهر له في قلوب الناس منزلة
وفي القلوب له نور المصابيح
في كل نشوة نبض من مشاعرنا
تمتد خاطرة عبر التسابيح
يا صوم يا مرتع الأرواح طائرة
في عمق أعماقنا من غير تطويح
رحماك عفوك طهر الصوم منبثق
مع التهجد من قلبي ومن روحي

وما أكثر أقول الشعراء والأدباء في رمضان وأثره في حياتهم وعنايتهم به وماله من تأثير عميق في نفوسهم وإنتاجهم الأدبي وعطائهم الفكري مما هو في صميم الموضوع ولو أردنا مزيداً من نماذج أشعارهم قديماً وحديثاً لضاق بنا المجال لأن عطاءهم وإنتاجهم الأدبي والشعري تزخر به مؤلفاتهم الجمة ودواوينهم العديدة.

ومن هنا نقول إن القصائد التي خص بها الشعراء رمضان أسهمت إسهاماً جليلاً وحسناً في ذكرى هذا الشهر الكريم ■



أحماض أدبية
٣٦

التخصص فى فن التلصص



□ أخبرنا أبو الفضائل المهذب[١] قال: لما خطبت أم الفضائل همت في حبها، وشغفت بها، حتى صرت أسير الهوى وقتيل الريم! وذات ليلة عبقة معطرة تجاذبنا أطراف الحديث بعدما علمت أنني شاعر مفلس، فسلطت علي سهام عينيها، وأمطرتني بوابل نبالها:

- قالت:

تحب الحسن إنك شاعر
يشجي حديثك كل ذات سوار
إني زراك عرفت أحوال الهوى
وحذفت وصف الحب بالأشعار
وجهلت معنى العيش أي غريرة
ترضى بعيش خادع غرار؟!
أين الدنانير التي تبني بها
قصر الغرام ودمية الأوطار[٢] ؟!

- فأجبتها:

وعلمت أني خائب
مجد الفتى بالعلم والآثار



د. أحمد عطية السعودي
- الأردن -

إني أعـيش بغـرفـة في غـربة
إلا عـن الأدبـاء والأحـــــرار
هذا ابن زيدون أنيسي في الدجى
والبـحـتـري ومـسلم سـمـاري
وأبو العـلاء وأحـمـد وسـمـيـه
وذوو المعـــارف كلهم في داري
وأرى المواكب للملوك وهزجـهـا
وأرى العـــزيز وذلة الجـــبـار
عـبـدوا الدنانيـر التى تبـغـينهـا
فـتـجلبـبـوا من أجلهـا بالعـار
كم من قـصـور باذخـات قـد بنوا
فـتـهـدمـوا فـيـهـا مـع الأشـرار
مـا أنت أول حـرة مـفـتـونة
بـالمال تلك حـكايـة الأدهـار[٣]!

قالت : والله لا تكتحل عيني بمسرة، ولا أطرب، حتى تأتي الطامع أشعب[٤] ، فتستدين منه ما يبني لنا قصر الغرام ودمية الأوطار، فقد ذكروا أنه عاد من أرض الصومال محملاً بالهدايا والموز والمال!

فسعيت إليه مهرولاً، وأتيته راغباً في إسعاد أم الفضائل، فألفيته في عمارة فاخرة، قد كسى حلة فارهة، كأنما هو قارون في زينته، فقلت:

- هنيئاً مريئاً يا أشعب، فقد حزت الحلي والذهب، فهل لنا فيه نصيب أو نشب؟!

قال : كأني لم أسافر إلى الصومال، وأستجدي وأحتال إلا لأجمع لك المال!

قلت : ما أنت إلا لص دجال من عصابة أبى رغال[٥] وما أظنك قد ذهبت إلى هناك مع أطباء بلا حدود أو فرق الهلال الأحمر تضمد الجراح وتخفف النواح، ولا أظنك إلا مع الصليب الأحمر تبغون تنصير المساكين باسم البنسلين والأنسولين!

قال : أعوذ بالله ، والله ما نصّرت مسلماً، وإنما كنت أستطلع الأحوال.

قلت: فأخبرني إذن عما فعلت في الصومال هل ما يزال أهلها مختلفين متناحرين على أيهما الأحلى: موز مقديشو أم موز كسمايو؟!

قال : كنا ندور في مقديشو ومركا، وهارجيزا وبربرة، وكسمايو طولاً وعرضاً، نستمتع بجمالها الخلاب، وجبالها ذات المطر المدرار، ونستحم في وادي شبلي، ونهر جوبا، ونتلذذ بأطايب الموز والأناناس والمانجا!

قلت : أنتم تستمتعون وتستحمون وتأكلون والصوماليون يقتتلون؟!

قال : لا خلاص لهم من حرب البسوس[٦]، والنزاع الضروس إلا بالإيمان والاتحاد وامتثال قول الله تعالى: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}[٧].

قلتُ :

يا أشعب:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها

فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ!

قال :

يا أبا الفضائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

فالقوم أعداءٌ له وخصوم!

قلت : ما حسدناك، ولكننا نستهجن كيف تضيّع عمرك، وتريق ماء وجهك في الشحاذة والكدية والاستجداء وبخاصة في بلد أحوج إلى الغذاء والدواء!

قال : إنما كنا نبحث عن العملة الصعبة التى لا تسهل إلا بأساليب متقدمة متقنة، وحافزنا الأول قول عروة بن الورد، فهو أبونا الروحي وعمودنا الفقري:

نريني للغنى أسعى فإني

رأيت الناس شرُّهمُ الفقيرُ

وأحقرهم وأهونهم عليهم

وإنْ أمسى له كرمٌ وخيرُ

يُباعده القريبُ وتزدريه

حليلتُه وينهره الصّغيرُ!

قلت : فما الأساليب المتطورة التى تتبعونها في الاحتيال وتدبير المال؟

قال : كثيرة تستعصي على المحصي، فإننا نتزيا بملابس رثة، ونتظاهر بالمرض، وضيق ذات اليد والعوز، ونحفظ من الأدعية ما يستعطف القلوب، ويبكي العيون، ويخرج الدراهم من الجيوب، وربما ربط بعضنا عصابة على جبهته أو رجله أو يده، وربما ترنح بعضنا في الشارع كمن فقد عزيزاً يولول وينتحب!

قلت : هذه أعمال الشحاذين، أما أنتم سادة الشلة ، وسدنة الملة؟!

قال : أما نحن فنتفق مع مجموعة من الأطفال، ونعطيهم جزءاً من المال، على أن يجمعوا لنا الغلة كل ليلة، ونتابعهم «بالجوّال» خوف قهر الرجال من فندق خمسة نجوم!

قلت : فما الجوّال يا أشعب الطماع، ويا أطلس عسال!

قال : هو الهاتف الخلوي النقال، الذي أهدانيه زهير بن نمير صاحب ابن شهيد[*]!

قلت : وهل درّتْ عليكم هذه الأساليب أفاويق اللبن والحليب؟

قال : ليس اللبن والحليب فحسب بل السمن والعسل والذهب، والعمارات الشاهقة والمراكب الفاخرة، والأطباق الراقية، وتبوأنا الصدارة في سوق البورصة والصناعة! فهل بعد هذا المجد المؤثل عمل أفضل؟! حتى لقد ولد لنا من يحمل في معصمه ساعة!

قلت : وما خبر ذلك يا أشعب؟!

قال : تزوج أحد النشالين من أصحابنا أكبر نشالة في روما، وبعد عام وضعت مولوده الهمام، معافى من الأسقام، ولكن الطبيب حار ودار لأن المولود يطبق يده بشدة، ويأبى أن يفتحها، وبعد جهد مضن تمكن الطبيب من فتحها، فوجد في يد المولود ساعة سرقها أثناء التوليد!

فلما كبر المولود سأله مدرس الحساب كم اثنين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة!

وسأله مدرس الموسيقى : ما أحب الغناء إليك؟ قال : نشيش المقلى!

ولما بلغ أشده واستوى تفنن في أساليب التسول والهوى، واستخدم أحدث التقنيات في فك الأقفال، وسرقة الخزانات، واستعان بالحاسوب في استلاب المال من البنوك والجيوب، حتى أثرى ثراء فاحشًا، وبطر بطراً باذخاً، فلقب تفاخراً بأبي قراط المفضال، وإن شئت: أبا قراط الجنتلمان، وصار أحد الحيتان التى تبلع البلدان، وما فيها من لؤلؤ وجمان، ومن عليها من إنس وجان!

قلت : قد استنزفتم موارد البهائم الرتع، والأطفال الرضع، والشيوخ الركع، ولستم والله بحاجة إلى دانق واحد، وما أنتم من الذين {يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً}[٨]، بل أنتم سوس الاقتصاد، ومعاول هدم الأمجاد!

قال : أو تريد أن نعيش فقراء، نلتحف السماء ونفترش التراب، وتنبحنا الكلاب، كما قال أحد الشعراء:

يمشي الفقير وكل شيء ضده
والناس تغلق دونه أبوابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يومًا فقيرًا عابراً
نبحت عليه وكشرت أنيابها!

قلت : فما تشترطون فيمن يود الانضواء تحت لوائكم السمين، وشعاركم اللعين؟!

قال : أن يتقن الكر والفر، ويحفظ المهنة والسر، ويتحمل الشتم والضر!

ونحن نرحب بكل ساحر دساس يبتز أموال الناس، وكل مسؤول غشاش مشغوف بجمع الرياش، وكل أستاذ جامعي مُعيّن بواسطة يتعالم على الطلبة، وكل تاجر جشع محتكر يرفع على المواطن السعر، وكل ممثل مهرج وممثلة ومخرج. وكل طالب في الدراسات العليا يطرح جانباً قيمه المثلى، ويسطو على جهد غيره، ويدعي وصلاً بليلى، وكل متذمر يشكو، وفي بيته من الطعام ما يعيله على الدوام، ومن المال ما يغنيه عشرة أعوام!

قلت : وكيف يجمعون المال في أيام وشهور، وأنا وأم الفضائل نعمل ثم نتقاعد، ونمل، ونعيش في دور الإيجار بلا كوخ ولا دار!

قال : نجمعه بأربع خلال :

البخل والإقتار ، والكنز والادخار ،

واليانصيب والقمار ، والربا والاتجار !

قلت : أعوذ بالله الواحد القهار، والله لا يأتي الحرام بخير ولا ثمار، والله إنا لنؤثر أن نستف التراب على تمريغ كرامتنا في أكوام السحت والتزلف والسراب!

... ثم تركته بعد أن صحت له، ولكنه وأترابه لا يحبون الناصحين، وأتيت أم الفضائل، فإذا هي شاخصة واجمة تنظر إلى يدي ولسان حالها يقول: ماذا أحضرت أيها الخطيب الحبيب؟.

قلت : يا ستي ، الله يغنينا عن مال أشعب وباقل وهبنقة فإنها منتزعة بسيف الخجل، ولسان الدجل، ولقد لقيت في طريقي إليك الشيخ العلامة الممتاز عبد العزيز بن باز[٩]، فملأ صدري سروراً، وحشا نفسي قناعة حتى صرت كما قال ابن ناجي[١٠]:

واثق الخُطوة يمشي ملكاً
فيه نُبْلٌ وجلالٌ وحياء!

قالت : فأتحفني بما قال لك الشيخ الجليل.

قلت : أنبأني أن العمل هو أساس الكسب، وأن سؤال الناس واستجداءهم دون حاجة قاهرة محرم في شرع الدين لقول النبي {صلى الله عليه وسلم} «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»[١١] وأن القناعة هي سلم السعادة!

قالت : فلم يعرض الشحاذون أنفسهم للمذلة، ولهم في العمل العزة والمسرة؟

قلت : حب السلامة يثني عزم صاحبه ... ولابد دون الشهد من إبر النحل!

وإني لأغبط ربابة صاحبة بشار على معيشتها.

قالت : ومن ربابة هذه ؟! أهي القائلة :

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلى من لبس الشفوف

قلت :

ربابة ربة البيت
تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات
وديك حسن الصوت!

قالت : الآن سررت منك ، فقد أردت أن أختبر همتك، وأسبر غور عزتك وأنفتك ، لمّا وجهتك إلى سؤال أشعب الثعلب، وأنا أعلم علم اليقين يا أبا الفضائل أنك:

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالكُ الدنيا سواءُ!

قلت : يا أم الفضائل، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، والمنية ولا الدنية، وعندي:

لقلع ضرس وضرب حبس
ونزع نفس ورد أمس
وقر برد وقود فرد
ودبغ جلد بغير شمس

ونفخ نار وحمل غار

وبيع دار بربع فلس

أهون من وقفة الحرة

يرجو نوالا بباب نحس[١٢]!

قالت : قد حدثك أشعب عن طائفة من الناس كالساحر والمسؤول الغشاش والأستاذ الجامعي المتظاهر، والتاجر الفاجر، والممثل المختل، والطالب الكاذب، والمتذمر الشاكي، فَلِمَ عدّهم في زمرة الشحاذين الدجالين، وهم يلبسون أحلى البذلات ، وأغلى ربطات الإنجليز، ويتختمون بالذهب الإبريز، ويحظون بأرقى الألقاب؟

قلت : سألت أشعب الطامع عن ذلك. فقال: حدثني أبي قال: حدثني جدي قال: هؤلاء بطن من بني جشعان يُعَرَّون عند العرب بقول الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة

ويروغ منك كما يروغ الثعلب!

قالت : يا أبا الفضائل، ألهؤلاء منهج يتقيدون به، ويصدرون عنه، ويستقون منه، كما يستقي حائرو الفلاسفة من رأس أرسطو ونيتشه، ومضبوعو السياسة من ماركس وماوتسي تونغ، ومخدوعو النفس من فرويد ويونغ، وسخيفو الأدب من البيركامو وزدونيس «جنغ»؟!

قلت : بلى . لهم كتاب متداول بينهم، لا يطلع عليه غيرهم، وضعه لهم ميكافلي[١٣]، وجعل مبدأه ومحتواه: الغاية تبرر الوسيلة، وجعل عنوانه وفحواه: (التخصص في فن التلصص) ■

الهوامش :

(١) أبو الفضائل المهذب: زاكي بن كامل يقال له «أسير الهوى» شاعر رقيق أصله من القطيب، وشهرته في هيت بالعراق، ت/ ٥٤٦هـ - ١١٥١م.

(٢، ٣) هذه الأبيات جميعها للشاعر الأردني حسني فريز المولود في مدينة السلط ١٩٠٧م، وله ديوان «هياكل الحب» وله قصص وكتب أخرى ت/ ١٩٩٠م. أحمد «المتنبي» وسميه: أحمد شوقي.

(٤) أشعب: أبو العلاء أشعب بن جبير كان مليح النادرة شديد الطمع، حسن الصوت، بارعا في الرقص، منادما للخلفاء، قادرا على إثارة الضحك، ت/ ١٥٣هـ - ٧٧١م.

(٥) أبو رغال: كان دليل الأحباش لما غزوا مكة.

(٦) حرب البسوس: كانت بسبب ناقة البسوس خالة جساس، وقد استمرت (٤٠) سنة بين بكر وتغلب.

(٧) الأنفال، آية ٤٦.

(٨) البقرة، آية ٢٧٣.

(٩) الشيخ عبد العزيز بن باز: محدث فقيه وإمام زاهد ولد في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٣٠هـ - ونشأ في بيت علم، وفقد عينيه إثر مرض، له مؤلفات كثيرة، توفي رحمه الله في عام ١٤٢٠هـ.

(١٠) ابراهيم ناجي: شاعر وطبيب مصري من مؤسسي جماعة أبوللو ت/ ١٩٥٣م.

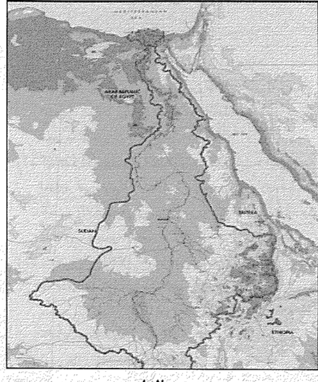
(١١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، م ١، ج ٣، ص ٧٥.

(١٢) هذه الأبيات في ديوان الشافعي (٢٠٤هـ) جمعه وعلق عليه محمد الزعبي ص ٥٢.

(١٣) ميكافلي: كاتب إيطالي وسياسي (ت ١٥٢٧م) يقول بمبدأ: «الغاية تبرر الوسيلة» وله كتاب «الأمير».

[*] إشارة إلى إحدى الأحماض بعنوان: «البرق الخاطف في صعق الهاتف»!

(انظر : المنهل ع : ٥٦١ - ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ص ١٢٠).



نهر النيل

نهر دجلة

التكوين البشري بين وادي النيل.. وما بين النهرين

□ كان لموقع العراق الجغرافي دوراً أساسيًا بارزاً ومهماً في تكوينه الحضاري، فهو يقع بين خطي الطول ٣٨ و ٤٨ درجة شرقاً تقريباً، وخطي العرض ٣٠ و ٣٧٫٥ درجة شمالاً على مقربة من الخطوط الجنوبية لامتداد مناطق العصور الجليدية التى ميزت جباله الشمالية بغزارة الأمطار وكثافة غاباته، ويعتبر العراق من الأراضي الغنية بالمياه، لوجود نهري دجلة والفرات إلى جانب الأنهر الأخرى، وهو يقع في منطقة جغرافية مهمة تصل مناطق وسط وشرق آسيا بغربها، كما تصل شمال إفريقيا بشرق أوروبا ووسطها، وكان دائماً مركز لقاء القوافل التجارية التى تربط هذه المناطق المختلفة ببعضها، حتى قل دورها مع اكتشاف

كان لوقوع العراق بين المناطق الصحراوية في جنوبه وغربه وبين المناطق الجبلية في شماله وشرقه، آثاره المهمة على تكوين سكانه السيكولوجي. إذ إن افتقار المناطق الصحراوية والجبلية فيما بعد للموارد الطبيعية الغذائية المهمة، جعل من أرض العراق الغنية بالموارد المائية والزراعية محط أنظار وأطماع وهجرات وغزوات الجماعات الجبلية، والجماعات البدوية القادمة من شبه الجزيرة، على مدار التاريخ.

وهذا الأمر جعل من أرض العراق ملتقى لهجرات الجماعات المعروفة بالسامية القادمة من الصحراء مع الجماعات الهندو - أوروبية القادمة من الهضبة الإيرانية والوسط الآسيوي من الشرق والشمال، وأيضاً من الجماعات القادمة من هضبة آسيا الصغرى التى تصل العراق بشرق ووسط أوروبا، وطبع الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي آثاره النهائية على التكوين النفسي السكاني العربي للعراق بجعل غالبية سكانه من العرب.

وتدل الآثار القديمة المكتشفة في كهوف عديدة في المناطق الشمالية الجبلية من العراق، على وجود مخلفات إنسان العصر الحجري وال«نياندرتال» والإنسان العاقل. وبينت دراسات هذه المخلفات، أن إنسان تلك المراحل عاش على صيد الحيوانات البرية كالغزلان والوعول والخيول والخنازير والثيران والخراف والماعز، وعلى صيد الأسماك والطيور والتقاط وجمع ثمار وبذور النباتات الطبيعية. وكان سكان هذه المناطق يحصدون القمح والشعير والشوفان والنباتات الأخرى التى كانت تنمو نمواً طبيعياً، بمناجل من حجر الصوان.

ولما كانت الظروف الطبيعية من مناخ ومطر دائم، ملائمة للزراعة في سفوح جبال العراق الغربية، فقد تمكن الإنسان العراقي القديم، منذ أكثر من

رُبى محمد ديب الدرع

- الامارات العربية المتحدة -

عشرة آلاف سنة، من اكتشاف القدرة على الاستنبات، وهو الاستنبات القائم بصورة رئيسية على المطر، أي على الزراعة الديمية (البعلية)، كما هو حاصل في الوقت الحاضر في كثير من المناطق الجبلية في العراق وفي مناطق أخرى من الشرق الأدنى. إذ لا ينفع أسلوب الري مع طبيعة الأرض المتدرجة، الجبلية، لصعوبة استخدامه ولعدم معرفته أساساً في تلك المرحلة. لذا لم يعرف الإنسان العراقي القديم في الشمال إلا أسلوب الاعتماد على مياه الأمطار، لذلك يجري التأكيد على أن أولى محاولات الزراعة كانت تقوم على الزراعة المطرية.

ولما كانت الأمطار في مناطق جنوب خط العرض ٤٥ درجة شمالاً، تقل تدريجياً كلما ابتعد الزمن عن بدء مرحلة الانحسار الجليدي الأخير، وازداد الابتعاد جنوباً، عمل هبوب الرياح الجافة الشمالية والشمالية الشرقية، على سيطرة الجفاف والتصحر في بعض المناطق. وبذلك تبدلت الأوضاع مع تغير الظروف المناخية وتضاؤل الأمطار بشكل أدى إلى صعوبة وتعذر الزراعة الديمية وعدم كفايتها في كثير من المناطق الجبلية، الأمر الذي دفع الكثير من الجماعات التى عرفت الزراعة المطرية، إلى النزوح منذ الألف الخامس قبل الميلاد، نحو المناطق التى تكثر فيها المياه، إذ إنه مع تزايد الخبرة في العمل الزراعي، عمد الكثير من الجماعات الفائضة في الشمال، إلى التوجه من أجل الاستيطان في سهول ووديان الأنهر الموجودة في الشمال، ثم في مرحلة لاحقة نحو الجنوب باتجاه السهل الرسوبي

الكبير المكون من رواسب نهري دجلة والفرات، خاصة وأن هذه المنطقة الرسوبية كانت تغري بما تجوده طبيعتها من أغذية نباتية وحيوانية وما تحويه مياه أنهرها من أسماك وفيرة، هذه الهجرات كان لها تأثير اجتماعي ونفسي كبير على قاطني القرى الزراعية حول النهرين.

إلا أن طبيعة وطرق الزراعة في مناطق السهول النهرية وخاصة الفيضية، تختلف تماماً عما هي عليه الزراعة الديمية القائمة على الأمطار. فالبيئة الطبيعية للسهل الرسوبي الفيضي العراقي تتميز بمستنقعاتها وأهوارها الوحشية وبالبوادي والصحاري الجرداء التى تحيط بالسهل. وهو السهل المتميز بالنهرين الكبيرين اللذين ينقلان معهما الغرين الخشن الذي يترسب في قاعيهما، مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب النهرين عن مستوى السهل الرسوبي. الأمر الذي يضاعف من زيادة خطر فيضانهما، وهذا ما يتطلب بالتالي العمل المضني الدائم لتعميق المجرى وإقامة العوازل على ضفافهما، كما يؤدي الطمي الخشن إلى سد قنوات الترع والسواقي، مما يستوجب العمل الدائم لتنظيفها وتوسيعها، إضافة إلى أن الرواسب كانت تؤدي إلى نتائج خطيرة وهي تبديل النهرين لجرييهما في بعض الأحيان، الأمر الذي يستدعي هجرة الناس للمدن والقرى والانتقال إلى ضفاف المجاري الجديدة.

وكانت الطبيعة التكوينية للنهرين هي المسؤولة عن الفيضانات الكبيرة التي كثيراً ما دمرت المدن والقرى وجعلت الإنسان العراقي القديم يخشى فيضانيهما المدمرين لكل أشكال الحياة، وطبعته بطابع التشاؤم والخوف الدائمين. وهو السبب الذي عمل على خلق المجتمعات العراقية القديمة لأسطورة الفيضان، وهو ما لم يكن ليحصل في بلاد وادي النيل، لأن الطبيعة المختلفة لنهر النيل بوداعته وفيضانه المقدر والمحسوب وغير المدمر والذي يجلب معه الطمي الغني بالمواد الضرورية لأفضل إنبات، يؤمن الخصوبة للتربة وزراعة عدة مواسم في السنة الواحدة، فتزدهر على جنبات النيل أنواع وأشكال مختلفة من النباتات التى تقدم أفضل غذاء للإنسان والحيوان.

وكان لانتقال الحيوان وراء المرعى والماء أن جعل مصر تتعرف على أنواع عديدة من الحيوانات التى كانت تنتشر في شمال أفريقيا مثل الغزلان والثيران والأسود والنمور، كما عرفت الأنواع التى تعيش في المستنقعات كفرس النهر ووحيد القرن والتماسيح. فالنيل لم يقف سداً منيعاً أمام تصحر مصر، بل كان إغناء لها لا حد له بتأمينه أفضل أسباب الحياة من مياه وتربة خصبة، فهو يشق مصر الصحراوية إلى نصفين من أعلى الصعيد (مصر العليا) أي جنوب مصر حتى شمالها عند تكون الدلتا (مصر السفلى).

والدلتا هي المثلث الذي قاعدته البحر الأبيض المتوسط ورأسه الذي يبدأ مع تفرعات النيل شمال القاهرة حالياً، فالصحراء تحيط بالنيل من الشرق والغرب مكونة حدوداً طبيعية تفصله عن صحراء سيناء الآسيوية من الشرق وعن باقي مناطق إفريقيا من الغرب.

وإذا كان نهر النيل من أطول أنهر العالم (٦٧٠٠ كلم) والصالح للملاحة في أكثر مناطق مصر حتى الشلال الأول قرب أسوان في الجنوب، فإن وجود الشلالات الست حتى شمال الخرطوم في السودان كونت حدوداً جنوبية فاصلة بين مصر والعمق الإفريقي في الجنوب.. ويظهر من الواقع

الجغرافي بأن وادي النيل في مصر، قد عزل عن الخارج بالصحراء من الشرق والغرب وبالشلالات من الجنوب والبحر المتوسط من الشمال، وهو ما منع لفترة طويلة من الزمن الهجرات والغزوات، إلا أن هذا الواقع لم يمنع الاتصال المحدود مع سيناء في الشرق ومع بعض مناطق شمال ليبيا من الغرب.

وقد ترك النيل المتدفق على مدار الأيام مع الشمس الساطعة في كل الفصول، أثره على التكوين الذهني والنفسي للإنسان المصري، كما أثر أيضاً - ولا يزال - على مختلف الجوانب المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ذلك أن الحياة مرتبطة دوماً بالماء الذى لا وجود له في مصر بعيداً عن أمطار المتوسط إلا بفضل النيل وحده. إذ لا مصدر آخر للماء لا من السماء أي المطر ولا من الأرض أي الينابيع.

فالنيل هو بمفرده المصدر الوحيد للماء. وهو يتولد خارج مصر في البحيرات الاستوائية الكبرى التى تتغذى بالأمطار الهاطلة بانتظام على مدار السنة. والعامل المهم في تكوين النيل، هو الأمطار الموسمية التى تهطل في الحبشة، وتسبب في الصيف الحار ظاهرة الفيضان السنوي للنيل.

فالأمطار الموسمية التى تصل إلى حدها الأعلى في الحبشة، بين حزيران (يونيو) وتشرين الأول (أكتوبر) تبدأ بالوصول الى مصر نتيجة بعد المسافة في تموز (يوليو)، ويستمر فيضان النيل مرحلة الصيف بالكامل، مع عدة أسابيع من فصل الخريف (حوالي مائة يوم) فيكون الفيضان متوافقاً مع أعلى درجات الحرارة الصيفية في مصر، في شهري تموز (يوليو) وآب (أغسطس)، ليخفف من حرارة الشمس الملتهبة التى تكاد تجفف كل شيء، وبعد انتهاء فترة الفيضان يعود النيل لطبيعته التى تكفي مياهه لري الزرع في فصل الشتاء والربيع، بعد أن يكون قد أضاف إلى الأرض الزراعية الغرين أو الطمي الغني بالسماد الطبيعي الذي يسمح بعدة مواسم زراعية سنوياً.

ولما كانت مصر مستوية بالإجمال، فقد تميز النيل بانسيابه البطيء وبتوزيع طميه على الوادي، وهو ما سهل القدرة على احتساب قوة الفيضان أي توقع ارتفاع منسوب مياهه. وهذا العامل الأخير جعل من فيضان النيل قوة يجري احتسابها، قبل احتمال حدوث نكباتها القليلة نسبياً.. وهذا الواقع الطبيعي من الشمس والمياه والتربة الغنية، هيأ الظروف المادية لإنتاج الخيرات الزراعية بأفضل الشروط الممكنة، مع أخذ بعض الحذر من غدر الفيضانات المتوقعة، ويأتي بعد ذلك المجهود البشري لاستغلال الظروف المادية للإنتاج الذي يتطلب سرعة العمل باستغلال المرحلة القصيرة التى تلي الفيضان.

هذه الطبيعة المتكررة بمظاهرها العديدة: شمسها، تدفق نيلها، تواتر فصولها، إنبات أرضها الغنية بعد الجهد.. كل ذلك شارك في تكوين عقلية ونفسية الإنسان المصري بالشكل الإيجابي الفرح المرح والمتفائل على الدوام، وكل هذه العوامل جلبت الإنسان المصري على التفاؤل ولم تؤد بالتالي إلى ظهور أي فكرة أسطورية عن عملية فيضان مياه مدمرة.

كما أن فيضان النيل المحسوب المخاطر والنسيم العليل القادم من الشمال، وغياب تهديدات الجوار كل ذلك ترك أثره في المعتقدات الدينية التى عكست تفاؤل الإنسان المصري في الحياة الأولى على الأرض، وفي فهمه للآلهة القائمة على المحبة والخير والعدالة، وبات المصري القديم يعتقد بأن

الحياة بعد الموت كناية عن حياة أبدية وسعادة كالتى على الأرض. ويمكن القول إن المصريين القدماء كانوا ينزعون إلى المرح، لذا أنكروا حقيقة الموت بمعنى الفناء، وآمنوا بأن الحياة الأخرى فيها المتعة واللذة تماماً كما في الحياة الدنيوية.

ولذلك فمن الملاحظ في الحضارة الفرعونية، وذلك على عكس الكثير من الحضارات الأخرى، أن الآثار المادية للحضارة المصرية القديمة ماثلة دائماً على مدار التاريخ أمام كل زائر لمصر، فالأهرامات والمعابد الضخمة تشهد على تاريخ وعظمة الحضارة المصرية القديمة والتى هي شواهد على الإبداعات الهندسية والفنية المادية الناتجة عن حالة اجتماعية واقتصادية وجغرافية خاصة، وكانت هذه الشواهد المادية بمثابة مخلفات لواقعها وفكرها والتى لا تعطي الكثير من المعلومات عن واقعها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقانوني. وحتى الكتابة الهيروغليفية سواء أكانت المكتوبة أم المنحوتة أم المنقوشة، في الأهرامات والمعابد والمدافن والنواويس الحجرية أو الخشبية، أم تلك المخطوطة على أوراق البردي، لم تكن إلا كتابات ميتة لا تعني شيئاً سوى قيمتها الفنية. حيث كانت تهتم أساساً بالكتابة الدينية والجنائزية، وأضيفت إليها في مراحل لاحقة الكتابات المتعلقة بأعمال الفراعنة والحكام بالأقاليم، ثم ظهرت مع ترسخ الإدارة وتطورها بعض الكتابات المتعلقة بشؤون القضاء.

وهنا يبرز الفرق بين إنسان ما بين النهرين وبين الإنسان المصري القديم، فالإنسان العراقي القديم وجد نفسه دائماً أمام مخاطر الطبيعة الغاضبة من فيضانات وعواصف جنوبية مدمرة، مما أوحى إليه بضرورة العمل المنظم المضني لدرء مخاطر الطبيعة لتأمين الحصول على الحاجات المختلفة، إلى جانب ذلك فإن الطبيعة الغادرة كانت تشكل مصدر قلق دائم عند الإنسان العراقي القديم، مما أوصله إلى حالة من التشاؤم المجبولة بالعنف والقسوة. ولآثار هذه الحالة من الخوف والقلق الدائمين من غضب الطبيعة (حسب اعتقاده آنذاك)، وأمام العمل المستمر لدرء أخطارها، اصبح على إنسان ما بين النهرين الانتظار والاعتماد على عطف الآلهة التى كثيراً ما تغضب فتجلب الدمار والخراب - حسب اعتقادهم - .

وعندما فهم الإنسان العراقي القديم شروط الظروف الطبيعية التى يعيش بها، استخدمها بأفضل الوسائل المتاحة، وكان لإدراكه اختلاف ارتفاع منسوب مياه نهر الفرات عن منسوب نهر دجلة في الشمال من بغداد الحالية، وارتفاع منسوب نهر دجلة عن منسوب نهر الفرات في الجنوب، آثاره الكبيرة على مجمل ظروف نمو وتطور الزراعة في العراق القديم، إذ من خلال هذا الإدراك، عمد الإنسان العراقي القديم إلى شق القنوات الضخمة التى يمكن تتبع آثارها حتى الآن، بين النهرين لري الأراضى الشاسعة كما أقام السدود على أفواه المنخفضات الطبيعية القريبة من المجاري وحفر الخزانات الضخمة لخزن المياه للاستفادة منها في أوقات شح المياه، لأن فيضان نهري دجلة والفرات لا يتلاءمان مع أوقات ري المزروعات، فموسم الفيضان في العراق وخاصة فيضان دجلة متأخر بالنسبة للزراعة الشتوية، وهذا الفيضان هو الذي يسبب خراب المحاصيل الزراعية والمستقرات السكنية، في حين يشح النهران في موسم الزراعة الصيفية. لذلك كان الأمر يتطلب المجهود البشري الكبير لدرء خطر الفيضان من جهة وتأمين مياه الزراعة من جهة أخرى.

وكان للجهود المضنية للإنسان العراقي القديم في تطويع العناصر الطبيعية المختلفة، الدور البارز والحاسم في نمو وتطور المجتمعات العراقية القديمة ووضعها على طريق صنع الحضارة البشرية الأولى.. فالفعل الإنساني الجبار النابع من التحدي للظروف الطبيعية المناخية القاسية جعل الإنسان العراقي يعمل ويفكر في استخدام كل ما يمكن أن يستنبطه العقل من معارف مكتسبة من المحيط الذي يعيشه، ليضعه في خدمة تحقيق غايات التحدي وهي السيطرة على عوامل الطبيعة القاسية للوصول إلى التغيير نحو الأفضل، وهذا التحدى هو الذي مكن الإنسان والمجتمعات في العراق القديم كما في الأماكن الأخرى من التبدل والتغير والتطور باتجاه الاستخدام الأفضل للطبيعة لتأمين مختلف الحاجات البشرية المتزايدة على الدوام.

وبنظرة سريعة على إنجازات الإنسان العراقي القديم الناجمة عن قدرة هائلة على التحدي نلاحظ أن القرى الزراعية البسيطة الأولى التى اشتهرت من بينها قرية «جرمو» بحدود سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، والتى تعتبر مع قرية «أريحا» في فلسطين، أقدم القرى المكتشفة في التاريخ، مروراً بالمجتمع المدني وتطوره الحضاري بمراحله التاريخية المختلفة، تؤدي الجغرافيا ثانية دوراً مهماً في النشأة المبكرة للجيوش ما بين النهرين، وذلك لسببين:

الأول: كان مرجعه نمو الأرض المزروعة من جهة وتزايد عدد سكان القرى الزراعية من جهة أخرى، الأمر الذي أدى الى تقارب المزارع القروية فيما بينها، هذا التقارب أفضى الى نشوء منازعات مختلفة وحادة وخاصة مع نشأة المدن الكبيرة وتزايد أعدادها الذي استوجب إيجاد عناصر مسلحة دائمة لغرض تحقيق الأمن.

أما السبب الثاني: فكان مرتبطاً بالغزوات المستمرة، القادمة من المناطق الجبلية القاحلة في الشرق والشمال ومن المناطق الصحراوية في الجنوب والغرب والتى كانت تهدد المستقرات الزراعية وهو ما أوجب الاهتمام بإنشاء الجيوش القادرة على حماية القرى والمدن المختلفة، ثم أتت التجارة الخارجية كعامل اقتصادي أضيف إلى العناصر المرتبطة إلى حد كبير بالجغرافيا لتساهم في تركيز الاهتمام المبكر على نشأة الجيوش المنظمة والدائمة والتى ظلت مرافقة بالرغم من اختلاف أسباب وجودها في الفترات اللاحقة من تاريخ العراق، ظلت موجودة وزادت قوتها على مدار الأيام.

ودون الدخول في حديث عن شرائع حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) الإدارية والاجتماعية المشهورة، وكذلك دون الإسهاب والشرح في الحديث عن الحكم الملكي وظهور القانون ننتقل للقرن الخامس والعشرين قبل الميلاد لنتحدث عن العاهل «أروكاجينا» الذي قام بتغييرات كثيرة مسجلة دعيت فيما بعد بـ «النصوص الإصلاحية» ومع أروكاجينا حُرِّر المواطن من استغلال المتسلطين (ولأول مرة في التاريخ برزت كلمة «تحرير» للإنسان!). ومع سرجون الأكدي (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق.م) ظهرت أول إمبراطورية في التاريخ باعتباره مؤسسها!. وبذلك نلاحظ مدى ضخامة الإرث التاريخي الحضاري القانوني الثقافي المدون عبر التاريخ لبلاد ما بين النهرين والذي لا يجاريه إرث حضاري آخر أبداً.

هذا الإرث كان ولا يزال هبة العراق بنهريه الغاضبين دجلة والفرات، مقدمين عبر التاريخ دروساً وعبراً في الوحدة والتحرير والصبر والتغيير والنهوض بأعباء الوطن على خير وجه ■

شعر

أميرة الماء

مــوجٌ على مــوْج الهــوى يتكسَّــرُ
ومــدى يســافــرُ في مــداهُ ويُبْــحــرُ!
والبــحــرُ أيّامي، تُخبُّ خــيــولُهــا،
أســفــاً يروحُ ، ويــهــجــة تــتــمطرُ!
كُلُّ الذين رأوك في حــدق الصُّــوى
بصُروا بعشقك ، إنما لم يُبصروا!
بصُــــروا بأنَّ أمــيــــرة الماء التي
وهبــتك نوْأك أمــرُهــا لا يُقْــهــرُ!
المغــربُ الأقــصى على أهدابهــا
شــرْقٌ ، يزُفُّ جناهُ طرفٌ أحْــورُ!
من صــقْر فوْنيْهــا إلى عُشْب الفلا
خشْفــان ، حفَّهُــمــا الفُتُوْنُ الأكبرُ
وعلى نوارس شــاطئــيــهــا رفــرفتْ
أشــــواقُ أيّامي ، ومـــار المرْمَـــرُ!
ولهـــا على أُفُق الزمـــان توقّـــدٌ
ولهـــا على أُفُق المكان تعـــثُّـــرُ
يــتــبــدَّدُ التـــاريخُ في بيــدائهــا
وإذا أرادتْ ، فــهــو عــبــدٌ مُــحْــضــرُ!
أينعتُ من رغم الثــرى بمفــازتي،
هــتــفتْ به ، فــحــواهُ فــجــرٌ أخْــضــرُ!
لتلُفّـــهُ من دفـــئـــهـــا بمُطهَّم
ســعفُ الأصائل ســاعــداهُ ـ وتبذُرُ
تســهُــو على ولّه مــشــاعلُ وجــدها
الصُّوفيّ، أو يصحو الحضورُ المُزهرُ

عــرف انهــمــار الدهْر من أعطافــهــا
فــســقــتْــهُ ، لا يصْــحُــو ولا هُو يسْكرُ!

* * * *

يــا أيهـــا الأنثى التى حــملتْ «زمــا
ن الوصلِ» ، طفــلا ، أين منك تنكُّرُ؟!
غـــادرتني نهْبَ القــصـــائد والرُّؤى
مــتــجــاذبٌ ، مــتــداولٌ ، مــتــبــعــثــرُ
أهمــي حنيناً في ثــراك ، وأنْثَنــي ،
من فــرط مـــا بي ، هائمــاً يتــفكَّرُ
تلك التي ظمــئتك قــد أظمــتك ، والـ
أبدُ انتــهى ، والماء مــعْنى مُــضْــمــرُ!
أفــهكذا عــشــقــيك يبــقى جــذوة
في الرُّوح ، تخــبُــو تارة أو تظهــرُ؟!

* * * *

كم قلتُ يومــاً ، والهــواءُ غـــلائلٌ
بيضٌ ، وطار بنا جناحٌ أشــقـــرُ :
يــا نــخــلــة اللــه الــتــى أثــداؤهــا
رُطبُ الحــيــاة وظلُّهــا المُتــهــصِّرُ!
هزّي بجـــذعي ، إنني لك جـــائعٌ
وتســـاقطي كــمـــجـــرّة تتكوَّرُ!
أُهديْك راياتي ، شــراعــاً من دمي ،
وخيــوطُهــا من مُــهــجــتي تتــحــدَّرُ!
يهنيك منهــا خــامــةٌ من غــيــمــهــا
ليــعيْث فــيــهــا ذا البــهــاء المُبــهــرُ!
وخُـــذي بأعناق الشــعـــارات التى
قــضــمتْ بجــســمي أمّــة لا تشْــعُــرُ!
هُزّي إليك بجــذْعــهــا ، يلدُ الضُّــحى
طفلين : طفـــلا بالأرومـــة يجْـــدُرُ

والآخـرُ الطفلُ الذي في خـاطري

من ألف عـام فكرة لا تكبُـرُ!

* * * *

يا أنت .. يا نحنُ .. وما يبقى على

كفِّ الزَّمان بطقسنا ، يا بيدرُ!

أدري بأنك في مخاضك ، بينما

أهلوك حولك ، هازِئٌ ، أو مُنْكرُ!

أدري بأنك حُرَّةٌ ، وأسيرةٌ ،

ولك الجموعُ بأسرها تستأسرُ!

أدري بإطراق الجواد إذا كبا

أو باختلاج القلب إما يُكْسرُ!

* * * *

ولقد علمت بأنّ قلبك دانةٌ،

أغلى من الأغلى عليَّ ، وأنْضرُ!

لكنّ عنوان الأنوثة مشمسٌ ،

أبداً ، وعنوان الذكورة مُقمرُ!

عنوانُ لحظيك مقاتلُ مهجتي،

لو كان بي غيري ، وبئس تعذُّرُ!

تلك التى قتلتْ فؤادك أبدعتْ

قتَّالها، ولكل آت مصدرُ!

فتحرَّري منّي ، فمنْك بدايتي،

ولتغفري حُبِّي ، فمثْلُك يغْفرُ!

لا يقرأ اللغةَ الولُودَ سوى الذي

يحيا الأمومة، كُلُّ أمّ تصْبرُ!

وأنا هنا ببياضها مُتوسِّمٌ

وجه الشُّروق ، بسفْره مُستبْصرُ

لا تندمي، لا تحلمي ، واستقبلي

أمسي، ويابُ الوعد صُبْحٌ مُثمرُ!

* * * *



د. عبدالله الفيفي

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - الرياض -

تدرين ما قرأتْ أناملُ ساعتي

في وجهك الذّاوي، ويردٌ يصْفرُ؟

بيتين لَفَّهما الغموضُ بهامتي،

نعبا ، وهذ الكونُ ليلٌ مُغدرُ:

«إنْ لم يكن لك منك طبٌّ في الهوى

فطبيبُك الموتُ الذي لا تحذرُ!

لولا دماءُ الموت في مُهج الحيا

ما أخصب الماءَ المواتُ المقفرُ!»

* * * *

يا غيمة الفصل الأخير ، تمهّلي

فشفاهُنا من حلمتيك الكوثرُ!

تتفتّتُ الذكرى الحرُونُ براحتي

فأشمُّ منها أنجُماً تتحرَّرُ!

غزلت بُرادة ذكرياتي غادة

ضوئية ، تنهارُ فيها الأعْصُرُ!

تنتابي ريَّانة بجموحها

لتروح مني ثورة أو تُبكرُ

سأظلُّ أرنُوْ ظامئاً لجهامها،

لا مُقْشعاً عنّي ، ولا هُو يُمطرُ!

قدري أُحبُّك أنت ، يا فتَّانتي،

من ذا على قدر المحبَّة يقدرُ!

كمْ - كالفراش - نموتُ في أضدادنا!

والحُبُّ بعْدَ عداوة هُوَ أشعرُ!



الفروق في اللغة ٣٦

اللغة العربية وفهم لبعض الآيات

□ *الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.*

وبعد: فقد كنت أريد أن أكتب عن الفرق بين بعض الكلمات اللغوية؛ لكن لما سرت في بيان قيمة اللغة العربية؛ وجدت أن ما كتب يكفي عن الفرق بين الكلمات، لذا أقول: إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وكفاها فخراً أن الله تعالى اختارها لكتابه، ولسنة أفضل أحبابه، حوت من الألفاظ والمعاني مالا يحصيه عد، وحوت من التراكيب اللغوية الشريفة مالا يدخل تحت حصر، ولا يمكن للغة غيرها أن تستوعب ما في القرآن الكريم من معان باهرة، وقصص أخاذة، وأحكام آمرة، ونواه زاجرة، وغيرها، بل إنها اللغة التي تستطيع أن تقرأ ألفاظها فتفهم معنى، وتقدم أو تؤخر فتفهم معنى غير الأول، ومن هنا فإن الفقهاء يبحثون عن معنى لآية فيختلفون؛ لكنك مع هذا الاختلاف يمكن أن تراد من الآية كل آرائهم المختلفة.

خذ مثلا قوله تعالى: **{ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا}**[١].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ولا يأب الشهداء عن تحمل إذا دعوا ليشهدوا على ما في الكتاب أو على الحقوق التي بين العاقدين.

وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والربيع بن أنس - رضي الله عنهم -.

القول الثاني: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا للقيام بأداء الشهادة التي تحملوها، سواء دعاهم القاضي أم أصحاب الحقوق.

وهذا قول مجاهد، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير، والسدي.

القول الثالث: الآية تحتمل كلا المعنيين، أي لا يأب الشهداء عن تحمل الشهادة، ولا عن أدائها، وهذا قول الحسن البصري.

قال الطبري في تفسيره: أولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك؛ ولا يأب الشهداء من الإجابة إذا دعوا لإقامة الشهادة، وأدائها عند ذي سلطان، أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له[٢] ثم دلل على قوله هذا.

وأحياناً تقرأ بعض الآيات متتالية؛ فتفهم معنى غير صحيح، فتفصل الكلام عن بعض فيعطيك معنى غير الأول هو المراد وهو الصحيح.

خذ مثلا قوله تعالى: **{نزَّل عليك الكتاب بالحق مُصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هُدًى للناس وأنزل الفرقان}**[٣]. فالله تعالى أنزل الكتاب ثم قال (وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) فبدون الفاصلة نفهم أن هذين الكتابين - التوراة والإنجيل - هدى للناس مطلقاً في كل وقت، بينما هذا الفهم غير صحيح، فجاءت الفاصلة لتزيل هذا الفهم الخاطئ، ولتبين أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل وهذا كلام تام، ثم بعد الفاصلة جاء **{من قبل هدى للناس}** أي أنهما كانا

هداية للناس من قبل، أما الآن فلا، ثم قال **{وأنزل الفرقان}** لأنه الفارق بين الحق والباطل، فمن أين فهمت هذا الفهم الصحيح؟ أي لغة يمكن أن تعطيك كل هذا؟

وخذ هذا المثال: قال تعالى: **{فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون}**[٤].

فكنت أنا كلما قرأت هذه الآيات الثلاث؛ فهمت أن الذين آمنوا على الأرائك ينظرون في نعيم الجنة، وما فيها من المباهج والمفاتن، وما فيها من أشجار.. الخ، لكن صليت خلف أحد الأئمة من الجزائر فقرأ **{على الأرائك ينظرون}** ووقف ثم قرأ **{ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون}** فجاء بمعنى آخر لم أكن أفهمه من قبل، وهو أن نظر الذين آمنوا ـ وهم على الأرائك ـ كان ليتأكدوا هل جوزي الكفار على استهزائهم بالمؤمنين؟!

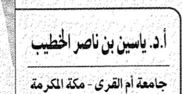
وانظر إلى قوله تعالى: **{إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم}**[٥].

فإذا قرأت هكذا **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم}** ووقفت؛ فستفهم أن الله تعالى بسبب إيمان المؤمنين يهديهم لأقوم الأعمال، وأحسن الخصال، وهذا معنى شريف لطيف في ذاته، ولكن لو قرأت قوله تعالى هذا هكذا: **{بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم}** لفهمت معنى آخر شريفا لطيفا أيضا غير المعنى الأول، وهو أنه بسبب إيمانهم تجري من تحتهم الأنهار، فهل هناك لغة عبر العالم تستطيع أن تعطيك كل هذه المرونة في الفهم؟!

{ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}[٦].

وأنظر إلى قوله تعالى : **{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}**[٧].

فهذه الآية كتلك الآية الماضية، إذا قرأتها هكذا **{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}** فستفهم أن الله تعالى ينجي المتقين بسبب فوزهم في الحياة الدنيا بالإيمان والعمل الصالح، وبمعنى آخر: نفهم أن التقوى التى كانت السبب في فوزهم؛ كانت هى السبب في نجاتهم، وهذا



أ.د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

معنى طيب.

وإذا قرأنا الآية على طريقة أخرى هكذا **{بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}**، فهمنا معنى آخر مغايراً للأول؛ فالآن نفهم أنه بسبب فوزهم في الحياة الدنيا بالإيمان والعمل الصالح والجد والاجتهاد، بهذا السبب لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.

فانظر أي لغة يمكن أن تستوعب هذه المعاني الشريفة، وبهذه الألفاظ الرشيقة الجميلة، هذه هي اللغة العربية، وهذا هو القرآن الكريم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أي لغة يمكن أن تستوعب علم الله تعالى الذي أنزل به كتابه **{لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً}**[٨].

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، وهناك معان يعرفها أرباب الفصاحة والبلاغة على مستوى عال؛ تحتاج الى التدبر والتمعن، تحتاج إلى فتح الأقفال المغلقة، والأبواب الموصدة **{أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها}**[٩] ■

الهوامش :

(١) سورة البقرة الآية/ ٢٨٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣/١٢٦، تفسير ابن كثير ١/٣٣٥ ـ ٣٣٦، أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٥٦.

(٣) سورة آل عمران الآية/٢ ـ ٣.

(٤) سورة المطففين الآيات/ ٣٤ ـ ٣٦.

(٥) سورة يونس الآية/ ٩.

(٦) سورة النساء الآية/ ٨٢.

(٧) سورة الزمر الآية/ ٦١.

(٨) سورة النساء الآية/ ١٦٦.

(٩) سورة محمد الآية/ ٢٤.



آخر حوار أدبي مع:
الأديب الناقد
د. شوقي ضيف
رئيس المجمع اللغوي بالقاهرة

□ يعتبر الدكتور شوقي ضيف من جيل الرواد - أو ما يطلق عليهم «بجيل الأساتذة» .. فقد عمل أستاذا للأدب العربي والنقد بكلية الآداب - جامعة القاهرة - وله العديد من المؤلفات والمراجع في الأدب العربي والنقد والتراجم .. كتب عن الكثير من الشعراء والكتاب، القدماء والمحدثين.. وتناول حياتهم برؤية الناقد الواعي لمسئوليته ومهامه.. وله إسهاماته المتعددة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ تولى رئاسته. .. التقينا به لنستلهم رأيه في كثير من القضايا الأدبية التي تطفو على الساحة - كالمناقشات بين الماضي والحاضر والمستقبل عن الأدب والأدباء، وما كان وما هو كائن .. وما هي الإرهاصات المرتقبة للمستقبل الثقافي المجهول .. وغير ذلك من التساؤلات القديمة والجديدة في آن واحد.. وجاء الحوار مع الأديب الناقد د/ شوقي ضيف على هذا النحو..

بين جيلين:

●● يظل الحوار ممتداً بين جيل الأدباء من الرواد.. وجيل الأدباء الجدد.. ولكل توجهه ومعطياته.. ماذا يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف.؟

○ الحركة الأدبية والفكرية .. تقف الآن عند مفترق الطريق، فهناك حوار مفقود بين جيل رائد من الأدباء، وجيل صاعد من الشباب، يريد أن يعبر عن نفسه وعن قدراته الإبداعية.. فالجيل الجديد من الأدباء يقول: إن جيل الرواد لا يريد أن يأخذ بأيدينا، لا يقرأ لنا ولا يتفهم طبيعة مشاكلنا.. ويرد عليهم جيل الأساتذة بأن شباب اليوم من جيل الأدباء

متعجل للمجد والشهرة.. ثم يكملون القول: بأننا جيل عانى الكثير، سار على الشوك حافي القدمين، ونحت في الصخر بأظافره لكي يضع قدميه على طريق الفن الأدبي والفكري..

منذ سنوات ظهر بين الأدباء نداءات عصبية منها نداء يقول: نحن جيل بلا أساتذة.. وهذا النداء وأمثاله يحمل أكثر من معنى:

* **المعنى الأول**: أن هؤلاء الأدباء لم يدركوا إدراكاً كافياً مسار التاريخ الثقافي والأدبي في الوطن العربي.. وسارعوا الى قطع الصلة بينهم وبين الأجيال السابقة وتأثروا بهم بلا نزاع.. وكان ينبغى عليهم أن يحترموا أستاذية من قرأوا لهم وتعلموا منهم..

* **والمعنى الثاني**: أن ما أصاب جيل الأساتذة ومن جاء بعدهم من حصار فولاذي كان يحول بينهم وبين الانتفاع بعطاء الثقافة العالمية ومواصلة إبداعهم.

هذا الحصار نفسه كان لابد له من أن يقطع الطريق عليهم حتى لا يواصلوا رعاية الأجيال الشابة الجديدة من الأدباء والمثقفين، ويبدو لي أن ما نحتاج إليه الآن هو: أن نفتح كل المسالك المؤدية إلى توثيق الصلة بين إنتاجنا الحاضر وميراثنا العربي من ناحية، ونفتح كل الدروب الممكنة لنتابع الانتفاع بما تقدمه الثقافات العالمية المتحضرة، دون خوف وبلا ملل.. فالأدب والثقافة لهما انتماء وطني وهذا صحيح.. ولكن لهما أيضاً وطن فسيح جداً هو العالم كله.

إعفاء الفكر :

●● من ملامح المتغيرات الجديدة التى شملت مجتمعنا، أن طبقة من الحرفيين والتجار وأصحاب الأعمال ظهرت وتركزت في أيديهم قوة شرائية كبيرة، ومن هذه الطبقة

حوار : **محمد عبدالشافي القوصى**

- مصر -



الأستاذ الدكتور / شوقي ضيف واحد من كبار الرواد في عالمنا العربي فهو أحد كبار الشراح في الثقافة العربية، تتلمذ على يديه أجيال من طلاب العلم والمعرفة، واهتدوا بثقافته الأدبية والمنهجية.

أثرى الدكتور / شوقي ضيف المكتبة العربية بمؤلفات تجاوزت الخمسين كتابا في مجال الدراسات العربية والاسلامية وتاريخ الأدب العربي.

كُرِّم الدكتور / شوقي ضيف في عدد من العواصم العربية ـ فنال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٧٩م في مصر ـ كما حاز جائزة مبارك ارفع الجوائز المصرية عام ٢٠٠٣م ـ كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٣م.

كان الدكتور / شوقي ضيف من أبرز تلاميذ طه حسين الذى أشرف على أطروحته الجامعية «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» وأصبح من أهم تلاميذه بل ويكمل مسيرته ليكون امتداده الطبيعي في مسيرة الأدب واللغة.

رحل الدكتور / شوقي ضيف عن عمر يناهز الخمسة والتسعين عاما، وكانت وفاته مساء يوم الخميس الموافق ١٠ /٣ /٢٠٠٥م بعد رحلة حياة مليئة بالإبداع الفكري وبعد عطاء مستمر مذهل ومن أبرز مؤلفاته ـ عليه رحمة الله ـ كتاب (تاريخ الأدب العربي) في عشرة أجزاء من العصر الجاهلي وحتى الآن .

ويعد هذا الحوار هو آخر حوار أدبي للدكتور / شوقي ضيف مع المنهل.

رحم الله الفقيد الذي حقق للغة والأدب والتاريخ ما يجعله حاضرا رغم غيبة الموت .. و« إنا لله وإنا إليه راجعون ».

الاجتماعية الجديدة تبلورت مفاهيم ثقافية وقيم جديدة لم يواكبها تطور في انتشار ثوابت ثقافة المجتمع التى كانت سائدة بل نجد ركوداً في توزيع الكتاب وانحساراً في الثقافة؟!.

○ الإنســـان هو الأصل وهو الهـــدف وقلب الإنســـان وفكره همـــا أغلى ثروات الأرض.. وإذا أردنا أن نبني حياة جديدة فلنبدأ بالإنسـان الكائن البشرى الذي جعله الله تعالى محور الكون وسيده حاملاً فيه مشعل النور - أي مشعل المعرفة والابتكار والإبداع الفني والأدبي.. وإنني أتســـاءل - لماذا لا تعتبر مشكلات الثقافة معادلة لمشكلات رغيف الخبز والمسكن والتموين، كمـا أنني أطالب بشدة إعفاء وسـائل المعرفة من الضرائب الجمركية وإباحتها للكافة، فمن المستحيل أن نحدد أصحاب المواهب الأدبية أو الفكرية أو نحصيهم إحصاء دقيقاً ونقول كفى ما لدينا.. بل ينبغي أن نسلك سلوكاً مختلفاً عن ذلك، وننمي المواهب ونشـجـعـهـا بدلاً من وأدها والقضاء عليها.

الموهبة أولاً:

●● حـــفظ دواوين الشعر، هل ينتج شاعراً؟!

○ الشعر موهبة، ومن لم يؤت الموهبة لا يستطيع أن يكون شاعراً بالمعنى الدقيق لكلمة شاعر، وقد يستعين على نظم الشعر بدراسة العروض والتعرف على أوزانه، ولكن هذه الدراسة لا تمنحه الموهبة إذا كان يفتقدها.

ونستطيع أن نضرب مثلاً هنا عن رائد الشعر الحديث محمود سامي البارودى حيث إنه لم يتعلم العربية ولا النحو العربي وإنما ظل يحفظ أشعاراً كثيرة حتى تكونت في دخائله السليقة اللغوية العربية والفطرة الشعرية.. وكان ظهوره بدء مرحلة جديدة في الشعر العربي، وكان الشعر من قبله قد هبط إلى صورة سقيمة لا تعبر عن عواطف الشاعر ولا عن عواطف أمته.. فكان «البارودى» الذي لم يتعلم العروض نقلة كبيرة للشعر العربي الحديث، بل أصبح رائده الذي ينطوى تحت لوائه الشعراء في الأجيال التالية.

رأي المتطرفين:

●● يقال إن الأدب العربي عاش طوال حياته الماضية معتزلاً للحياة وغير متضامن مع الشعوب التي عاش فيها على مر الزمان.. فما رأيكم في ذلك؟!

○ لم يقل بهذا الرأي إلا المتطرفون من النقاد في أحكامهم، وحجة هؤلاء مستمدة من النظرة الأولى إلى التسميات التقليدية لفنون الشعر العربي من مدح وفخر وغزل ووصف ورثاء.. الخ.

وليس لهـؤلاء النقـــاد المتطرفين أن يبنوا أحكامهم على الأدب العربي عامة والشعر خاصة نتيجة لتسميات ساذجة، وأن يجنبوا أنفسهم مشقة البحث والغوص في هذا التراث العظيم، ثم يصدروا أحكاماً سريعة فيها كثير من التجني وغمط الحق لهذا التراث الإنساني العظيم.. فالحقيقة التى لا شك فيها أن الأدب العربي عامة والشعر العربي خاصة قد عاشا متضامنين مع الحياة منذ أقدم عصورها.

النقاد المتطرفون جنبوا أنفسهم مشقة البحث فظلموا أنفسهم

ففي العصر الجاهلي كان الشاعر لسان القبيلة ومحاميها الذي يذود عنها ويصون حياتها ويجسم مشكلاتها.. وحين جاء الإسلام لم يتخلف الشعراء عن المشاركة في هذه الحياة الجديدة فانقسموا الى فريقين: فريق مؤيد للدين

الجديد يدافع عنه ويناقح، ويظهر محاسنه ويهجو المتخلفين عنه·· وفريق آخر، معاند معارض لهذا الدين الجديد يهجو المؤمنين ويحاربهم·· وفي العصر الأموي عصر فحولة الشعر، لا نجد الشعر بمنأى عن الحياة العامة فقد انقسم الشعراء الى معسكرات مختلفة، فنشأ شعر الشيعة وشعر الخوارج وشعر الخلافة وشعر الزبيريين·

وهكذا في العصر العباسي والعصور المتأخرة جميعها·· إذن ·· فالأدب العربي لم يكن أدباً معتزلاً للحياة أو بعيداً عنها، وإنما هو أدب متضامن مع الحياة مشارك فيها مصور لها· ولولا أن الأدب العربي يمثل الحياة وأن الأدباء يصورون الحياة العامة، لما كان الأدب مصدراً من مصادر التاريخ·

مستقبل الأدب :

●● من خلال كتاباتكم عن تاريخ الأدب العربي ونقده في مختلف العصور·· ما هي توقعاتكم لمستقبل الأدب العربي - أو ما سيكون عليه الأدب العربي في الغد القريب؟·

○ **أولاً**: إن انتشار التعليم وكثرة القراء ستدفع بعض الأدباء إلى النزول بمستوى أدبهم إلى مستوى الجمهور لكى يرضوه ويربحوا من ورائه ، مما سينزل بالأدب إلى مستوى الابتذال·

ثانياً: إن الصحف والمجلات والإذاعة تتطلب تغذية وامداداً كثيراً سريعاً بالمقالات والكلمات مما سيضطر الأدباء لكي يعيشوا أن يلاحقوا هذا الغول الذى لا يشبع فيضطروا إلى الإنتاج السريع الأمر الذي سينزل بمستوى الأدب إلى الحضيض·

ثالثاً : إن الأدب سيقف حائراً بين هذه الأمواج المتلاطمة من التيارات الثقافية المختلفة التى نعيش فيها، ووصل إلينا بالفعل إنتاجها وتأثرت بها جموع



الأدباء ما بين لاتينية وروسية وأمريكية·

رابعاً : سيتعرض الأدب إلى امتحان قاس فهو بين أمرين: إما أن يتجه إلى الشعب فيفقد بعض عناصر جماله وأرستقراطيته، وإما أن يلتزم طبيعة الإنتاج الرفيع والفن الجميل·· وسيجد الأديب نفسه إما فاقداً لبعض ما ربحه من استقلال، وإما معزولاً عن المجتمع وهما أمران أحلاهما مر!!

المسرح والتمثيل :

●● ترى ما هي الأسباب التى حجبت فن التمثيل والمسرح عن العرب طوال حياتهم حتى كان عصرنا الحديث··؟!

○ في رأيي أن طبيعة العرب النفسية والبيئية والدينية والخلقية لم تكن تساعد هذا الفن على أن يتخذ مكاناً بينهم بالرغم من أن أمة كالأمة اليونانية عرفت التمثيل في فترة مبكرة يمكن أن نطلق عليها الجاهلية اليونانية·

كما أن البيئة الصحراوية الجافة القاسية التى شغلت ساكنها البدوي بالبحث عن الطعام والشراب والحروب·· كل ذلك وبخاصة عدم الاستقرار حال بين العربي في بداوته أن يلهم التمثيل أو أن يعرفه·

وإذا كان العرب لم يعرفوا التمثيل لهذه الأسباب، فلقد كان عندهم من فنون الشعر ما يعوضهم عن هذا الفن وكان شعراً غنائياً ينشد في الأسواق أو في خيام القبيلة، وشعراً خطابياً آخر ينشد في الدفاع عن القبيلة·

فكل هذا كان يغني أهلها عن التمثيل الذي يعتبر غريباً عن طبيعتهم، وكانت أخبار الشعراء في القصور يتلقفها العامة والخاصة فتملأ بعض فراغ النفوس الذي يمكن أن يملأه التمثيل ■

رباعيات ضياء الدين رجب وأحزانه

□ لقد كان يحب الفكاهة والمرح في مكتبه .. وكان يبادر معارفه وخلانه بالنوادر والطرف بشكل ينشر الأنس في صفوفهم.. ويطبع الابتسامة على وجوههم. كان يمد صحفنا المحلية ومجلاتنا الأدبية بمئات المقالات والكلمات.. وعشرات القصائد والمقطوعات الشعرية ـ كما كان يعد للاذاعة العربية السعودية ألواناً من البرامج والأحاديث الإذاعية باسلوب عربي اتسم بتناسق المعانى وتجانس الكلمات لدرجة أن المستمع لم يصدم بكلمة نابية أو معنى فج ـ الأمر الذى جعله من الأدباء البارزين في السعودية منذ فجر نهضتنا الأدبية.



ضياء الدين رجب

لقد كان المغفور له الشيخ/ ضياء الدين رجب الذي ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٣٥هـ من بيت كله علم وفضل، من صفاته الطيبة.. أنه كان ملازماً للمسجد النبوي الشريف.. إذ كان مع لدات عمره ورفاق حارته يذهب إلى رحاب مسجد المصطفى {صلى الله عليه وسلم} حتى نمت لديه رغبة التعلم .. تحصيل العلم من أيدى علماء عصره وأئمة زمانه فثابر في حلقاتهم وركض على مجالسهم حتى أخذ العلم والمعرفة حبواً على ركبتيه منهم ـ وبنبوغه المبكر حظي بجمع فوائد جمة في دروس اللغة العربية وآدابها حتى أتقن النحو، وأجاد في الصرف وامتاز في البلاغة العربية ـ حتى أصبح من أبرز شعراء السعودية وأدبائها ـ كما أنه اغترف رشفاً من شلالات العطاء.. عطاء العلماء الأفذاذ ثقافة دينية واسعة وعلماً أصيلاً في الفقه الإسلامي ـ مما أدى إلى ترشيحه وفوزه بمنصب القضاء في المدينة المنورة ـ وهو لم يتجاوز العشرين من عمره.

وشعر ضياء الدين رجب ـ كما يلوح لي ـ لا يعبر عن عاطفة واحدة أو نفس واحدة ـ بل يعبر عن عواطف متغايرة، ونفوس متباينة.

الشعر عند ضياء الدين شعور ونبضات وانفعالات ـ بدون استهتار بأوزان الشعر وقوافيه. فالإيقاع الموسيقي المنغم يضفي جمالاً على الشعر ـ كما أن القوافي الرصينة الطّيّعة تبرز إبداع الشعر ـ وكلما ابتعد الشاعر عن الرموز المبهمة والمجازات المغلقة في نتاجه الشعري ـ انطلقت روح الشاعر واتسعت ملكته، وأتى بألفاظ متسمة بالجرس والإيحاء والتأثير اللازم حتى اكتمل عنده بناء القصيدة معنى وجرساً ووزناً وقافية.

والوزن والقافية دعامتان في شعرنا العربي، ورباعيات شاعرنا (رجب) التى ظهرت في ديوانه الذي صدر في عام ١٤٠٠هـ ـ معبرة عن مواضيع

وأفكار منوعة ومترابطة .. مؤثرة تعيش في وجدان القارئ:

وقـال طيـفك دع ذكـراي وابتـهل
فـإنَّ فـرقتنا حـقـاً الى أجل
حـبي وحـبك حب أنت مـصـدره
والله صـانعـه في سـابق الأزل
وللمـقـادر رحـمى رغم قـسوتهـا
فـاصبر لها فـهي فـوق الحـول والحيل
أنـى وحـقك لـم أبرحك ثانيـة
لكن أحـاذر دمع المشـفق الثكلِ

* * *

وأحـسست في حُـبِّـيكَ بالوجـد كله
ضـراماً تعالى عن كيانى وعن جهدى
صـحـا صـحـوة البين المشُتُّ فـجـاءة
وشتان بين الصحو في القرب والبعد
ألا إنه الوجـد النبيح تصـارحت
لديه أغـاريد التـواجـد والوجـد
فكل هـوى أحـسست قـبلك منطق
مـشـاع وحـبي فـيك منطلقي وحـدي
أعـيش عليـه العـمـر سـر حـقـيـقـة
وحـبي نجـوى العـمـر في الأمل الفـرد

لقد عـصـف الحـزن بكيـان شـاعـرنا فـأصبـح سـاهمـاً لا يحـرك سـاكـناً .. وعـاش بعـد الغـروب مصـوراً بلـواه بحسـه، وغـارقاً في رؤى المـاتم وأشـجـاه .. وفـي ديـوان شـاعـرنا قصائد حزينة نظمت على أثر وفاة ولده (حمزة) في ريعان شبابه سنة ١٣٩٠هـ ، أنقل عدداً من الأبيات من قصيدة طويلة عنوانها (أفول الأقمار):

بُنيَّ ومـا أحـلاه جـرسـاً مُنَغَّـمـاً
يـرتلـه قلبي ويشـدو بـه فـمـي
نكـرتك والدنيـا تموج بناسـهـا
حـيارى .. سكارى بين صـحـو ونوم
نكـرتك في جنح الظلام وفي السُـرى
وفي خلجـات الحس تنبض في دمي



عثمان محمد مليباري
- مكة المكرمة -

وهذه قصيدة أخرى عنوانها (يا حمزة) :

أيـن تـلـك الـلـحـظـات
أيـن تـلـك الخـطـوات
أين تلك البـسـمـات
والعـيـون الضـاحكات
يا حـبـيب القلب يا حـمـزة والخلد: حـيـاة
أنت فـي العين وفي القلب دعـاء وصـلاة
فـالشـبـاب الغض في الخلد عليـه: الرحـمـاتُ

هذا وأرسل شـاعـرنا (ضـيـاء الدين رجب) آهات - شـعـره الحـزين في عـدد من المقطوعـات.. فهذه مقطوعة عنوانها (أول رمضان بعدك يا حمزة) وهذه مـقطوعـة أخرى عنوانهـا: (أول عـام بعـدك يا حمزة).. ومقطوعة ثالثة عنوانها (إلى روحه الغالى في يوم عـرفـه) ، وقـال في المقطوعـة الرابعـة هذه الأبيات:

يا قـرة العين هذا حـجنا الثـاني
وأنت نـاء وفي أحـشـائنا رانى
كـأنما الدهر قـد عـشناه في حـرق
ومـا مـضى يا حـبيب القلب عـامـان
عـسى ضـراعـتنا الحـرّى مـرفـرفـة
تحـف روحك ياصـبـرى وإيمـاني





□ *لقد سبق القول في الحلقة الماضية أن بلد الله الأمين تولى أمره الأمير السيد ابو عرادة رميثة الحسنى رحمة الله عليه حتى توفى فيها بست ولايات متكررة وكانت وفاته سنة ٧٤٦ للهجرة الشريفة. وكان رحمة الله عليه سيداً جليلاً فاضلاً نبيلاً شاعراً كريماً حازماً حليماً كما وصفه العلامة العصامي في تاريخه سمط النجوم العوالي. وذكر الإمام تقي الدين الفاسي الحسني رحمة الله عليه في تاريخه العقد الثمين أنه قيلت فيه مدائح في الشعر ومما قيل فيه قول الأديب أبي عامر منصور بن سحبان الزيدي قوله:*

مليك أقام الحق بعد اعوجاجه
وسيد من سمك المعالي منارها
متى بطرت قوم أذل عزيزها
وإن عثرت جهلاً أقال عثارها

ومنها قوله فيه أيضاً:

علم يدل على كمال صفاته
كرم الفروع له وطيب المعرق
يلقى بوجه البشر طارق بابه
كرماً ويرزق منه من لم يرزق

وذكر النسابة السيد الشريف أحمد الداودي عنه في كتابه عمدة الطالب: أنه كان يكنى بأبي عرادة وبأبي منجد وكان يلقب بأسد الدين.. وممن تولى الأمر بالرحاب القدسية في هذه الفترة:

الأمير الشريف أبو الغيث بن محمد ابى نمى الأكبر رحمة الله عليه:

وكانت ولايته في أواخر سنة إحدى وسبعمائة ٧٠١ للهجرة المباركة في موسم الحج مشاركة مع أخيه عطيفة بن محمد الآتي ذكره. وكان توليته من قبل السلطان محمد بن قلاوون رحمة الله عليه عن طريق ممثله الأمير بيبرس الخاشكير كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام. وذلك عقيب عزل الأمير رميثة وحميضة وما أخواه. وبعد إسناد الأمر إليه بالرحاب الأبطحية كلفهما الأمير بيبرس ستادار السلطان بتكليف من السلطان الناصر بإزالة ما قد أحدثت من بدع ومحدثات ومنها: قول حى على خير العمل في الأذان الخمس بالمسجد الحرام. ومنها إمامة المذهب الزيدى. ومنها قلع ذلك المسمار الذى كان يسمى بسرة الدنيا وقلع الحلقة الموضوعة على باب الكعبة المشرفة والمسماة بالعروة والوثقى أو بحلقة التوبة. وكانت هذه من المحدثات التى لم يثبت فيها شيء عن الشارع المعصوم {صلى الله عليه وسلم}.

فلم يزل الأمير أبو الغيث يتداول الأمر ببلد الله الحرام مع أخيه عطيفة حتى كانت أواخر سنة ٧٠٤ للهجرة الشريفة فورد الأمر بعزله والقبض عليه مع أخيه وشريكه وتم اقتيادهما إلى القاهرة فوضعا تحت الإقامة الجبرية في أحد القصور...... وكرامة.

وصارا من كبار المحيطين بالسلطان وحاشيته فبقى هناك حتى أعيد إلى إمارة البيت الحرام في سنة ٧١٣

للهجرة المباركة عقيب عزل أخويه رميثة وحميضة كما سبق ذكرهما.

فورد البلاد الحرمية مرة أخرى ومعه قوة عسكرية ضخمة وتسلم بها زمام الأمور في موسم الحج من هذا العام. وظل عليها فترة ليست بالكثيرة حتى خرج ناهضه أخوه الشريف حميضة وذلك بعد مغادرة القوة المصرية التى تسانده في الحرم، فمني أمام أخيه ومناوئه بالهزيمة ولجأ إلى قبيلة هذيل بوادي نخلة ولأن هذيلاً كانوا أخواله فمكث عندهم قليلاً ثم استنجد بالسلطان على أخيه حميضة فبعث السلطان جيشاً فالتقى بأخيه حميضة وواجهه فكانت الهزيمة من نصيبه فقتل من قتل من جماعته وأعوانه وأخذ هو أسيراً في هذه الملحمة ثم جهز عليه يخيف بنى شديد بأمر من أخيه حميضة. وبناء على ما سبق فإن مدة ولايته كانت ثلاث سنوات وكان شريكه في هذه الفترة في ولاية البلدة المحرمة:

الأمير الشريف سيف الدين عطيفة بن محمدابي نمى الأكبر الحسني رحمة الله عليه:

وكانت ولايته كما سبق شراكة مع أخيه السيد أبو الغيث في أواخر سنة ٧٠١ للهجرة الشريفة وبتولية من ممثل السلطان الأمير بيبرس الخاشكير كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام، وكان في عهده كما سبق ازالة اثار تلك المحدثات من جدار بيت الله العتيق.

فلم يزل كذلك يتداول المر مع أخيه أبي الغيث حتى



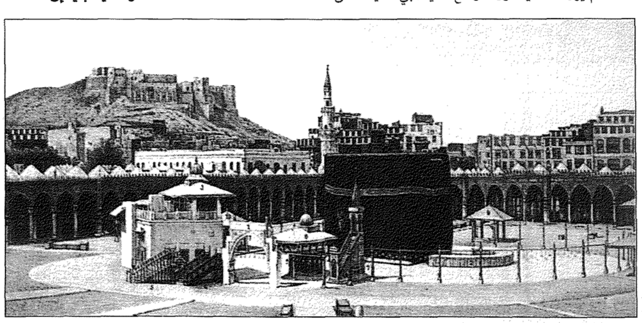
السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

أواخر سنة ٧٠٤ للهجرة المباركة فقبض عليه واقتيد إلى الديار المصرية للقاهرة ثم أكرم السلطان محمد بن قلاوون رحمة الله عليه وفادته مع أخيه ورتب لهما معاشات ورتب، وأسكنهما قصوراً شامخة وجعلا يركبان مع كبار الأمراء والمحيطين بالسلطان فعاشا هناك معززين ومكرمين. وعاش هناك ولم يسمع له أي نشاط سياسي أو منهجي ولا مناوشات ولا صراعات. وكان رجلاً متزناً عاقلا رصيناً حصيفاً.

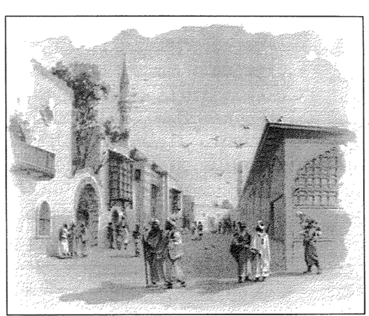
فلما كانت السنة ٧١٩ للهجرة المباركة قلده السلطان الناصر ولاية البلدة المعظمة مرة أخرى وجهز له جيشاً ووجهه إلى الديار الحرمية والياً وذلك بعد أن عزل عنها أخاه حميضة، فدخل الرحاب الأبطحية وتسلم بها زمام الأمور في شتى النواحي كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، فأصبح الناس يكنون له المحبة والإجلال وكرهوا أن يشاركه في الأمر غيره. فلم يزالوا كذلك وهم مطمئنون حتى بعث السلطان أخاه رميثة شريكاً له في إمارة أم القرى مرة أخرى وذلك في سنة ٧٢٠ للهجرة فتألم أهل مكة شرفها الله من وصول السيد رميثة شريكاً له في ولاية البلدة المعظمة ولكن قبلوا بالأمر الواقع ■

وللحديث بقية إن شاء الله



المسلمون غير العرب وتطوير اللغة

أدرك العلماء أن اللغة العربية هي لغة للمسلمين جميعاً وذلك بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم وكما شعروا بأنه من واجب كل مسلم أن يتعلم لغة القرآن الكريم، كذلك شعروا بأنه من واجبهم المساهمة في إنضاج اللغة وتقنينها وتطويرها من حيث تمشيها مع كل عصر من العصور.



وعلى مدى القرون التى شهدت توسع الدولة الإسلامية وتطورها في كافة المجالات وُجِد علماء مسلمون غير عرب ساهموا بشكل فعال في تأليف كتب النحو والبلاغة واللغة والأدب. وهذه الكتب لا تزال المراجع الأساسية لكل من يرغب في التعلم والتعمق في هذه العلوم.

وإضافة إلى ذلك فقد نبغ شعراء مسلمون من غير العرب حتى وصلوا الذروة في إبداعهم وتفننهم في شكل الشعر ومضامينه، من هؤلاء مثلا بشار بن برد وأبو العتاهية وغيرهم ولا تزال نتاجاتهم الشعرية تدرس حتى وقتنا هذا باعتبارها نتاجا شعريا عربيا إسلاميا.

أما في علوم اللغة العربية وآدابها فلابد لنا من وقفة متعمقة مع بعض هؤلاء العلماء المسلمين الذين ساهموا بشكل فعال في تطوير اللغة والحفاظ على جمالها وأساليبها ومن هؤلاء أبو على القالي مؤلف كتاب الأمالي، وسيبويه الذي كان زعيم المدرسة البصرية في النحو وعبد القاهر الجرجاني الذي خرج بأعظم نظرية بلاغية نقدية على مر العصور.

فأبو علي القالي: هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان وجده سلمان هو مولى عبد الملك بن مروان الأموي، ولد أبو علي في مناز جرد من ديار بكر ونشأ بها ورحل منها إلى بغداد.

وهذا يدلنا على أن أصله كردي من منطقة ديار بكر التى انتشرت بها القبائل الكردية، وقد نسب إلى قرية قالى قلا من قرى مناز جرد وقد جد في التحصيل على علماء الحديث وجهابذة اللغة والرواية

فسمع بها الحديث من أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي الذي ينسب هو الآخر إلى بلدة خراسان، وكان محدث العراق في عصره رغم أصله الفارسي، وتتلمذ القالي على يد ابن زخرف العدوي والسجستاني، وقرأ النحو والعربية على ابن درستويه وهو أيضا فارسي، وهو من أشهر النحويين في عصره وقد تتلمذ على ابن قتيبة والمبرد وتتلمذ القالي كذلك على الأخفش الصغير، ونفطويه وابن دريد وابن السراج وابن الأنباري وغيرهم.

وقد مال أبو على القالي بطبعه إلى اللغة وعلوم الأدب فبرع فيها واستكثر منها ونبغ نبوغا لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وعده المؤرخون إماما ثبتا وحجة ثقة فوصفه الضبي في كتابه بغية الملتمس بقوله: (كان إماما في علم اللغة). متقدما فيها متقنا لها فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه في غاية التقييد والضبط والإتقان وقد ألف في علمه، الذي اختص به تآليف تدل على سعة علمه وروايته.

ونظرا لذيوع صيته بعث له الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر يستحضره إلى حاضرة الأندلس التى كانت آنذاك منارة الحضارة الإسلامية في الأندلس والمغرب، وقد ذهب القالي إلى الأندلس والمغرب، وذهب القالي إلى الأندلس فاحتفل به وبقدومه وأكرمه الخليفة إكراما قلَّ مثله، وكلف بتعليم ابن الخليفة الحكم، وقد أقبل العلماء والأدباء إلى أبى علي القالي يستفيدون من علمه وغزارة حفظه لغريب اللغة وكان له مجلسه في الجامع الكبير بالزهراء يؤمه الأدباء والعلماء ومحبو اللغة والأدب.

أمالي القالي من مصادر اللغة الموثوق بها

د. حبيبة مطيوط
- المغرب -

وقد أجمع المؤرخون على ذكاء أبي علي النادر ونبوغه الفائق، وعَدُّوه أحفظ أهل زمانه، قال الضبي في كتابه بغية الملتمس ص ٢١٨ كان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين وأكثرهم تدقيقا في ذلك وقد حدث هذا ابن خلكان وياقوت الحموي وصاحب نفح الطيب المقري.

ولعل ما يشهد له على ما بذله من جهد في اللغة العربية وعلومها والكتب التى صنفها كتاب الأمالي معروف بين الناس كثير الفوائد، غاية في معناه، وكتب المدود والمقصور وقد رتبه على التفعيل ومخارج الحروف في الحلق مستقصيا في بابه لا يشذ منه شيء في معناه لم يوضع مثله، وكتاب الإبل ونتاجها وما تصرف منها، وكتاب حلي الإنسان والخيل وشياتها، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب مقاتل الفرسان، وكتاب تفسير السبع الطوال، وكتاب البارع في اللغة على حروف المعجم.

وقد عد كتابه واحدا من أهم أربعة كتب في التراث العربي، وهي الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة والبيان والتبيين للجاحظ إضافة لكتابه الأمالي.

ومازال كتابه الأمالي يدرس في الصفوف الأولى من الجامعة في قسم اللغة

العربية لما له من أهمية بالغة، وخاصة في غريب اللغة وشرح المفردات الغريبة.

ولعل من أهم مميزات الأمالي أنه يغص بالمقاطع الشعرية الحاوية غريب اللغة فيقوم القالي بشرح الغريب وأوزانه ومفرداته، ويعلق على المفردة تعليقا واضحا ويدل هذا على سعة حفظه لعشرات الآلاف من المفردات الغريبة وشروحها وبسط معانيها وأوزانها.

وإذا كان شأن أبي علي القالي في الأدب وغريب اللغة هذا الشأن فإن سيبويه الفارسي الأصل يعتبر من أشهر علماء النحو العربي في العصر العباسي الأول الذي شهد توسعا عاما في كافة العلوم.

وقد تتلمذ سيبويه على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة ١٧٥هـ وهو واضع أسس علم النحو لكن سيبويه أدى علم النحو كما تلقاه عن أستاذه وقد صنف كتابا في النحو أسماه «الكتاب» وهو في كثير من صفحاته يحكي آراءه، وقد ذكره في نحو ثلاثمائة وسبعين موضعا.

ومع استفادة سيبويه من كتاب أستاذه الخليل استطاع أن يصنف كتابا أسماه القياس والعلل. أما القياس فيتضح في ضبطه القواعد واطرادها بحيث تنفي الشواذ، وأما العلل فمقدمات القياس التى تثبت صحة ما تقدمه من أدلة عقلية سديدة.

سيبويه أسس لعلم النحو وبرع فيه

وقد خلف سيبويه أستاذه الخليل، واعتبر كتابه في النحو أحد أهم الكتب النحوية العلمية التى وصلتنا، وأهم من تلقى هذا الكتاب عن سيبويه من البصريين الأخفش الأوسط سعيد بن مسعد المتوفي سنة ٢١١هـ فكان الطلاب يقرأونه عليه ويشرحه لهم ويفسره، وله في النحو مصنفات كان ينشر فيها ضربا من الغموض والتعقيد رغبة في التكسب بها على رأي الجاحظ.   واشتهر أنه أول

واشتهر أنه أول من أولى غريب كل بيت من الشعر تحته كما اشتهر بإتقانه لعلم العروض وتأليفه فيه.

والواقع أن علم النحو الذي وضع أسسه وقعده سيبويه لم تغير الأجيال فيه شيئا، وإن وسعته توسيعا في مختلف النواحي أو غيرت عن صوره وقوالبه، والحقيقة أن كتاب سيبويه يرينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند عرب البادية دون استثناء، فهو يرجع دائما في شؤون الاستعمال اللغوي الى العرب مع إشارته هنا وهناك إلى الفروق اللهجية من غير أن يحيد في ذلك عن ترجيح كفة اللسان الحجازي بأنه الأول والأقدم.

وغالبا يكتفي في ذلك بعبارات عامة مثل العرب الذين ترضى عربيتهم أو العرب الموثوق بعربيتهم أو عربي أوثق أثق بعربيته، وهي عبارة حملها بعض المتأخرين غلطا على أبي زيد الأنصاري، وامتاز سيبويه بأنه كان لا يورد في شواهده شاعرا محدثا قط على الرغم من أنه لم يكن يقيس نغمة الشعراء بمقياس أصحاب حركة التنقية، فهو يستشهد بعدي بن زيد وأبي داود اللذين لم يَرْوِ عرب البادية أشعارهما بشهادة الأصمعي لانحراف لهجتهما عن لغة نجد، وهو يستشهد على النقيض من أكثر علماء اللغة بأمية ابن أبي الصلت وغيره من الحنفاء[١].

الجرجاني المشرّع الأول لعلم البلاغة

وكان العلماء المسلمون قد ساهموا أيضا في البلاغة والنقدمساهمة كبرى على الرغم من أن هذا العلم - البلاغة النقد - يحتاج إلى تذوق عال للغة العربية وكان عبد القاهر الجرجاني أشهر العلماء وأبدعهم في ذلك، ولعل كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز يعتبران من أهم الكتب البلاغية النقدية في اللغة العربية إن لم يكونا الأهم على الاطلاق.

فكتاب دلائل الإعجاز يقدم نظرية في البلاغة والنقد قل نظيرها وهي المسماة نظرية النظم.

فالجرجاني ينتسب إلى جرجان الواقعة في شمال بلاد فارس لكنه بز غيره من علماء البلاغة العرب وغيرهم.

ففي أهم ما يطرحه الجرجاني يرى أن النحو يأخذ فضلا كبيرا في معرفة دراسة النظم ونظريته. فالألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، فعلى الرغم من وضوح ما يطرحه فإن ذلك لا يعتبر قاعدة صحيحة للمتذوق والدارس في معرفة المعاني المستخلصة من الألفاظ ونحوها، ولا يمكن التوصل إلى فهم الألفاظ وارتباط بعضها ببعض إلا من خلال النحو ومعرفة الفاعل من المفعول والخبر من المبتدأ أو الصفة من الحال وما شاكل ذلك.

ومن خلال ترتيب منهج الجرجاني ندرك أنه قد أصاب الهدف في شرحه لأهمية النحو قبل أن يأخذ بالحديث عن نظرية النظم، وأهميته تأتي من خلال البدء في معرفة أصول النحو حتى تدرك أهمية الكلمة وهي تدخل في سياق النظم لتؤدي غرضها اللغوي وغرضها المعنوي، وما يدل على أن الجرجاني يدرك بعقله النقدي المتطور وحسه البلاغي وذوقه الأدبي أنه لا يمكن إدراك قيمة اللغة إلا من خلال موقعها النحوي أولا، ثم من خلال موقعها في سياق الكلام ثانيا، واستند الجرجاني في شواهده على القرآن الكريم، مما جعل مقياسه أقوى المقاييس وأشدها تماسكا. والواقع أن نظرية الجرجاني البلاغية النقدية التطبيقية خير دليل على إدراك العرب لمعالم علم اللغة العربية وإبداعهم فيه وسبقهم للغرب في تلمسه ووضع خطوطه.

والواقع أن عبد القاهر كشف بشكل دقيق عن العلاقة بين اللغة والفكر، وآراؤه في ذلك كانت سابقة لآراء (جون ديوي) العالم الأمريكي الذي خاض في فلسفة اللغة وعلاقتها بالفكر حتى عد من كبار الفلاسفة اللغويين في القرن العشرين.

وقد أشاد الدكتور محمد مندور بكتاب دلائل الإعجاز حتى إنه قال: إنني لا أعدل بكتاب دلائل الإعجاز كتابا آخر، ومنهج عبد القاهر هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي، وأن المنهج اللغوي الذي يضم إلى النحو كما نفهمه علم التراكيب الذي يشبه ما نسميه اليوم علم المعاني هذا المنهج الذي وضعه عبد القاهر الجرجاني خليق بأن يجدد فهمنا لتراثنا الأدبي العربي الإسلامي كله ■

هامش :

(١) يوهان فك: دراسات في اللغة العربية واللهجات والأساليب ص ٥٩ - ٦٠ - ٦١ ترجمة د/ رمضان عبد التواب ١٩٨٠م.



حياة الرافعي

(تأليف محمد سعيد العريان)

حياة الرافعي

الطبعة الثالثة

١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م

□ *صادف الكنود أديب العربية الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في حياته المادية الصعبة، ولكن السعد قد واصله في حياته الأدبية إذ كان أديب البيان العربي، ومدرة الإسلام الذائد عن حماه، تتطلع إليه الأنظار في معضلات الفكر وهجمات الإلحاد، ومن توفيق الله أن الأستاذ محمد سعيد العريان قد اتصل به اتصال التلميذ بالأستاذ، ونزل من نفسه أجمل منزل وأحبّه، فعرف بملابسته الواعية الكثير من همومه وأمانيه، ولو لم يكن العريان بهذه المنزلة الواشحة من قلب أستاذه ما كتب مؤلفه الرائع «حياة الرافعي» إذ كان كتابه أول ترجمة أدبية فنية تكتب لأديب في المكتبة العربية المعاصرة على هذا النهج الفني الرائع، وقد جمع إلى لذة التشويق، وجمال السرد، صدق القول وأمانة الحديث، وأنا أعرف أن الأديب الكبير الأستاذ ميخائيل نعيمة قد كتب ترجمة لصديقه جبران، قبل أن يكتب العريان كتابه عن الرافعي، ولكن ميخائيل افتتح الترجمة بقصص خيالية باعدت بين الواقع وما قيل، فكانت خليطاً بين الخيال واليقين، لذلك لا تعد من قبيل ما كتبه العريان إذا التزم الصدق مؤرخاً، والفن كاتباً، فجاء كتابه سابقاً في بابه.*

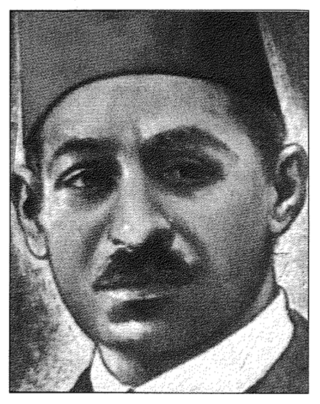
يقول الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر في تقديم هذا الكتاب (وأنا مما عرفت الرافعي رحمه الله، ودنوت إليه ووصلت سبباً منى بأسباب منه أشهد لهذا الكتاب بأنه قد استقصى من أخبار الرافعي كثيراً إلى قليل مما عرف عن غيره ممن فرط من شيوخنا وكتابنا وشعرائنا، وتلك يدٌ لسعيد على الأدب العربي، وهي أخرى على التاريخ، ولو قد يسَّر الله لكل شاعر أو كاتب أو عالم صديقاً وفياً ينقل إلى الناس أحاديث وأخباراً وأعمالاً، كما يسَّر الله للرافعي لما أحتلت العربية مجداً بادبائها وعلمائها».

وهذه شهادة حق من الأستاذ شاكر فإن طرائف كثيرة من حياة الرافعي ما كانت تفسر للقارئ الدارس لأسباب الداعية لنتاج الرافعي في مؤلفاته ومقالاته لولا ما سجله العريان في كتابه، ونحن نرى أن الكاتب قد ألَّف كتابه بروح الود الخالص، وهو مالا يمكن أن يؤاخذ عليه، لأن الرافعي يملك من وسائل التقدير له والإعجاب به، ما



أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر



مصطفى صادق الرافعي

يدفع الدارس المنصف إلى اصطفائه، فإذا تحدث هذا الدارس عن مزاياه الحقيقية فلن يكون متعصباً لصاحبه، على أنه أخذ عليه ما يمكن أن يكون موضع المؤاخذة، فانتقى بذلك مقال التعصب! وهل تستكثر هؤلاء كتاباً ينصف الرافعى حين يظهر في طابعه المكتمل، وهم يرون عشرات المؤلفات تمتلئ زوراً وبهتاناً عن أناس رزقوا الشهرة، ونالوا الحظوة، وما كان لهم سهمٌ صائب من سهام الرافعى في حلبة الإبداع! ونحن نقرأ ما قال العريان عن أستاذه فنجده ذا حق في التنويه بآثاره إذ يقول:[١]

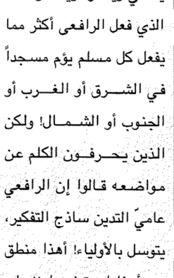
«لقد عاش الرافعى في هذه الأمة، وكأنه ليس منها، فما أدت له في حياته واجباً ولا اعترفت له بحق، وكأنما اجتمع له وحده تراث الأجيال من هذه الأمة العربية المسلمة، فعاش ما عاش ينبئها إلى حقائق وجودها، ومقومات قوميتها على حين كانت تعيش هى في أوهام التقليد، وضلال التجديد، ورضي هو مقامه منها غريباً معتزلاً الناس لا يعرفه أحد إلا من خلال ما يؤلف من الكتب أو ينشر من الصحف.

وقد سار العريان في كتابه على هدى بصيره إذ تابع خطوات حياة الرافعى خطوة خطوة، يذكر في هذه الخطوات حياته المادية مجاورة لنتاجه الأدبى، فيظهر هذا النتاج في ضوء ملابساته الداعية، وتلك طريقة جيدة، تجعل القارئ يدرك الدواعى الباعثة على القول شعراً ونثراً وتأليفاً، فالرافعى تلميذاً وموظفاً وزوجاً والداً، وباحثاً وأديباً، وناقداً صارماً، وشاعراً مبدعاً، ورجلاً ذا علائق تضطرب من الصداقة والعداوة، والتسامح والشدة.

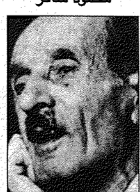
كل ذلك قد اهتم به المؤلف اهتماماً جعل كتابه ينبض بالحياة ويجيش بالحركة، بل جعل كتابه يعيد الرافعى إلى الحياة مرة ثانية، فيعرف الناس عنه ما جهلوا من الشجون، وما تلبّسته من الأزمات، وقد جاء بعد العريان من كتب عن الرافعى فكان كتابه المصدر الأول لما دوّنوه، بل إن خصوم الرافعى جعلوا منه المصدر الأول إذ فهموا الأحداث على غير وجهها الصحيح، وانبروا يلصقون بالكاتب الكبير ما هو منه براء، ويقولون في ادعاء لم نأت بجديد لأن ذلك ما سجله تلميذه الوفي محمد سعيد العريان! وهذا حق أشبه بالباطل، لأن العريان يذكر الحادثة في سياقها

المطرد فتعطي مفهوماً غير مفهوم من يقتطعها اقتطاعاً، ويحاول أن ينطقها بما لا يمكن أن تنطق به ثم يقول: هذا ما ذكره العريان، وأضرب مثلاً لذلك:

لقد ذكر العريان أن الأستاذ الرافعي كان يصلي بمسجد السيد البدوي، ثم يقرأ القرآن متعبدا خاشعاً وتمضي وما تزال شفتاه تتحركان بكلام العبادة! فماذا في هذا القول؟ رجل يصلي في مسجد أقيم لأداء الشعائر الدينية، ثم يجلس بعد الصلاة متعبداً، يقرأ القرآن ويدعو الله، وينصرف! هذا ما يفعله الرافعي في مسجد السيد البدوي، وفي كل مسجد غيره يؤمه للصلاة! يصلي ويقرأ ويدعو! ما الذي فعل الرافعي أكثر مما يفعل كل مسلم يؤم مسجداً في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال! ولكن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه قالوا إن الرافعي عاميّ التدين ساذج التفكير، يتوسل بالأولياء! أهذا منطق .. أهذا استشهاد!! على أن تلميذه الشيخ محمود أموريه قد جلا هذه الحقيقة في مقال بالرسالة[٢] بما لا يدع ريبة لمرتاب، فكيف نؤذى تاريخ الأديب حين



محمود شاكر



ميخائيل نعيمة



جبران خليل جبران

نلحقه بما هو منه بريء.

وفي حياة الرافعي أمور سجلها العريان، وأراها موضع نقاش، لا لأن العريان أخطأ في الرأي، بل لأن وجهة النظر تختلف من أديب وأديب.

يقول الأستاذ العريان في معرض الحديث عن انتقال الرافعي من الشعر إلى النثر[٣]:

«إن الرافعي كان يرى في الشعر قيوداً لا تتيح له أن ينظم بالشعر كل ما يريد أن يعبر به عن العواطف المضمرة في نفسه - هكذا كان يقول هو - وأقول أنا إنه كان يعجز أن يصب في قصيدة من الشعر ما كان يستطيع أن يكتبه في سهولة ويُسر مقالاً من مقالاته الرائعة التى يعرفها قراء العربية فيما قرأوا للرافعي.

والحق أن قول الرافعي إن في الشعر قيوداً لا تتيح له أن يعبر عن عواطفه كما يريد، هو نفسه قول العريان إنه كان يعجز أن يصب في قصيدة من الشعر ما كان يستطيع أن يكتبه في سهولة ويسر مقالاً من مقالاته الرائعة.. أي فرق! إذن بين قول الرافعي وما استدركه عليه العريان!! على أن الرافعي لم يهجر الشعر إطلاقاً كما توحي هذه العبارة، ففى كتبه الوجدانية قصائد عاطفية ممتازة تدل على أن ملكة الشعر لم تهجره! بل أقول شيئاً آخر إن حفلة التأبين التي أقيمت للمرحوم أحمد تيمور باشا تضمنت قصائد كثيرة لشعراء كبار منهم شكيب أرسلان، عبد المطلب والهراوي والرافعي، وبمقارنة قصيدة الرافعي بمن قالوا في هذا الحفل نجد الفرق بعيداً بين ما قالوه وما قاله الرافعي منفرداً في إبداعه الشعري! ولا ينكر أحد أن قيود

الشعر تعوق أكبر شاعر عن أن يفضي بكل ما يريد، وقد قرأت مرة قولاً لشاعر أوربي يقول: إن أجمل قصائدي هي التي في صدري ولم أنقلها بعد!.

وكان العريان سديداً موفقاً حين كتب فصلاً عن كتاب (على الضوء) الذي اختص أكثره بنقد عاصف لشعر العقاد، حيث اعترف باللفتات النقدية الواعية التي تضمنت هذا النقد، فهي تدل على تغلغل في المعاني، وفهم دقيق لمدلولات الألفاظ، ولكن الرافعي قد ملأ النقد بعبارات جارحة، وطعنات مسفة ما كان له أن ينحدر إليها وقد قال العريان بصدد ذلك[٤]:

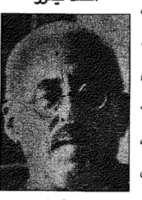
«والحق الذي أعتقده أن في هذا الكتاب على ما فيه نموذجاً في النقد يدل على نفاذ الفكر، ودقة النظر، وسعة الإحاطة وقوة البصر بالعربية وأساليبها، ولكن فيه مع ذلك شيئاً خليقاً بأن يطمس كل ما فيه من معالم الجمال، فلا يبدو منه إلا أدمّ الصور، وأقبح الألوان، بما فيه من هجر القول، ومر الهجاء، ولئن كان هذا مذهباً معروفاً في النقد للرافعي، وخصمه واثنين آخرين من كتّاب العربية في هذا الجيل، إننا لنريد للناقدين في العربية أن يكونوا أصح أدباً وأعفّ لساناً من ذاك».

وإنها لخسارة أن ترى التمثال الفني البديع مغموراً في الوحل فلا تصل إليه إلا أن تخوض له الحمأة المنتنة وهيهات أن تقبل عليها النفس، وإنها لخسارة على العربية أن ترى هذا الفن البديع في النقد يكتنفه هذا الكلام النازل من هجر القول، ومر الهجاء».

هذا نقد صريح، ولعل ملابسات العصر السياسية هي التى جرّت إلى هذا الوبال، فقد أعدت الأحزاب المصرية كُـتّاباً يهاجمون معارضيهم في صحفهم، واندفع كل فريق يهاجم خصومه بما يترفع القلم عن سرده، وفي هؤلاء أدباء يزاولون السياسة، فحين انتقل الميدان الفكري من السياسة إلى الأدب ظلت لهجة النقاش السياسي مسيطرة على الناقدين، وقد أشار العريان إلى ثلاثة من هؤلاء دون أن يصرّح بأسمائهم، وهم عباس العقاد وإبراهيم المازني وطه حسين، فالكل مؤاخذ، وماكان الرافعي كاتب سياسة كغيره، إذ لم يكن له حزب يتكلم بلسانه ويزود عنه، ولكن الحمى قد اشتعلت فشملت السياسي وغير السياسي، وقد ذهبت هذه المقالات الهابطة بذهاب مناسباتها، ولم يحرص أحد من كاتبيها على أن تجمع في آثارهم، وفي هذا اعتراف بما يتضمن من الإسفاف.

أفصح المؤلف عن علاقات الرافعي برجال العصر وأعلامه من سياسيين وأدباء ووزراء وأساتذة جامعات ومدارس، وقد اجتهد أن يستبقي ما كان

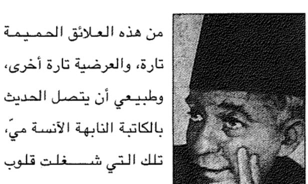
أحمد تيمور



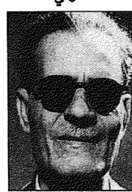
شكيب أرسلان



العقاد



المازني



طه حسين



مي زيادة

من هذه العلائق الحميمة تارة، والعرضية تارة أخرى، وطبيعي أن يتصل الحديث بالكاتبة النابهة الآنسة ميّ، تلك التي شغلت قلوب الصفوة من أعلام الجيل، واحتلت فيها أرفع المنازل، وكان الرافعي رحمه الله أحد الذين اتصلوا بهذه الآنسة، ورأى من سماتها الخلقية والفكرية وطابعها المتميز الفريد ما جعله يهيم بها حباً، وحين لاحظ هدوءها المحايد مع الناس جميعاً لا معه وحده ثار ثورته، وكتب قصائد دافقة الحنين، وكانت وحياً لإلهامه الأدبي، فبسببها أنشأ رسائل الأحزان وأكثر ما كتب في السحاب الأحمر، وأوراق الورد، بل إن مقالاته في وحي القلم كانت تضم بعض الجذوات المشتعلة من هذا الحنين العاصف الموار!.

والشيء البارز الذي اختلف فيه مع الأستاذ محمد سعيد العريان، أنه تحدث عن هذه العلاقة مطمئناً إلى أن الآنسة النابهة كانت تحمل للرافعي أحاسيس الشوق، لا الصداقة البريئة، إذ إن الرافعي ـ كما قال الزيات ـ قد توهم هذا الحب، ومازال يُجسّدُه وينميه ويكبره حتى أصبحت ميٌّ هي كل شيء في حياته الوجدانية، وكان كما قال العريان ـ يقرأ مقالاتها المتتابعة في الصحف الأدبية فيأخذ منها معاني خاصة تؤكد له نفسه أنه هو المقصود!.

أطال العريان في سرد هذه العلاقات متأكداً من صدق التجاوب بين مي والرافعي، والذين عرفوا أحوال ميّ ووقفوا على مدى علاقاتها بمن يزورونها في ندوتها الأدبية يعلمون أنها لم تبادل أحداً منهم خالص الحب الأكيد، ولكنها ربة صالون مهذبة تلقى ضيوفها بمنتهى التجلة والإكبار، والعقاد ـ وهو الحصيف الذكي ـ سجل في قصة سارة إنها كانت تبادله الحب الرقيق، وتود أن تسير معه إلى خاتمة الشوط، وهذا تخيل أيضاً، وما نقله العريان من رسالة خاصة بميّ إلى الرافعي تبعد أسلوبها كل البعد عما تعرفه من طابعها الأدبي!.

لقد عُورض العريان معارضة شديدة في الصحف والمجلات الأدبية بمصر ولبنان، وظلت رسائل المعارضة تنهال عليه، وقد أجاب عن بعضها في الرسالة، ثم ألحق إجابته بالطبعة الجديدة من حياة الرافعي، وأهم ما جاء في هذه الاعتراضات ما كتبه الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف وكان وثيق الصلة بالآنسة ميّ، حيث قال فيما نقله العريان[٥]:

«لقد سمعت هذه القصة من الرافعي كما رويتها، فما أشك في صحة ما تكتب، ولكن هل كانت فلانة تبادله الحب؟ هاك خبراً يدعوك معي إلى هذا السؤال: في يناير من سنة ٣٤، أو ٣٥م دعتني فلانة الى مقابلتها، فلما شخصت إليها رأيت في وجهها

لوناً من الغضب، ودفعت إليّ برسالتين من رسائل الحب، بعث بهما الرافعي إليها لأرى رأيي فيهما، ثم قالت: ماذا تراني أفعل لأذود عن نفسي، أتراني أتقدم في ذلك إلى القضاء؟ قال الأستاذ صروف: فاعتصمت بالصمت من لا ونعم، وتركت لها أن تستشير غيري».

وقد عقّب العريان قائلاً بعد تمهيد موجز: على أن هذا الخبر لا ينفي شيئاً ولا يُثبت، ولكنه يفتح باباً للاستنباط والرأي، والذي أراه أن هذا الخبر ينفي الحب نفياً تاماً، إذ لو كان لدى ميّ بعض ما تحس من عاطفة نحو الرافعي، لكتبت له أن يقتصد منعاً للقيل والقال! ولكنها سخطت وهمّت أن تتقدم للقضاء.

وأخرى أقولها بصدد علاقة الرافعي بميّ، فقد قال العريان في هذا النطاق كلاماً عجيباً لا أدري كيف قبله واعتقده قبل أن يسطره، قال العريان[٦] على لسان الرافعي: «إن في بيتي امرأة أحبها وتحبني - يريد زوجته - وإن لها عليّ حقاً ليس منه أن يكون مني لغيرها نظرة أو ابتسامة إلا أن تأذن لي، ماذا يكون من أمري وأمرها غداً أمام الله حين يطلب كل ذي حق حقه، أأقول لها، نعم قد ضيعت حقك وأعطيت قلبي الذي لا أملك لمن لا تملك، ويلي إنها الخيانة والغدر.

وذهب إلى زوجه فحدثها وحدّثته، وأفضى إليها بخبره، وكشف لها عن نفسه، ثم قال: وأنت يا زوجتي، هل يخفى عليك مكانك مني؟ ولكنْ! واستمعت إليه زوجته هادئة مطمئنة ثم أذنت له، وكتب الرافعي رسالته الأولى إلى صاحبته التي غلبته على قلبه، وقرأت زوجته الرسالة وطوتها وأرسلت بها إلى صندوق البريد، وجاء جواب صاحبته فقرأته زوجته كما قرأت رسالته، وصار ذا دأبهما من بعد، لا ترى زوجه لا حقاً عليه إلا أن تعرف، ولا يرى على نفسه في ذلك ملامة ما دامت زوجته تعرف».

والحق أن هذه المسألة فوق التصور، لأن الزوجة أية زوجة لا تقبل أن يكون زوجها هائماً بغيرها، يكتب لها رسائل الشوق الملتهب، وهي تكتفي بقراءة ما يذهب وما يجيء! والغيرة مركبة في النساء جميعاً، فلعل الرافعي همّ بحديث زوجته ولم يفعل، ثم أخذ العريان هذا الهم فجعله حقيقة! وإذا لم يكن ذلك فبماذا أعلل.

إن كتاب (حياة الرافعي) رائدٌ في موضوعه، ولم يتتبعه على طريقته الفنية أحد، لأن الذين كتبوا من بعد عن أعلام الفكر كالعقاد وطه حسين والمازني وغيرهم كانوا دارسين باحثين، لم يكتبوا ترجمة نابضة حيّة، ولكنهم كتبوا آراء علمية فيمن حاولوا الحديث عنهم! أجل كانوا يتعرضون إلى هواتف القلب وشجى النفس ولكن تعرض الذى يجلس على الشاطئ ولا ينتقل بقدمه إلى الماء جوار الشاطئ فضلاً عن أن يسبح في التيار ■

الهوامش :

(١) حياة الرافعي ص ٤٥ ط . ثالثة.

(٢) مجلة الرسالة - العدد (٣١٥) ١٩٣٩/٧/١٧م.

(٣) حياة الرافعي ص ٧٢.

(٤) حياة الرافعي ص ١٩٢.

(٥) حياة الرافعي ص ١٢٣.

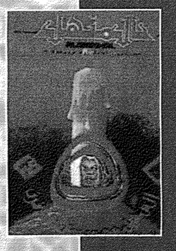
(٦) حياة الرافعي ص ٦٣.

إستدراك: ورد خطأ – غير مقصود – في ترقيم حلقات (رحلة فى المكتبة) بدءاً من الحلقة ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧ .. وصحة الترقيم هي: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ .. لذا وجب التنويه.

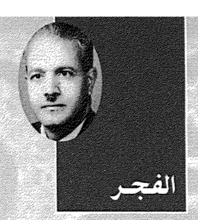
لقديم روعته







أسطر في الفن والإبداع والكلمة المتتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.



الفجر

الله أكبر ... !

الله أكبر ... !

تسبيحة العالم المطَهَّر

للخالق المبدع المصوِّر

* * *

الكون قد هبَّ من كراه

يستوضح النور عن رؤاه

كالناسك الشيخ في تقاه

طوى الهوى مذ طوى صباه

وغاب ماضيه في دجاه

وأنسى الامس أو سلاه

فلم تعد تهتف الشفاه

بغير ما رجَّعت صداه

جوانب الأفق حين كَبَّر

تسبيحة العالم المطهر

الله أكبر ... !

الله أكبر ... !

الفجر حلم على الروابي

يهبط من مسرح السحاب

على الروابي على الرحاب

رسالة الحق والصواب

لأخريات الدجى الكذاب

سدت عليهن كل باب

فاندفق النور في الشعاب

كالنبع .. كالسيل .. كالعباب

فردد الكون حين كبر

لقدرة الخالق المصور

الله أكبر ... !

الله أكبر ... !

* * *

قد هزت الروح كل ساكن

فابتسم الزهر في الجنائن

وزقزق الطير في المحاضن

وأعلن الديك للدواجن

بشارة الصبح وهو آمن

وخف في بكرة الكوائن

من القرى الرسل للمدائن

مردداً بالصدى المعطر

تسبيحة العالم المطهر

الله أكبر ... !

الله أكبر ... !

(حسن كامل الصيرفي)

رمضان١٣٦٥هـ ـ اغسطس١٩٤٦م

وظيفة النقد..

النقد الأدبي فصل متخلف في المكتبة العربية، ولكن هذا التخلف هو الوضع الطبيعي للأمور. نقد هو عملية الوزن والتقويم، فلابد أن تسبقه عملية الخلق والإنشاء لابد من وجود المادة الفنية التى يزنها الناقد ويقومها.

ولقد وجد فصل النقد الأدبي في المكتبة العربية القديمة، ولكنه في مجموعه كان نقد ألفاظ وعبارات لا يكاد يجاوز هذه المنطقة، فإذا جاوزها تناول المعاني من حيث هي معان، ولم يحاول إلا نادراً أن يحسب حساباً لنفس القائل وطبيعته، كما أنه لم يحاول قط أن ينظر إلى خصائص الشخصية في هذا الأدب من الناحية النفسية فإذا نظر إلى هذه الناحية فإنما لينظر إلى التعبير من حيث هو ألفاظ وتراكيب ومعان، لا من حيث هو خاصة فكرية، وسمة نفسية وطريقة شعورية.

وعلى أية حال فقد جمدت قوالب النقد حوالي القرن الرابع، وأصبحت قواعد محفوظة، وطرقاً مرسومة ولم يتعد النقد في الغالب ـ النقل عن كتب النقد السابقة بلا زيادة تذكر، وبقي الأمر على هذه الحال نحو تسعة قرون.

ومنذ ثلاثين عاماً فقط نهض الأدب العربي نهضته الحقيقية، فنهض فصل النقد كذلك ولكن ماذا كان أمام النقد من المادة الفنية في هذا الأوان؟.

يكفي أن ننظر إلى المكتبة العربية في ذلك الحين فنراها خالية من أعمال: العقاد، وطه حسين، والمازني، وشكري، وتوفيق الحكيم، وهيكل، والزيات، وأحمد أمين، والرافعي، وتيمور، ثم من شعراء الشباب وكتابهم وقصاصيهم وباحثيهم ـ وهم كثيرون في مصر والعالم العربي ـ لندرك خواء هذه المكتبة وعجزها عن إمداد الناقد الأدبي بمادة عمله الأولية.

فلم يكن أمام النقاد في ذلك الحين إلا مجرد التعريف بالأدب العربي القديم وبالأدب العربي الحديث وكلاهما كان في منزلة واحدة من البعد عن التفات القراء في ذلك الزمان وكلاهما كان التعريف به ضرورة لازمة للنهضة الأدبية التي عمرت المكتبة الحديثة في خلال الثلاثين عاماً الأخيرة.

نعم، وجد إذ ذاك نوع من النقد ولكن عمله الأول كان هو الهدم القاسي المصحوب بكل ضجات الهدم وفرقعاته، فلقد كانت الضجة والفرقعة في ذلك العمل هي العمل المجدي الوحيد لإيقاظ الغافلين الساربين في مسارب الجمود القديم.

وكتاب «الديوان» للعقاد والمازني كان معول الهدم الذى يسبق البناء، ولقد صدر بعده بقليل كتاب آخر يضرب على نغمته ولكن في هدوء، ذلك هو كتاب «الغربال» لميخائيل نعيمة.

ولم تصدر بعد هذه كتب في نقد الأدب المعاصر اللهم إلا كتاب «على السفود» للرافعي وكتاب «رسائل النقد» لرمزي مفتاح وإنما نسميهما نقداً من باب التجوز إذ إن مكانهما الحقيقى هو فصل «الهجاء» بكامل معناه ثم كتاب

«شوقي» لانطون باشا الجميل وهو استعراض لفنون القول عند شوقي.

ولكن ظهرت مقالات متفرقة للعقاد والمازني وشكري وطه حسين وأحمد أمين والزيات ثم ظهر كتاب «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي» للعقاد وهو دراسة وافية للمدارس الفنية.

أخيراً صدر كتاب «في الميزان الجديد» للدكتور مندور، مجموعة مقالات في النقد السريع لبعض الأدباء والشعراء يحالفها التوفيق كثيراً حين تعرض للقواعد العامة ويجانبها الصواب كثيراً حين تعرض للنموذج والمثال، والنقد الحقيقي في اعتقادي هو صحة الحكم على المثال.

وفي العام الماضي ظهر كتاب «دفاع عن البلاغة» للزيات وهو بحث عام في البلاغة لا يتعرض لنقد المعاصرين إلا قليلاً وكذلك ظهر كتاب «فصول في النقد» لطه حسين وهو كما يدل اسمه عليه فصول متفرقة سبق نشرها مقالات في الصحف والمجلات.

من هذا الاستعراض السريع تدل حداثة فصل النقد في المكتبة العربية وتخلفه عن سائر الفصول ولكن هذا ـ كما قلت ـ هو الوضع الطبيعي للأمور وإنه ليخيل إليَّ أن المكتبة العربية الحديثة قد أصبحت تستحق ناقداً، ففيها أعمال أدبية ناضجة وفيها مذاهب فنية متبلورة كما أن فيها محاولات واتجاهات تستحق الاهتمام، فالناقد خليق أن يجد له عملاً في هذه الظروف الجديدة.

ولكن ما هو عمل الناقد على وجه التحديد؟.

للناقد عملان أساسيان: عمله في الجو العام وعمله مع كل مؤلف على حدة، فأما عمله في الجو العام فهو التوجيه والتقويم ووضع الأسس وتشخيص المذاهب وتصوير أطوارها ومناهجها.

وأما عمله مع كل مؤلف فهو وضع «مفتاحه» في أيدي قرائه الذين يقرأون أعماله متفرقة ولا يدركون الطبيعة الفنية التى تصدر عنها هذه الأعمال ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل.. وهذا «المفتاح» ضروري للتعريف بالأديب وإلا كان النقد عملاً جزئياً ليس وراءه كبير طائل بالنسبة للقراء ونقد كتاب دون تصوير «الشخصية» القائمة من ورائه إنما هو عمل ناقص لا يؤدي إلى شيء في هذا الباب.. لا بل إن هذا «المفتاح» ضروري للمؤلف نفسه لا لقرائه وحدهم، فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ولا يلتفتون إلى خصائصهم وهم يستفيدون من الناقد الذى يضع المرأة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصلية.

وليس من وظيفة الناقد أن يغير طبيعة المؤلف ولكن من وظيفته أن يعرف هذه الطبيعة ويبلورها ويقيس أعمال المؤلف بها ويهديه اليها إذا ضل أو انحرف في فترة من فترات الضعف والكلال.

وكلما تناول الناقد أحد المؤلفين مرة يجب أن يصبح هذا المؤلف «معرفة» عند القراء لا من حيث الشهرة والبروز ولكن من حيث تميز الملامح ووضوح الخصائص وكشف الطبيعة الفنية الكامنة وراء أعماله على وجه العموم.

(سيد قطب)

رمضان ١٣٦٥هـ/ اغسطس١٩٤٦م

اللغة العربية والشعراء المعاصرون

(أنا البحر في أحشائه الدر كامن... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟)

يلمح الممعن في أشعار كثير من الشعراء المعاصرين ظاهرة بغيضة هى إهمال هؤلاء الشعراء مع شديد الأسف لنواح دقيقة من لغتهم السامية العظيمة.. وتتركز هذه النواحي في تساهلهم لحد خطير في الأخطاء النحوية الحساسة وتجاوزهم الصيغ العربية البليغة إلى أخرى سقيمة ركيكة حتى إنك لتصادف أحيانًا خصب الشاعرية الدافقة وجمال القالب الشعري، ورحابة الأفق وانطلاقة النفس، ولكنك سريعاً ما تصدم بهذه الأغلاط والعثرات التى كأنها بثور بشعة في محيا حسناء وضيء رائع التكوين.

ويستفحل الأمر كثيراً إذا كان ذلك الاستعمال الخاطئ صادراً من شاعر ملتمع الشهرة هو قدوة للشداة والناشئين من الشعراء، فإن الشاعر الناشئ عادة يتواكل ويتكاسل إذ يرى في خطأ الكبير مبرراً فعلياً نسبياً لخطئه فيستهين بمصابرة الدرس العربي الذي ما أخال صعوبته بالدرجة التي تبرر إهماله - حتى إذا نقد في شعره، أو غمز في فنه أجاب ولكن هذا جاء في شعر فلان وفلان! وهو معذور لأن أكثر محصوله الأدبي لا يتعدى إنتاج عصره الذي ربما لم يهضمه كذلك الهضم المنشود، وهذا توجيه سيئ الأثر في أشعار من نعجب بهم ونجل فنهم من المعاصرين.

والحق انه حتم على الشاعر العربي الحديث - سواء كان بازلاً أو ابن لبون - أن يتضلع من أفانين اللغة العربية ما أمكنه الجهد والوقت، تاريخاً وأدباً وعروضاً ونحواً وصرفاً وبلاغة، فمهمة الشاعر الجديد ليست من الضحولة والسهولة بالقدر الذي يتصور، إنها مهمة ضخمة ثقيلة تفرض عليه أن يلج الستار السميك بين عصر وعصر وأن يصاقب هذا الحشد العالمي الزاخر من المعاني والأخيلة الدقيقة العصرية التي تنثال انثيالاً، ولن تستطيع تقييد خواطرك وأفكارك الحديثة وتطويعها لفنك ما لم تك ذاخراً لها من - القوة والعتاد الشيء الكثير الكثير، ولذلك فإنا نرى الشاعر الجديد اليوم أكثر الناس استهدافاً وتعرضاً لسهام الناقدين، فإن لم يتعمق في تجويد فنه وأدواته أفضحه النقد وشهَّر به، والنقد في زماننا جاحم متقد لا يفقه الرحمة ولا المحاباة، والاعتماد على السليقة الشعرية في هذا العصر وزر تتبعه أوزار، وقد خلت أيامه فمن الغبن لشاعر يحترم فنه ويخلص له أن ينصاع إليه في تركيز شخصية هذا الفن وتدعيمها، ونحن لا ننكر بهذا المزايا التي تنتجها مطالعة الشعر العبقري

الصحيح بغية الاستفادة والتثقيف من هذه المطالعة وحدها فلهذا أثره البالغ الشائق غير المترى فيه وقد يستغنى الشاعر والأديب عموماً عن دراسة عناصر اللغة العربية به ولكن هل إذا تمكن من ذلك وانقاد له عنان البيان رد عن نفسه بهذه المرانة الفنية، ليس غير صولة النقد وأمن شره أقلام الناقدين وأذهانهم اليقظة وهل إذا انعقد على رأسه غبار معركة انتقادية شفع له في غشيانها مرويه ومحفوظه إن لم يكن ملماً الإلمام الكافي بكل أدوات اللغة العربية وافر المحصول من مقوماتها.

وثمة فريق من شعراء العصر ما تكاد تقرأ له قصيدة أو مقطوعة حتى تثب إلى بصرك من بين سطورها لفظة أعجمية الصوغ والمعنى ومثل هذا يعتبر حكماً من الشاعر العربي على - لغته بالعقم والقصور وهو ما يتجنب الانزلاق إليه شاعر تحتل لغته الصميمة من نفسه مكانها الطبيعي، وهذا لا يعني بحال أننا نستكره أن يتلقح الشعر العربي الحديث بالسوي الأنيق من المعاني الغربية، فهذا كسب له وليس غرماً عليه، والثقافة أيا ما كان منبعها لا يجوز أن تجنى على الفن الشعري طالما كان الباعث عليها هو تربية هذا الفن الأصيل وتنمية وإدخال عناصر قوية حية عليه، ولكنا نود أن يستخلص الشاعر معانيه في ألفاظ عربية عريقة كي تنال لغته القاهرة حظاً من عنايته.

(حسن عبد الله القرشي)
رجب١٣٦٦هـ/يونيو١٩٤٧م

بريد المنهل

المنهل:

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - عليه رحمة الله تعالى - وجه سؤالاً مفاده وضع خطة خمسية للتنمية والنهضة في المملكة العربية السعودية .. ووجه هذا السؤال لعدد من المثقفين والكتاب، واستجابوا جميعهم، ودوَّن الأنصاري كل آرائهم ومرئياتهم ومقترحاتهم في المنهل.

وهذا واحد من مجموع تلك الآراء، أخذناه لمعالى الشيخ/ أحمد زكى يماني - وزير البترول السابق.

رأي الاستاذ أحمد زكي يماني:

يريد ولا شك أستاذنا صاحب المنهل من سؤاله أن يلفت الأنظار إلى وجوب وضع برامج محددة للسنوات الخمس التالية حتى تتضح الطريق ونسير في نهضتنا وفق خطة مدروسة.. ويريد أستاذنا أيضاً أن تخرج المنهل حافلة بنماذج عملية واقعية لما يجب أن يكون عليه برنامج الخمس السنوات القادمة.

وصاحب المنهل - إذا صح ما توقعته - يحملني من أمري مالا أطيق، فكفاءتي المحدودة ووقتي الضيق لا يسمحان بتخطيط برنامج ضخم لدولة طموح في دور البناء، ولذلك فلن تكون كتابتي

هذه أكثر من أماني متواضعة تتقيد بالواقع والحقيقة وتبتعد عن الخيال.

١ ـ أما بالنسبة للناحية الاقتصادية فإن أهم أمنية لي هي أن أرى بلادي بعد خمس سنوات وقد ابتدأت فعلاً في التحرر من الاعتماد على مصدر واحد لإيراداتها وأصبح لها عدة مصادر للدخل عن طريق استثمار المعادن وتصنيع البلاد والاستفادة محلياً من الزيت والغازات الطبيعية.

٢ ـ والثقافة ولا شك مبعث التقدم وروح جميع النهضات وهي تحتاج لجيل أو أجيال ولا تتكامل في خمس سنوات. ومع ذلك فإني أتمنى أن تتخذ الوسائل العملية لنهضتنا الثقافية، فتنشأ المكتبات العامة في جميع المدن ويشجع الناس على ارتيادها وتقام الندوات العلمية وتلقى المحاضرات بشكل مشوق ومنتظم وتقوم الإذاعة بدورها الحاسم الفعال في توجيه النشء توجيهاً إسلاميا عربياً صحيحاً.

٣ ـ وأهم ما يتعلق بالنهضة العمرانية في نظري هو إنشاء الطرق التي تربط أجزاء المملكة بعضها ببعض وتربط المملكة نفسها بالدول العربية المجاورة.

وتدل البوادر على أن جميع مدن المملكة ومقاطعاتها المختلفة ستتماسك وتترابط بشبكة محكمة من الطرق البرية والسكك الحديدية.

وتخطيط المدن ورصف شوارعها لا يقل أهمية عن رصف الطرق الخارجية، كما أن الحاجة ماسة إلى إيجاد طراز عربي موحد للبناء يتلاءم مع حاجات البيئة المحلية ويحل محل هذه المجموعة المتنافرة لطراز العمارات القائمة التي قد تلائم الأجواء الباردة وتوافق الأذواق الأوربية ولكنها تتجافى مع طقسنا ولا تمثل ذوقنا وتاريخنا المعماري.

٤ ـ أما الأدب فهو كما عرفه لنا أساتذتنا في المدارس «مرآة صافية تعكس صورة المجتمع» ولكنني وقد قرأت كثيراً من إنتاجنا الأدبي المحلي أحس بأن أغلب الصور المعروضة مستوردة لا تظهر عليها ملامحنا الأصيلة.. وهذا لا يعني بالطبع عدم وجود إنتاج أدبي ينبعث حقيقة من صميم مجتمعنا ويصور بأمانة آلامنا وأحلامنا.

وكل الذي أتمناه في السنوات الخمس القادمة أن تبرز شخصيتنا خلال أدبنا وأن يتميز الكتاب السعوديون بطابع خاص يختلف عن الطابعين المهجري والمصرى اللذين اكتسب أدبنا منهما لونه وروحه.

وقد تمر السنوات الخمس القادمة فإذا بالذي تمنيته قليل من كثير تحقق.. وإذا بصاحب المنهل يصفني آنذاك بالخمول وعدم الطموح.. وأعده أنى سأطلق لخيالي العنان في تمنياتي القادمة إذا عشت بعد السنوات الخمس وقدر لي أن أساهم بالكتابة في منهله العزيز إن شاء الله.

(أحمد زكي يماني)

شعبان١٣٧٨هـ/ مارس ١٩٥٩م

87
شذرات الذهب

من كتاب (الفلاكة والمفلوكون)

□ كتاب «الفلاكة والمفلوكون» أي الفقر والفقراء كتابٌ واصله الشيخ أحمد بن علي الدلجي المتوفى سنة ٨٢٨هـ وهو مؤرخ أديب ينسب إلى دلجة من قرى الصعيد، وكان ساخطاً على أهل عصره، لما يرى من اختلال الأوضاع الاقتصادية، واتهمه اعداؤه بالزندقة، رداً على اتهاماته لهم بالنفاق وممالأة الحكام، وقد أراد أن يثبت بؤس العلماء منذ القدم فوضع هذا الكتاب متحدثاً عن نوادر المساكين والمعوزين من أهل الفضل، وقد لاحظت أنه ذكر من هؤلاء بعض من رزقوا السعادة في أخريات أيامهم بعد أن كابدوا البؤس، وكأن عليه أن يتحدث عما انقلبوا إليه من رخاء بدل أن تلتفي بناحية البؤس وحدها، ولعله أراد أن يغرى زملاءه البائسين بما يؤرد من حظ هؤلاء، فاكتفى بما يفي بمراده فحسب، ونحن ننقل من الصفحات الكثيرة هذه الطرائف :

(مقدمة جيدة)

وقد بدأ الكتاب بحديث عن معنى كلمة (الفلاكة) فقال إن أصلها منقول عن لغة العجم وليست بعربية الأصل، وأظهر فهماً ثابتاً فيما تعرض له من شرح أسباب البؤس، وذكر العلل الدافعة إلى بؤس الأكثرية وثراء الأقلية بما يصلح أن يكون موضع نظر لعلماء الاجتماع لأنه مطر من الآراء ما يجعله فريد عصره في هذا المضمار، إذ إن ناحية التحليل والتعليل قد غلبت على فكره، وهذا ما كان نادراً في عهد الجمع والتلخيص، هذا إلى ما اصطنعه من ضروب الأقيسة المنطقية، ومحاولة تطبيقها على ما يرى من قضايا عصره المضطرب، وقد اضطره الواقع الأليم إلى أن يعقد فصلاً تحت عنوان (التملق والخضوع والانقياد مما يسبب بسط الرزق) ولئن أراد بذلك وصف الواقع العملي في الحياة فقد أصاب، أما إذا أراد أن يجعل هذا القول الساقط مقياساً للسعادة، وباباً للتقدم المادى فقد خالف منهج المربين من الحكماء، وقد استغرق حديثه في هذا المجال ستين صفحة

كاملة لو بسطت في كتاب آخر لبلغت أكثر من مائة وخمسين، منتهياً بذلك إلى تراجم مختصرة لبعض من أقعدهم الحظ عن الرخاء فعاشوا متسكعين، وقد ابتدأ بحديث القاضي عبد الوهاب علي نصر المالكي فقال عنه:

(القاضي عبد الوهاب)

كان بغية الناس، ولسان أصحاب القياس، وقد ضاقت به بغداد على كثرة من بها من الأثرياء، فصمم على النزوح منها، وخرج وراءه تلاميذه، وأكابر العلماء، مودّعين متألمين فقال لهم، لو وجدتُ بين ظهرانيكم رغيفين يمسكان الرمق في كل يوم ما خرجت من بلدتكم ثم أنشد :

سلام على بغداد في كل موطن
وحقٌ لها مني سلامٌ مضاعفُ
فوالله ما فارقتها عن قلى لها
وإني بشطيّ جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها
ولم تكن الأرزاق فيها تُساعفُ

ثم توجه الى مصر فملأها علماً وفضلاً وأدباً، وطلب ذات يوم عنقود عنب يشتهيه فوقفت حبّةٌ في حلقه، فأدركه النزع، وهو يقول «لا اله إلا الله، حين عشنا متنا».

والجملة الأخيرة مما يؤلم ويوجع لأنها تعبر عن إحساس أليم لدى القاضي، إذ لم يكد يتذوق النعيم بعد فراق بغداد، حتى لفظ أنفاسه في مصر، وهي الدنيا.

(ابن مالك)

ذكر المؤلف (ابن مالك) في طليعة من عدّهم من المحتاجين، وابن مالك هو الذي خدم النحو بالألفية إذ كانت محط أنظار العلماء عدة قرون، وكتب عليها من الشروح والحواشي والتقارير ما لا يقع تحت حصر، ومازال النحاة يحتكمون إلى الألفية في المعضلات، فإذا قال القائل، قال ابن مالك فقد ارتفع الخلاف.

هذا العلامة العظيم قد عاش فقيراً، لا يملك قوت يومه، ولم يشأ المؤلف أن يذكر بعض مواقفه الأليمة هيبة له فيما أظن، ولكني أنقل من تاريخه خطاباً وجهه إلى الحاكم يُغني عن كل تعليق، قال:

«الفقير إلى رحمة ربه محمد بن مالك يقبّل الأرض وينهي الى السلطان الملك الظاهر بيبرس أيدّ الله جنوده، أنه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة وفنون الأدب وأمله أن يعينه سيد السلاطين على ما هو بصدده من إفادة المستفيدين، وهداية المسترشدين بصدقة تكفيه همّ عياله، وتعينه على التسبب في صلاح حاله، فقد كان في الدولة الناصرية عناية تسير بها الكفاية (يريد دولة صلاح الدين الأيوبي الملك الناصر) مع

د. أبو حسام
- المنصورة - مصر

أن هذه الدولة من دولة الناصر كالجدول من المحيط، وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهرية خصوصاً وعموماً وكشف بها عن الناس أجمعين هموماً وغموماً، فمن العجائب كون المملوك عن خيراتها غائباً محروماً مع أنه من ألزم المخلصين بالدعاء لها بدوامها، لأبرحت أنوارها زاهرة».

هذا بعض ما جاء في خطاب الاستجداء المرير، ومن الذى يستجدي؟ إمام العصر في كافة علوم اللغة والنحو والأدب.

يقول مؤرخو ابن مالك «وقد ترك أكثر من ثلاثين مصنفاً في النحو والصرف والقراءات واللغة، وأشهر مؤلفاته (التسهيل) و(الكافية الشافية) والألفية» توفي سنة ٦٧٢هـ.

(التلعفرى)

قد يكون الفقر بسبب سلوك صاحبه إذ يكون مبذراً متلافاً لا يفكر في غده، وقد ذكر صاحب الكتاب أن الشاعر محمد بن يوسف بن مسعود التلعفرى المتوفى سنة ٦٧٥ كان من هذا الطراز المتلاف، وكان كما قال خليعاً ماجناً، وقد امتحن بلعب القمار، فكلما نال جزاء مدحه شعرية لملك من الملوك بعثرها في هذا الميسر المحرم حتى ضجر منه الملك الأشرف، وطرده من بلده فرحل إلى حلب، ومدح صاحبها فكافأه أحسن مكافأة ثم عاد إلى ما ابتلاه الله به، فخسر كل شيء، حتى اضطر الملك أن يعلن أن من قامر على التلعفرى قطعت يده، وهذا شطط أولى منه أن يزجر صاحب الجرم، ولعله رق لحاله ولما ضاقت به حلب رحل إلى دمشق وأخذ يستجدي فإذا نال شيئًا صرفه في الميسر وهكذا كان القمار نقمة عليه وعلى كل من يزاوله!.

وبعض الناس يقولون إن القمار تحول عنده إلى شهوة لا يستطيع الخلاص منها، فهو مضطر إلى ذلك، ولو جاز أن نقبل هذا القول لفتحنا باب العذر لكل عاص، ولما فرض الله العقوبة على الجريمة الشنعاء.

(شهاب الدين السهرودي)

وقد ذكر (الدلجي) شهاب الدين السهرودي مع المفلوكين، وهو كما قال أوحد زمانه في الفلسفة والحكمة والذكاء الخارق وحسن العبارة، والأخيرة في النفس منها شيء، لأنه إذ قصد بحسن العبارة حديثه في مجالس الأدب، فذلك ما يصدّق ولا يستبعد، أما إذا قصد ما جاء في كتبه الفلسفية فليس عنده إلا الغموض والإبهام، وأين الحسن منها؟.

وقد تابع المؤلف قول معارضيه والحاقدين عليه فذكر أنه كان دنيُ الهمة، دنس الثياب وسخ البدن يتناثر القمل على وجهه فلا يحترز منه، وما أظن ذلك مما يجوز مع رجل عادي، فضلا عن أن يكون فيلسوفاً مفكراً، والتهمة بالزندقة التي أشار إليها، كانت من دسائس معارضيه، وهم الذين جعلوا صلاح الدين يكتب إلى ولده بضرورة محاكمته، والذين حاكموه هم أعداؤه، فقضوا عليه بالقتل سنة ٥٨٦هـ.

(ابـن بـــري)

قال عنه إنه أبو محمد عبد الله الإمام المشهور في علم النحو والرواية والدراية، وكان علامة عصره ونادرة دهره، ثم ذكر بعض مؤلفاته الذائعة، وقال: كانت فيه غفلة، ولا يتقيد بالإعراب ويميل إلى العامية، وليس هذا شأنه وحده بل شأن الكثير من معاصريه من حيث عدم التقيد بالإعراب في المحادثات العامة، فليس ذلك بمأخذ، أمّا ما استشهد به دليلاً على غفلته فهو أنه كان يدخل البيض والحطب في كمه، وعليه الثياب الفاخرة وربما جاء إلى منزله فلم يجد البيت مفتوحاً فيرمي بالبيض من الطاق إلى الداخل فينكسر ويتلف، كما كان يضع العنب داخل الحطب فينفجر ويتساقط ماء، وينقّط على رجليه وهو سائر في الطريق فيقول إن السماء قد أمطرت، ويخيل إليّ أن هذا من تخرصات خصومه، إذ لا تبلغ البلاهة بإمام كبير من أئمة العلم أن يقع في هذه المحالات، وقد توفي سنة ٥٨٢هـ.

(مبرمان والربعي)

وأغرب من حديث الدلجي عن ابن بري حديثه عن مبرمان وعن الربعي والثلاثة من كبار علماء النحو، أمّا ما قاله عن مبرمان وهو محمد أبو بكر بن محمد العسكري تلميذ المبرد، وشارح كتاب سيبويه فقد نقله عن الذهبي إذ ذكر عنه أنه كان وضيعاً يأخذ من الطلبة، والأخذ من الطلبة في مرحلة التعلم ليس شأنه وحده بل شأن كثير من العلماء كما نعرف، أما أغرب ما ذكره عنه أنه كان يطلب من الحمّال أن يحمله في قفص إلى داره، فيبول في القفص على الحمّال، وهذا ما لا يكاد يصدق، والأغرب أنه يعتذر للحمال بأن يقدر أنه يحمل رأس غنم، والحيوان يبول دون حرج.

هذا هو مبرمان، أما ما ذكره عن أبي الحسن الربعي، فهو مشتهر لم يتفرد به الدلجي بل تحدث به كل من كتب سيرته، وهم كثيرون إذ كان الربعي علماً من أعلام النحو حتى شهد أبو علي الفارسي بأنه لا يحتاج إلى شيء في هذا العلم ولو سار ما بين الشرق والمغرب، هذا العلامة الذي شرح كتب الفارسي والجرمي وتعقب ابن جني في أخطائه ، كان مبتلى بقتل الكلاب، فكان إذا رأى كلباً تعقبه وقضى وقتاً طويلاً في محاولة قتله، وقد مسك كلباً فعضه الكلب، فانقلب يعضه بأسنانه ويقول إني أخالف في ذلك قول القائل:

شاتمني عبد بني يسمع
فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقار له
ومن يعض الكلب إن عضا

وأحاديث أخرى عن شميم الحلي، والإربلي والحريري والعفيف التلمساني، وخضر الكردي وابن الجصاص، وإهمالها أفضل من ذكرها، ولا أدري لماذا حرص المؤلف على تتبع هذه النقائص وكان سكوته أولى وأجدر ■

اللغة العربية والتحديات

مسك الختام

□ لم يكتف أعداء اللغة العربية بالهجوم على لغة القرآن الكريم من المستشرقين والمستعربين إنما خلَّفوا أناساً من العرب أنفسهم يهاجمون هذه اللغة الخالدة.. فقد أصدر الشوباشي في القاهرة كتاباً بعنوان (تحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه) وقد أثار زوبعة في أوساط المخلصين والغيارى من المفكرين وكتبت الصحف المصرية عدداً كبيراً من ردود العلماء.

وفي الوقت الذى يعاني المسلمون والعرب اليوم من هجمة العولمة يأتي من أبناء العرب من يصوب سهماً يطعن أمته، وليست هذه المرة الأولى التى تثار قضية اللغة العربية وصعوبة نحوها، فقد كانت هدفاً منذ عرف الغرب الوطن العربي وعلموا بأن العربية هي الرابطة القوية التي تربط العرب والإسلام.

وقد بدأت هذه الهجمة بالدعوة الى استعمال اللهجة العامية، وكنتُ عالجت الأمر في محاضرة لي في مجمع اللغة العربية ونشرت في (مجلة الفيصل) في الرياض محذراً من هذه الدعوة، ومن أبرز دعاتها (وليم سبيتا) في القرن التاسع عشر وكان موظفاً في دار الكتب المصرية فاصدر (قواعد اللغة المصرية) ومنهم (يعقوب صنوع) واسمه (سندا)، ووقع في هذا الخطأ (رفاعة رافع الطهطاوي) في كتابه (أنوار الجليل في أخبار مصر وتوفيق بن إسماعيل) وهو في باريس سنة ١٨٦٨م.

وأمعن في الدعوة إلى العامية (وليم ويل كوكدي).. وكان يلقي محاضراته بها ويدعي عجز اللغة العربية، وما العجز إلا في فهمه لها، واستجاب لها سلامة موسى ومنهم المستشرق الألماني (فلورس).

وجاء اليوم من أبناء العربية من يريد أن يهدم كيان العربية الفصحى وقواعدها التي تقوم عليها ودعا إلى إلغاء المثنى ونون النسوة وتذكير الأرقام وإلغاء التشكيل وغير ذلك من الآراء التي أوردها في كتابه، وتسرع في الرأي وصرخ من كثرة المترادفات في اللغة.

وقد بادر زملاء أفاضل بالرد عليه مثل جابر عصفور وحسين نصار ومحمد عنانى وعبد الله التطاوي.

وتساءلت هل قواعد اللغة العربية والفصحى بحاجة إلى تطوير وتغيير، فوجدت الدكتور عصفور يؤكد على حاجة اللغة العربية إلى التطوير ويرى التطاوي ضرورة التطوير، أما الدكتور حسين نصار فيرى أن اللغة تطور نفسها بنفسها ولا يعترض أمين ذو رأي على التطوير وقد رضى (عنان) بفتح باب الاجتهاد ورأى مصطفى عبد الغنى أن اللغة العربية كائن حي ولابد أن يتطور ونحن نعيش في ظل العولمة.. أما أبو همام فقال ليس العيب في قواعد اللغة وانما في غيبة الوعى بها وأسلوب تعلمها.

إن الزملاء الأفاضل أقروا بوجوب التطوير والتحديث وكنت أتمنى وهم رواد الفكر وأساتذة العربية ومنهم مَنْ مارس تعليم اللغة سنوات، أن يرسموا الخطط التي تدعو الى هذا التطور والتحديث، ولعل أكثرهم لا يعرف الدعوات التي دعا فيها مجمع اللغة العربية إلى ذلك ولم يقرأوا توصياته الكثيرة - وما أصدره الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد، ولم يطلعوا على كتاب الدكتور كمال بشر ومقالاته.

أقولها بصراحة: إن هؤلاء الأساتذة وكل من تعلم



أ.د. يوسف عز الدين

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

العربية هو المسؤول عن عدم أخذ المبادرة في التطور والتحديث وأنا من هؤلاء.

إن حركة التجديد يجب أن تعقد لها مؤتمرات سنوية، وفي العالم العربي عُقدتْ مؤتمرات لدراسة اللغة وأصدرت قرارات يؤخذ بها، فهل أخذ المسؤولون في وزارة المعارف ووزارة التعليم العالي بقرارات مجمع اللغة العربية؟.

وقد حضرت مرة لقاء الدكتور شوقي ضيف مع المسؤولين لكي تأخذ الوزارة بقرارات المجمع فهل نفذ الوعد؟.

- الجواب عند أستاذي الدكتور شوقي ضيف[*] وهو أولى من يبدي رأيه فقد تحدث عن ذلك وعن ابن صفاء الاندلسي وله كتاب في تطور النحو، فهل قرأت المعارف رأيه؟.

الشوباشي والتجديد:

أثار كتاب (تحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) زوبعة فقد كتبت عنه جريدة الأهرام والأخبار والحياة وقد قامت مجلة النور في لندن في تلخيص كتابين: أولهما كتاب (الشوباشي)، والثاني (دموع الشوباشي بين يدي سيبويه) كما أدليت بدلوي في مجلة الشباب القاهرية وبعد القراءة والدراسة لآراء الزملاء ورأى الكاتب تساءلت هل الشوباشي حسن النية؟.. وهل يغار على تطورها؟ وتجديد النحو فيها؟.

بعد قراءة آرائه ظهر أن الكاتب لا يعرف الواقع اللغوي ومقدار التطور الذي حدث على أساليب اللغة العربية ومن يقرأ جريدة الأهرام في القاهرة وجريدة الزوراء في بغداد يجد التطور السريع في الأسلوب والمعالجة ولو كان له معرفة بشعر القرن التاسع عشر وقارنه بشعر أحمد شوقي والبارودي ومطران لوجد الفرق الكبير بين الأساليب وتطورها من ترك الجناس والتورية والمحسنات اللغوية الى الاهتمام بالمعنى أكثر، ولوجد عدم الاهتمام بالشكل وسيجد معالجات جديدة وموضوعات حديثة.

إن الكاتب يكيل التهم دون سند لغوي أو ثوابت تاريخية فقد اتهم أبا حنيفة النعمان بعدم إتقان اللغة العربية ولا يقدر على التدريس بها وهؤلاء طلابه الكثر وشعره المنشور يدل على عدم دراسة التاريخ وفهمه، فالقضية المهمة أن الكاتب لم يطلع على جهود مجمع اللغة العربية وقراراته الكثيرة في التطور والإصلاح اللغوي ومن أوائل من اهتم بها (علي الجارم) سنة ١٩٤٤م وقد حوت سجلات المجمع آراءه واهتم المجمع اهتماماً كبيراً بها، فكان يصدر كل سنة قرارات في تسهيل النحو وتدريسه ولكن للأسف الشديد أن هذه القرارات توضع في الأدراج.

ليس الخطأ أو الصعوبة في اللغة العربية التي درسها الأجانب وألفوا فيها، وها هو سيبويه خير مثل، إنما الصعوبة في تدريسها وعدم قدرة المدرس على إيصالها للطالب، والمؤسف أن بعض المدرسين يدرسون النحو باللغة العامية (الدارجة).

وأخيراً.. أقترح عقد مؤتمرات مستمرة يحضرها المعلمون والمدرسون والأساتذة لدراسة الصعوبات الطارئة في أسلوب إيصال المعرفة للطالب وتسهيل الفهم، والأهم من هذا كله تغيير كتب النحو التي تدرس في المدارس ووضع أمثلة من حياة الطالب ومجتمعه وبيئته..

وأهم من هذا كله الأخذ بالتوصيات التي أصدرها مجمع اللغة العربية خلال اجتماعاته المستمرة.. وحفظ الله اللغة العربية من أعدائها ومن أبنائها الجاهلين ■

هامش :

(*) الأستاذ الدكتور شوقي ضيف انتقل الى رحمة الله في مساء يوم الخميس ٢٠٠٥/٣/١٠م.

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية

نتائج العدد ٥٩٦

الفائــزون :

الجائزة الأولى : زهير عبدالسلام عبدالسلام ـ السعودية.
الجائزة الثانية : عثمان حسين صالحين ـ مصـــر.
الجائزة الثالثة : ريهام محيى الدين ـ السعودية.
الجائزة الرابعة : محمود محمد محمود ـ السعودية.
الجائزة الخامسة : سوزان محمد اوان ـ السعودية.
الجائزة السادسة : سامية سعد أمين ـ مصـــر.
الجائزة السابعة : يوليف سناء ـ المغـــرب.
الجائزة الثامنة : فيصل منذر العمراني ـ السعودية.
الجائزة التاسعة : حياة محمد الهواري ـ تونـــس.
الجائزة العاشرة : رغده عبدالمحسن عطية ـ الاردن.

لطفــا :
رجــاء كتابــة
رقــم المسابقة
علــى الظرف

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٩٧) في العدد (٥٩٩) .. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٥٩٨)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة..

**** تولى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) وزارة المعارف العام ؟**

☐ ١٣٧٢هـ ☐ ١٣٧٣هـ

**** تقلد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) الحكم في العام ؟**

☐ ١٤٠١هـ ☐ ١٤٠٢هـ

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

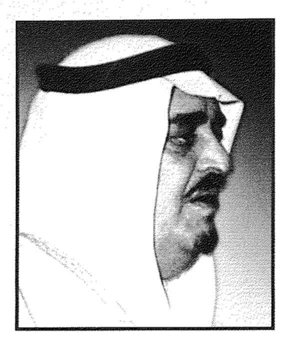
- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائزين.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى :	١٠٠٠ ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠ ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠ ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠ ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠ ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

صدق الله العظيم

نرفع خالص العزاء .. وصادق المواساة في وفاة قائد الأمة

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود «يرحمه الله»

ونخص بالعزاء خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود «حفظه الله»

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود «حفظه الله»

ولـــي العهـــد

وأبناء الملك الراحل

صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز

ونرفع خالص العزاء إلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي النبيل والى الأمتين العربية والإسلامية
سائلين الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الغالي بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته
إنا لله وإنا إليه راجعون

مجلة المنهل ومنسوبوها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ صدق الله العظيم







نبايع على كتاب الله وسنة رسوله

مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ملكاً للمملكة العربية السعودية

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

ولياً للعهد

داعين الله العلي القدير أن يوفقهما لما فيه عزة الإسلام والمسلمين وأن يمدهما بعون من عنده لتحقيق ما تصبو إليه مملكتنا الغالية.

مجلة المنهل ومنسوبوها